

كتاب :

استمتع برحياتك

مهارات وفنون التعامل مع الناس في ظل السيرة النبوية
حصيلة بحوث ودورات وذكريات أكثر من عشرين سنة

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

بقلم / د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

أستاذ جامعي ، خطيب جامع البواردي بالرياض
محاضر معتمد لدورات السعادة وفن التعامل مع الناس
عضو الهيئة العليا للإعلام الإسلامي
مدير عام مركز ناصح للدراسات والاستشارات الاجتماعية
1427/2/6 هـ الموافق 2006/3/6 م

www.arefe.com

لما كنت في السادسة عشرة من عمري وقع في يدي- كتاب " فن التعامل مع الناس " لمؤلفه " داييل كارنيجي " كان كتاباً رائعاً قرأته عدة مرات ..

كان كاتبه اقترح أن يعيد الشخص قراءته كل شهر .. ففعلت ذلك .. جعلت أطبق قواعده عند تعاملتي مع الناس فرأيت لذلك نتائج عجيبة .. كان كارنيجي يسوق القاعدة ويذكر تحتها أمثلة ووقائع لرجال تميزوا من قومه .. روزفلت .. لنك ولن .. جوزف .. مايك .. فبحثت في تاريخنا فرأيت أن في سيرة رسول الله ﷺ وأصحابه ومواقف المتميزين من رجال أمتنا ما يغنيا .. فبدأت من ذلك الحين أولف هذا الكتاب في فن التعامل مع الناس ..

فهذا الكتاب الذي بين يديك ليس وليد شهر أو سنة .. بل هو نتيجة دراسات قمت بها لمدة عشرين عاماً ..

ومع أن الله تعالى قد منّ عليّ بتأليف قرابة العشرين عنواناً إلى الآن .. إلا أنني أجد أن أحب كتبي إليّ وأغلاها إلى قلبي .. وأكثرها فائدة عملياً - فيما أظن - هو هذا الكتاب ..

كتبت كلماته بمداد خلطته بدمي .. سكبت روحي بين أسطره .. عصرت ذكرياتي فيه .. جعلتها كلمات من القلب إلى القلب .. وأقسم أنها خرجت من قلبي مشتاقة أن يكون مستقرها قلبك .. فرحماك بها ..

ما أعظم سروري لو علمت أن قارئاً أو قارئة لهذه الورقات طبق ما فيه .. فشعر وشعر غيره بتطور مهاراته .. وازدادت متعته في حياته .. فسطر بيمينه الطاهرة - مشكوراً - رسالة عبر فيها عن رأيه .. وصوّر مشاعره بصدق وصراحة .. ثم أرسلها عبر بريد أو رسالة جوال sms إلى كاتب هذه السطور .. لأكون للطفه شاكراً .. وبظهر الغيب له داعياً .. أسأل الله أن ينفع بهذه الورقات .. وأن يجعلها ذروة الصلة لوجهه الكريم ..

كتبه الداعي لك بالخير/

د.محمد بن عبد الرحمن العريفي

بداية ..
ليست الغاية أن تقرأ كتاباً .. بل الغاية أن تستفيد منه ..

1. هؤلاء لن يستفيدوا ..
أذكر أن رسالة جاءتني على هاتفي المحمول .. نصها : فضيلة الشيخ .. ما حكم الانتحار ؟
فاتصلت بالسائل فأجاب شاب في عمر الزهور .. قلت له : عفواً لم أفهم سؤالك .. أعاد السؤال !
فأجاب بكل تضجر : السؤال واضح .. ما حكم الانتحار ..
فأردت أن أفاجئه بجواب لا يتوقعه فضحك ..
ت وقلت : مستحب ..
صرخ : ماذا ؟!
قلت : أقول لك : حكم الانتحار أنه مستحب ..

ب ..
لكن ما رأيك أن نتعاون في تحديد الطريقة التي تنتحر بها .. ؟
سكت الشاب ..

فقلت : طيب .. لماذا تريد أن تنتحر ؟
قال : لأنني ما وجدت وظيفة .. والناس ما يحبونني .. وأصلاً أنا إنسان فاشل .. و ..
وانطلق يروي لي قصة مطولة تحكي فشله في تطوير ذاته .. وعدم استعداده للاستفادة بما هو متاح بين يديه من قدرات ..
وهذه آفة عند الكثيرين ..

لماذا ينظر أحدنا إلى نفسه نظرة دونية ؟
لماذا يلحظ ببصره إلى الواقفين على قمة الجبل ويرى نفسه أقل من أن يصل إلى القمة ..
كما وصلوا .. أو على الأقل أن يصعد الجبل كما صعدوا ..

ومن يتهيب صعود الجبال *** يعيش أبد الدهر بين الحفر

تدري من الذي لن يستفيد من هذا الكتاب ، ولا من أي كتاب آخر من كتب المهارات ؟!
إنه الشخص المسكين الذي استسلم لأخطائه

أما كيف تفعل ذلك .. فهذا ما ألفت الكتاب لأجله
كن معي وسنصل إلى الغاية بإذن الله ..

بقي معنا ..
البطل الذي لديه العزيمة والإصرار على أن
يطور مهاراته .. ويستفيد من قدراته ..

2. ماذا سنتعلم ؟

يشترك الناس غالباً في أسباب الحزن والفرح ..

فهم جميعاً يفرحون إذا كثرت أموالهم ..
ويفرحون إذا ترقوا في أعمالهم ..
ويفرحون إذا شفوا من أمراضهم ..
ويفرحون إذا ابتسمت الدنيا لهم .. فتحققت
لهم مراداتهم ..

وفي الوقت نفسه .. هم جميعاً يحزنون إذا
افتقروا .. ويحزنون إذا مرضوا .. ويحزنون
ن إذا أهينوا ..

فما دام ذلك كذلك .. فتعال نبحث عن طرق
ندیم فيها أفراحنا .. ونتغلب بها على أترادنا ..

نعم .. سنة الحياة أن يتقلب المرء بين حدة
ومرة .. أنا معك في هذا ..

ولكن لماذا نعطي المصائب والأحزان في أحيان كثيرة أكبر من حجمها .. فنغتم أياماً .. مع إمكاننا أن نجعل غمنا ساعة .. ونحزن ساعات على ما لا يستحق الحزن .. لماذا ؟!!

أعلم أن الحزن والغم يهجمان على القلب ويدخلانه من غير استئذان .. ولكن كل باب هم يفتح فهناك ألف طريقة لإغلاقه .. هذا مما سنتعلمه ..

تعال إلى شيء آخر ..

كم نرى من الناس المحبوبين .. الذين يفرح الآخرون بلقائهم .. ويأبسون بمجالستهم .. أفلم تفكر أن تكون واحداً منهم ؟

لماذا ترضى أن تبقى دائماً معجباً (بفتح الجيم) ولا تسعى لأن تكون معجباً (بكسرها) !!

ه وقتع بقدراته ، وقال : هذا طبعي الذي نشأت عليه .. وتعودت عليه ، ولا يمكن أن أغير طريقتي .. والناس تعودوا علي بهذا الطبع .. أما أن أكون مثل خالد في طريقة إلقاءه .. أو أحمد د في بشاشته .. أو زياد في محبة الناس له .. فهذا محال ..

جلست يوماً مع شيخ كبير بلغ من الكبر عتياً .. في مجلس عام ، كل من فيه عوام متواضعو القدرات ..

وكان الشيخ يتجاذب أحاديث عامة مع من بجانبه ..

لم يكن يمثل بالنسبة لمن في المجلس إلا واحداً منهم له حق الاحترام لكبر سنه .. فقط .. ألقى كلمة يسيرة .. ذكرت خلالها فتوى للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ..

فلما انتهيت .. قال لي الشيخ مفتخراً : أنا والشيوخ ابن باز كنا زملاء ندرس في المسجد عند الشيخ محمد بن إبراهيم .. قبل أربعين سنة .. التفت أنظر إليه .. فإذا هو قد انبلجت أساريره لهذه المعلومة .. كان فرحاً جداً لأنه صاحب رجلاً ناجحاً يوماً من الدهر ..

بينما جعلت أردد في نفسي : ولماذا يا مسكين ما صرت ناجحاً مثل ابن باز ؟

ما دام أنك عرفت الطريق لماذا لم تواصل ؟ لماذا يموت ابن باز فتبكي عليه المنابر .. والمداريب .. والمكتبات .. وتتن أقوام لفقده .. وأنت ستموت يوماً من الدهر .. ولعله لا يبكي عليك أحد .. إلا مجاملة .. أو عادة ..!!

كلنا قد نقول يوماً من الأيام .. عرفنا فلاناً .. و زاملنا فلاناً .. وجالسنا فلاناً !!

وليس هذا هو الفخر .. إنما الفخر أن تشمخ فوق القمة كما شمخ ..

فكن بطلاً واعزم من الآن أن تطبق ما تقتنع بنفسه من قدرات .. كن ناجحاً ..

اقلب عبوسك ابتسامة .. وكأبتك بشاشة .. وبخلك كرمًا .. وغضبك حلمًا ..

اجعل المصائب أفراحاً .. والإيمان سلاحاً .. استمتع بحياتك .. فالحياة قصيرة لا وقت فيها للغم ..

قال : يتخرج من الثانوية عندنا طلاب نسبتهم المئوية لا تقل عن 99% .. يملك من الذكاء والفهم قدراً لو وزّع على أمة لكفاه

م ..
فإذا تخرج وعزم أن يسافر خارج قريته ليدرس في الطب أو الهندسة .. أو الشريعة .. أو الكمبيوتر .. أو غيرها .. منعه أبوه وقا ل : يكفي ما تعلمت .. فاجلس عندي لرعي الغنم ..

صرخت من غير شعور : رعي غنم !!
قال : نعم .. رعي غنم ..
وفعلاً يجلس المسكين عند أبيه يرعى الغنم .. وتموت هذه القدرات والمهارات .. ومضى عليه السنين وهو راعي غنم .. بل قد يتزوج .. ويرزق بأولاد .. ويمارس معهم أسلوب أبيه .. فيرعون الغنم !!
قلت : والحل !!

قال : الحل أننا نقتع الأب باستخدام راعي غنم .. ببضع مئات من الريالات .. ندفعها له .. وولده النابغة يستثمر مواهبه وقدراته .. ونتكفل بمصاريف الولد أيضاً حتى يتخرج ..

ثم خفض هذه المدرس رأسه .. وقال : حر أم أن تموت المواهب والقدرات في صدور أصحابها .. وهم يتحسرون عليها .. تفكرت في كلامه بعدها .. فرأيت أننا لا يمكن أن نصل إلى القمة إلا بممارسة مهاراتهم .. أو اكتساب مهارات ..

نعم ..
أتحدى أن تجد أحداً من الناجحين .. سواء في علم .. أو دعوة .. أو خطابة .. أو تجارة .. أو طب .. أو هندسة .. أو كسب محبة الناس ..

أو الناجحين أسرياً .. كأب ناجح مع أولاد .. أو زوجة ناجحة مع زوجها .. أو اجتماعياً .. كالناجح مع جيرانه وزملائه ..

أعني الناجحين .. ولا أعني الصاعدين على أكتاف الآخرين !!

هنا سنتعلم كيف تصبح كذلك ..
لماذا إذا تكلم ابن عمك في المجلس أنصت له الذئب وملك أسماهم .. وأعجبوا بأسلوب كلامه ..

وإذا تكلمت أنت انصرفوا عنك .. وتنازعهم الأدب الجانبي ؟!
لماذا ؟

مع أن معلوماتك قد تكون أكثر .. وشهادتك أعلى .. ومنصبك أرفع ..
لماذا إذن استطاع ملك أسماهم وعجزت أنت ؟!

لماذا ذاك الأب يحبه أولاده ويفرحون بمرافقته في كل ذهاب ومجيء .. وآخر لا يزال يلتبس من أولاده مرافقته وهم يعتذرون بصنوف الأعذار ..
لماذا ؟! أليس كلاهما أب ؟!
ولماذا .. ولماذا ..

سنتعلم هنا كيفية الاستمتاع بالحياة ..
أساليب جذب الناس .. والتأثير فيهم ..
تحمل أخطائهم ..
التعامل مع أصحاب الأخلاقيات المؤذية ..
إلى غير ذلك .. فمرحباً بك ..

كلمة ..

ليس النجاح أن تكتشف ما يحب الآخرون .. إنما النجاح أن تمارس مهارات تكسب بها محبتهم ..

3. لماذا نبحث عن المهارات؟

زرت إحدى المناطق الفقيرة لإلقاء محاضرة ..
جاءني بعدها أحد المدرسين القادمين من خارج المنطقة ..

قال لي : نود أن تساعدنا في كفالة بعض الطلاب ..
قلت : عجباً !! أليست المدارس حكومية .. مجانية ؟!

قال : بلى .. لكننا نكفلهم للدراسة الجامعية ..
قلت : كذلك الجامعة .. أليست حكومية .. بل تصرف للطلاب مكافآت ..
قال : سأشرح لك القصة ..
قلت : هات ..

أتحدى أن تجد أحداً من هؤلاء بلغ مرتبة في الذ
جاح .. إلا وهو يمارس مهارات معينة - شعر أ
و لم يشعر - استطاع بها أن يصل إلى النجاح ..
قد يمارس بعض الناس مهارات ناجحة بطبيعت
ه .. وقد يتعلم آخرون مهارات فيمارسونها .. في
نجدون ..

نحن هنا نبحث عن هؤلاء الناجحين .. وندرس
حياتهم .. ونراقب طريقتهم .. لنعرف كيف نجحوا
ا ؟ وهل يمكن أن نسلك الطريق نفسه فننجح مث
هم ..؟

استمعت قبل فترة إلى مقابلة مع أحد أثرياء العال
م الشيخ سليمان بن عبد الله الراجحي .. فوجدته
جبلاً في خلقه وفكره ..
رجل يملك المليارات .. آلاف العقارات .. بنى منا
ت المساجد .. كفل آلاف الأيتام ..

رجل في قمة النجاح ..
تكلم عن بداياته قبل خمسين سنة .. كان من عام
ة الناس .. لا يكاد يملك إلا قوت يومه وربما لا ي
جده أحياناً !..

ذكر أنه ربما نظف بيوت بعض الناس ليكسب رز
قه .. وربما واصل ليله بنهاره عاملاً في دكان أ
و مصرف ..

تكلم كيف كان في سفح الجبل .. ثم لا زال يصعد
حتى وصل القمة ..

جعلت أتأمل مهاراته وقدراته .. فوجدت أن كثير
اً منا يمكن أن يكون مثله بتوفيق الله .. لو تعلم
مهارات وتدريب عليها .. وثابر وثبت ..

نعم ..

أمر آخر يدعونا إلى البحث عن المهارات ..
هو أن بعضنا يكون عنده قدرات على الإبداع لكن
ه غافل عنها .. أو لم يساعده أحد على إذكائه
..

كقدرة على الإلقاء .. أو فكر تجاري .. أو ذكاء م
عرفي ..

قد يكتشف هذه القدرات بنفسه .. أو يذكي هذه ال
مهارات مدرس .. أو مسئول وظيفي .. أو أخ نا
صح ..

وما أقلهم ..
وقد تبقى هذه المهارات حبيسة النفس حتى يغلب

ها الطبع السائر بين الناس .. وتموت في
مهدا ..

ونفقد عندها قائداً أو خطيباً أو عالماً .. أ
و ربما زوجاً ناجحاً أو أباً ناصحاً ..

نحن هنا سنذكر مهارات متميزة نذكرك بها
إن كانت عندك .. وندربك عليها إن كنت فا
قداً لها ..

فهلهم ..

فكرة ..

إذا صعدت الجبل فانظر إلى القمة .. ولا تلت
فت للصخور المتناثرة حولك ..
اصعد بخطوات واثقة .. ولا تقفز فتزل قدم
ك ..

4. طور نفسك ..

تجلس مع بعض الناس وعمره عشرون س
نة .. فتري له أسلوباً ومنطقاً وفكراً معي
اً ..

ثم تجلس معه وعمره ثلاثون .. فإذا قدراته
هي هي .. لم يتطور فيه شيء ..

بينما تجلس مع آخرين فتجدهم يستفيدون
من حياتهم .. تجده كل يوم متطوراً عن الي
وم الذي قبله .. بل ما تمر ساعة إلا ارتفع
بها ديناً أو دنيا ..

إذا أردت أن تعرف أنواع الناس في ذلك ..
فتعال نتأمل في أحوالهم واهتماماتهم ..
القنوات الفضائية مثلاً ..

من الناس من يتابع ما ينمي فكره المعرف
ي .. ويطور ذكائه .. ويستفيد من خبرات ا
لآخرين من خلال متابعة الحوارات الهادف
ة .. يكتسب منها مهارات رائعة في النقا
ش .. واللغة .. والفهم .. وسرعة البديهي
ة .. والقدرة على المناظرة .. وأساليب الإق
ناع ..

ومن الناس من لا يكاد يفوته مسلسل يحك
ي قصة حب فاشلة .. أو مسرحية عاطفي
ة .. أو فيلم خيالي مرعب .. أو أفلام لقص
ص افتراضية تافهة .. لا حقيقة لها ..

تعال بالله عليك .. وانظر إلى حال الأول وحال الثاني بعد خمس سنوات .. أو عشر ..
أيهما سيكون أكثر تطوراً في مهاراته ؟ في القدرة على الاستيعاب ؟ في سعة الثقافة ؟ في القدرة على الإقناع ؟ في أسلوب التعامل مع الأحداث ؟

لا شك أنه الأول ..
بل تجد أسلوب الأول مختلفاً .. فاستشهاداته بنصوص شرعية .. أو أرقام وحقائق ..
أما الثاني فاستشهاداته بأقوال الممثلين .. والمغنيين ..
حتى قال أحدهم يوماً في معرض كلامه .. والله يقول : اسع يا عبدي وأنا أسعي معاك !!
فنبهناه إلى أن هذه ليست آية .. فتغير وجهه وسكت ..

ثم تأملت العبارة .. فإذا الذي ذكره هو مثل مصري انطبع في ذهنه من إحدى المسلسلات !!
نعم .. كل إناء بما فيه ينضح ..
بل تعال إلى جانب آخر ..
في قراءة الصحف والمجلات .. كم هم أولئك الذين يهتمون بقراءة الأخبار المفيدة والمعلومات النافعة التي تساعد على تطوير الذات .. وتنمية المهارات .. وزيادة المعارف ..

بينما كم الذين لا يكادون يلتفتون إلى غير الصفحات الرياضية والفنية ؟!
حتى صارت الجرائد تتنافس في تكثير الصفحات الرياضية والفنية .. على حساب غيرها ..
قل مثل ذلك في مجالسنا التي نجلسها .. وأوقاتنا التي نصرفها ..
فأنت إذا أردت أن تكون رأساً لا ذيلًا .. احرص على تتبع المهارات أينما كانت .. درّب نفسك عليها ..

كان عبد الله رجلاً متحمساً .. لكنه تنقصه بعض المهارات .. خرج يوماً من بيته إلى المسجد ليصلي الظهر .. يسوقه الحرص على الصلاة ويدفعه تعظيمه للدين ..
كان يحث خطاه خوفاً من أن تقام الصلاة قبل وصوله على المسجد ..

مر أثناء الطريق بنخلة في أعلاها رجل بلباس م

هنته يشغل بإصلاح التمر ..
عجب عبد الله من هذا الذي ما اهتم بالصلاة .. وكأنه ما سمع إذاناً ولا ينتظر إقامة .. !!

فصاح به غاضباً : انزل للصلاة ..
فقال الرجل بكل برود : طيب .. طيب ..
فقال : عجل .. صل يا حمار !!
فصرخ الرجل : أنا حمار ..!! ثم انتزع عصباً من النخلة ونزل ليفلق به رأسه !!
غطى عبد الله وجهه بطرف غترته لنلا يعرفه .. وانطلق يعدو إلى المسجد ..
نزل الرجل من النخلة غاضباً .. ومضى إلى بيته وصلى وارتاح قليلاً .. ثم خرج إلى نخلته ليكمل عمله ..
دخل وقت العصر وخرج عبد الله إلى المسجد ..

مرّ بالنخلة فإذا الرجل فوقها ..
فقال : السلام عليكم .. كيف الحال ..
قال : الحمد لله بخير ..
قال : بشر !! كيف الثمر هذه السنة ..
قال : الحمد لله ..
قال عبد الله : الله يوفقك ويرزقك .. ويوسع عليك .. ولا يحرمك أجر عملك وكذك لأولادك ..

ابتهج الرجل لهذا الدعاء .. فأمن على الدعاء وشكر ..
فقال عبد الله : لكن يبدو أنك لشدة انشغالك لم تنتبه إلى أذان العصر !! قد أذن العصر .. والإقامة قريبة .. فلعلك تنزل لترتاح وتذكر الصلاة .. وبعد الصلاة أكمل عملك ..
الله يحفظ عليك صحتك ..

فقال الرجل : إن شاء الله .. إن شاء الله .. وبدأ ينزل برفق .. ثم أقبل على عبد الله و صافحه بحرارة .. وقال : أشرك على هذه الأخلاق الرائعة .. أما الذي مر بي الظهر فيا ليتني أراه لأعلمه من الحمار !!

نتيجة

مهاراتك في التعامل مع الآخرين .. على أ

نظر التاجر إلى عمامته ليتأكد من لونها ..
ثم فرك عينيه .. وقال : يا أخي عمامتي بيضاء
ضاهية ..

قال : بل زرقاء .. لكنها عموماً جميلة ..
لا تحزن .. ثم مضى .. فجعل التاجر يصيح
به .. العمامة بيضاء .. وينظر إليها .. ويقف
بأطرافها ..

جلس في دكانه قليلاً .. وهو لا يكاد يصر
ف بصره عن طرف عمامته ..

دخل عليه الرابع .. وقال : أهلاً يا فلان ..
ما شاء الله !! من أين اشتريت هذه العمامة
الحمراء ؟!

فصاح التاجر : عمامتي زرقاء ..

قال : بل حمراء ..

قال التاجر : بل خضراء .. لا .. لا .. بل بيضاء .. لا .. زرقاء .. سوداء ..

ثم ضحك .. ثم صرخ .. ثم بكى .. وقام يقفز
ز !!

قال ابن حزم : فلقد كنت أراه بعدها في شوارع
أندلس مجنوناً يحذفه الصبيان بالدهن
صبي !! (1)

فإذا كان هؤلاء بمهارات بدائية غيروا طبع
رجل .. بل غيروا عقله ..

فما بالك بمهارات مدروسة .. منورة بنصوص
الوحيين .. يمارسها المرء تعبدًا لله تعالى
إلى بها ..

فطبق ما تقف عليه من مهارات حسنة لتسد
عد ..

وإن قلت لي : لا أستطيع !! قلت : حاول ..

وإن قلت : لا أعرف .. !! قلت : تعلم ..

قال r : إنما العلم بالتعلم ، وإنما الحلم بالتحلم ..

وجهة نظر ..

البطل يتجاوز القدرة على تطوير مهارات
ه .. إلى القدرة على تطوير مهارات الناحية

5. لا تبك على اللبن المسكوب ..

بعض الناس يعتبر طبعه الذي نشأ عليه .. وعرفه
به الناس به .. وتكونت في أذهانهم الصورة الذهنية
عنه على أساسه .. يعتبره شيئاً لازماً له لا
يمكن تغييره .. فيستسلم له ويقنع .. كما يستسلم
لشكل جسمه أو لون بشرته .. إذ لا يمكنه تغيير ذلك ..

مع أن الذكي يرى أن تغيير الطباع لعله أسهل من
تغيير الملابس !!

فطباعنا ليست كاللبن المسكوب الذي لا يمكن تداركه
أو جمعه .. بل هي بين أيدينا .. بل نستطيع بأساليب معينة أن نغير طباع الناس
س .. بل عقولهم - ربما - !!

ذكر ابن حزم في كتابه طوق الحمامة :
أنه كان في الأندلس تاجر مشهور .. وقع بينه وبين
أربعة من التجار تنافس .. فأبغضوه .. وعزموه
على أن يزعموه .. فخرج ذات صباح من بيته
متجهاً إلى متجره .. لابساً قميصاً أبيض وعمامة
بيضاء ..

لقيه أولهم فحياه ثم نظر إلى عمامته وقال : ما أجمل
هذه العمامة الصفراء ..

فقال التاجر : أعمى بصرك ؟!! هذه عمامة بيضاء ..

فقال : بل صفراء .. صفراء لكنها جميلة ..

تركة التاجر ومضى ..

فلما مشى خطوات لقيه الآخر .. فحياه ثم نظر إلى
عمامته وقال : ما أجملك اليوم .. وما أحسن لباسك ..
خاصة هذه العمامة الخضراء ..

فقال التاجر : يا رجل العمامة بيضاء ..

قال : بل خضراء ..

قال : بيضاء .. اذهب عني ..

ومضى المسكين يكلم نفسه .. وينظر بين الفينة والأخرى إلى طرف عمامته المتدلي على كتفه ..
ليتأكد أنها بيضاء .. وصل إلى دكانه .. وحرك الدكان
لفتحه .. فأقبل إليه الثالث : وقال : يا فلان .. ما أجمل هذا الصباح .. خاصة لباسك الجميل
ل .. وزادت جمالك هذه العمامة الزرقاء ..

(1) القصة على ذمة ابن حزم .. رحمه الله .

إنها مهارات جذب القلوب والتأثير في الناس

س ..

لماذا يدخل أب إلى بيته فيهش أولاده له ..

ويقبلون إليه فرحين ..

بينما يدخل الثاني على أولاده .. فلا يلتفتو

ن إليه ..

إنها مهارات التعامل مع الأبناء ..

قل مثل ذلك في المسجد .. وفي الأعراس

س .. وغيرها ..

يختلف الناس بقدراتهم ومهاراتهم في التعا

مل مع الآخرين .. وبالتالي يختلف الآخرو

ن في طريقة الاحتراف بهم أو معاملتهم ..

والتأثير في الناس وكسب محبتهم أسهل م

ما تتصور ..!

لا أبالغ في ذلك فقد جربته مراراً .. فوجد

ت أن قلوب أكثر الناس يمكن صيدها بطر

ق ومهارات سهلة .. بشرط أن نصدق فيها

ونتدرب عليها فنقتنها ..

والناس يتأثرون بطريقة تعاملنا .. وإن لم

نشعر ..

أتولى منذ ثلاث عشرة سنة الإمامة والخطا

بة في جامع الكلية الأمنية ..

كان طريقي إلى المسجد يمر ببوابة يقف ع

ندها حارس أمن يتولى فتحها وإغلاقها ..

كنت أحرص إذا مررت به أن أمارس معه

مهارة الابتسامة .. فأشير بيدي مسلماً مبت

سماً ابتساماً واضحة .. وبعد الصلاة أرك

ب سيارتي راجعاً للبيت ..

وفي الغالب يكون هاتفي المحمول مليئاً بات

صالات ورسائل مكتوبة وردت أثناء الصلا

ة .. فأكون مشغولاً بقراءة الرسائل فيفتح

الحارس البوابة وأغفل عن التبسم ..

حتى تفاجأت به يوماً يوقفني وأنا خارج و

يقول : يا شيخ ..! أنت زعلان مني ؟!

قلت : لماذا ؟

قال : لأنك وأنت داخل تبسم وتسلم وأنت ف

رحان .. أما وأنت خارج فتكون غير مبتسم

ولا فرحان !!

6. كن متميزاً ..

لماذا يتحاور اثنان في مجلس فينتهي حوارهما بـ

خصومة .. بينما يتحاور آخران وينتهي الحوار بـ

أنس ورضا ..

إنها مهارات الحوار ..

لماذا يخطب اثنان الخطبة نفسها بألفاظها نفسها

أ .. فترى الحاضرين عند الأول ما بين متثائب و

نائم .. أو عابث بسجاد المسجد .. أو مغير لجلس

ته مراراً ..

بينما الحاضرون عند الثاني منشدون متفاعلو

ن .. لا تكاد ترمش لهم عين أو يغفل لهم قلب ..

إنها مهارات الإلقاء ..

لماذا إذا تحدث فلان في المجلس أنصت له السام

عون .. ورموا إليه أبصارهم ..

بينما إذا تحدث آخر انشغل الجالسون بالأحاديث ا

لجانبية .. أو قراءة الرسائل من هواتفهم المحمو

لة ..

إنها مهارات الكلام ..

لماذا إذا مشى مدرس في ممرات مدرسته رأيت

الطلاب حوله .. هذا يضافحه .. وذاك يستشير

ه .. وثالث يعرض عليه مشكلة .. ولو جلس في

مكتبه وسمح للطلاب بالدخول لامتلات غرفته في

لحظات .. الكل يحب مجالسته ..

بينما مدرس آخر .. أو مدرسون .. يمشي أحدهم

في مدرسته وحده .. ويخرج من مسجد المدرسة

وحده .. فلا طالب يقترب مبتهجاً مصافحاً .. أو

شاكياً مستشيراً .. ولو فتح مكتبه من طلوع الـ

شمس إلى غروبها .. وآناء الليل وأطراف النها

ر .. لما اقترب منه أحد أو رغب في مجالسته ..

لماذا ؟!!

إنها مهارات التعامل مع الناس ..

لماذا إذا دخل شخص إلى مجلس عام هـش النـا

س في وجهه وبشوا .. وفرحوا بلقائه .. وود كـ

ل واحد لو يجلس بجانبه ..

بينما يدخل آخر .. فيصافحونه مصافحة باردة -

عادة أو مجاملة - ثم يتلفت يبحث له عن مكان

فلا يكاد أحد يوسع له أو يدعوه للجلوس إلى جـانـه

وكان رجلاً بسيطاً .. فبدأ المسكين يقسم لي أنه يحبني ويفرح برؤيتي .. فاعتذرت منه وبينت له سبب انشغالي .. ثم انتبهت فعلاً إلى أن هذه المهارات مع تعودنا عليها تصبح من طبعنا .. يلاحظها الناس إذا غفلنا عنها ..

إضاءة ..

لا تكسب المال وتفقد الناس .. فإن كسب الناس طريق لكسب المال ..

7. أي الناس أحب إليك ؟

تكون أقوى الناس قدرة على استعمال مهارات التعامل مع الآخرين عندما تتعامل مع كل أحد تعامل لائماً رائعاً يجعله يشعر أنه أحب الناس إليك .. فتتعامل مع أمك تعامللاً رائعاً مشبعاً بالتفاعل والانس والاحتراف إلى درجة أنها تشعر أن هذا التعامل الراقى لم يلقه أحد منك قبلها .. وقل مثل ذلك عند تعاملك مع أهلك .. مع زوجتك .. أولادك .. زملائك .. بل قل مثله عند تعاملك مع من تلقاهم مرة واحدة .. كبائع في دكان .. أو عامل في محطة وقود .. كل هؤلاء تستطيع أن تجعلهم يجمعون على أنك أحب الناس إليهم إذا أشعرتهم أنهم أحب الناس إليك .. وقد كان r قدوة في ذلك ..

إذ أن من تتبع سيرته .. وجد أنه كان يتعامل بمهارات أخلاقية راقية .. فيعامل كل أحد يلقيه بمهارات من احتفاء وتفاعل وبشاشة .. حتى يشعر ذلك الشخص أنه أحب الناس إليه .. وبالتالي يكون هو أيضاً r أحب الناس إليهم .. لأنه أشعرهم بمحبته ..

كان عمرو بن العاص t داهية من دهاة العرب .. حكمة وفطنة وذكاءً .. فأدهى العرب أربعة .. عمرو واحد منهم ..

أسلم عمرو وكان رأساً في قومه .. فكان إذا لقي النبي r في طريق رأى البشاشة والبشر والمؤانسة .. وإذا دخل مجلساً فيه النبي r رأى الاحتراف والسد

عادة بمقدمه ..

وإذا دعاه النبي r .. ناداه بأحب الأسماء إليه ..

شعر عمرو بهذا التعامل الراقى .. ودوام الاهتمام والتبسم أنه أحب الناس إلى رسول الله r ..

فأراد أن يقطع الشك باليقين .. فأقبل ليوماً إلى النبي r وجلس إليه .. ثم قال :

يا رسول الله .. أي الناس أحب إليك ؟ فقال r : عائشة ..

قال عمرو : لا .. من الرجال يا رسول الله ؟ لست أسألك عن أهلك .. فقال r : أبوها ..

قال عمرو : ثم من ؟

قال : ثم عمر بن الخطاب ..

قال : ثم أي .. فجعل النبي r يعدد رجالاً .. يقول : فلان .. ثم فلان ..

بحسب سبقهم إلى الإسلام .. وتضحيتهم من أجله ..

قال عمرو : فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم ..

فانظر كيف استطاع r أن يملك قلب عمرو بمهارات أخلاقية مارسها معه ..

بل كان عليه الصلاة والسلام ينزل الناس منازلهم ..

وقد يترك أشغاله لأجلهم .. لإشعارهم بمحبته لهم وقدرهم عنده ..

لما توسع r بالفتوحات وبدأ ينتشر الإسلام ..

جعل r يرسل الدعاة من عنده لدعوة القبائل إلى الإسلام .. وربما احتاج الأمر أن يرسل جيشاً ..

وكان عدي بن حاتم الطائي .. ملكاً ابن ملك ..

فوقع بين قبيلته " طي " وبين المسلمين حرب .. وكان عدي قد هرب من الحرب فلما

فرح النبي r بمقدمه .. واحتفى به .. مع أ
ن عدياً محارب للمسلمين وفاراً من الحر
ب .. ومبغض للإسلام .. ولاجئاً إلى النصا
رى .. ومع ذلك لقيه r بالبشاشة والبشر ..
وأخذ بيده يسوقه معه إلى بيته ..

عدي وهو يمشي بجانب النبي r يرى أن ال
رأسين متساويان !!!

فمحمد (r) ملك على المدينة وما حولها
١ .. وعدي ملك على جبال طي وما حولها
١ ..

ومحمد (r) على دين سماوي " الإسلام
" .. وعدي على دين سماوي " النصرانية
"

ومحمد (r) عنده كتاب منزل " القرآن
" .. وعدي عنده كتاب منزل " الإنجيل
"

كان عدي يشعر أنه لا فرق بينهما إلا في ال
قوة والجيش ..
في أثناء الطريق وقعت ثلاثة مواقف :
بينما هما يمشيان إذا بامرأة قد وقفت في و
سط الطريق فجعلت تصيح : يا رسول الله
.. لي إليك حاجة ..

فانتزع النبي r يده من يد عدي ومضى إليها
١ .. وجعل يستمع إلى حاجتها ..

عدي بن حاتم .. الذي قد عرف الملوك وال
وزراء جعل ينظر إلى هذا المشهد .. ويقار
ن تعامل النبي r مع الناس بتعامل من رآهم

من قبل من الرؤساء والسادة ..
فتأمل طويلاً ثم قال : والله ما هذه بأخلاق
الملوك .. هذه أخلاق الأنبياء !!

وانتهت المرأة من حاجتها .. فعاد النبي r إ
لى عدي .. ومضيا يمشيان .. فبينما هما ك
ذلك .. فإذا برجل يقبل على النبي r ..

فماذا قال الرجل ؟ هل قال : يا رسول الله
عندي أموال زائدة أبحث لها عن فقير ؟! أ
م قال : حصدت أرضي وزاد عندي الثمر ..
فماذا أفعل به ؟

يا ليتة قال شيئاً من ذلك .. لعل عدياً إذا

م يشهدا .. واحتفى بالروم في الشام ..
وصل جيش المسلمين إلى ديار طيء ..
كانت هزيمة طيء سهلة .. فلا ملك يقود .. ولا
جيش مرتب ..

وكان المسلمون في حروبهم .. يحسنون إلى النبا
س .. ويعطفون وهم في قتال ..
كان المقصود صد كيد قوم عدي عن المسلمي
ن .. وإظهار قوة المسلمين لهم ..
أسر المسلمون بعض قوم عدي .. وكان من بينه
م أخت لعدي بن حاتم ..

مضوا بالأسرى إلى المدينة .. حيث رسول الله
.. وأخبروا النبي بفرار عدي إلى الشا
م ..

فجذب من فراره !! كيف يفر من الدين ؟ كي
ف يترك قومه ؟

ولكن لم يكن إلى الوصول إلى عدي سبيل ..
لم يطب المقام لعدي في ديار الروم .. فاضطر لل
رجوع لديار العرب .. ثم لم يجد بداً من أن يذه
ب إلى المدينة للقاء النبي r ومصالحته .. أو التف
اهم على شيء يرضيهما .. (2) ..

يقول عدي وهو يحكي قصة ذهابه إلى المدينة :
ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله r
مني ..

وكنت على دين النصرانية ..
وكنت ملكاً في قومي لما كان يصنع بي ..
فلما سمعت برسول الله r كرهته كراهية شديداً
ة ..

فخرجت حتى قدمت الروم على قيصر ..
قال : فكرهت مكاني ذلك ..

فقلت : والله لو أتيت هذا الرجل .. فإن كان كاذباً
لم يضرني .. وإن كان صادقاً علمت ..

فقدمت فأتيته .. فلما دخلت المدينة جعل الناس ي
قولون : هذا عدي بن حاتم .. هذا عدي بن حاتم
م ..

فمشيت حتى أتيت فدخلت على رسول الله r في
المسجد فقال لي : عدي بن حاتم ؟
قلت : عدي بن حاتم ..

(2) وقيل إن أخته هي التي ذهبت إليه في الشام وردته إلى العرب .

ك : لماذا لا تنتصر ؟ فقلت : إني على دين
ن ..
فلم يقل لك : أأنت مسلماً .. ولم يقل : أأنت
ست سندياً .. وإنما قال : أأنت شافعي ..
أو حنبلياً ..
عندها ستدرك أنه يعرف كل شيء عن دينك
ك ..
فهذا الذي فعله المعلم الأول r مع عدي .. ق
ال : أأنت من الركوسية ..
فقال عدي : بلى ..
فقال r : فإنك إذا غزوت مع قومك تأكل في
هم المربع ؟ (3)
قال : بلى ..
فقال r : فإن هذا لا يحل لك في دينك ..
فتضعض لها عدي .. وقال : نعم ..
فقال r : أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام
لام ..
أنك تقول : إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا
قوة لهم ..
وقد رمتهم العرب ..
يا عدي .. أتعرف الحيرة ؟ (4)
قلت : لم أرها وقد سمعت بها ..
قال : فوالذي نفسي بيده ليطمن الله هذا الأمر
ر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطو
ف بالبيت في غير جوار أحد ..
أي سيقوى الإسلام إلى درجة أن المرأة الم
سلمة الحاجة تخرج من الحيرة حتى تصل
إلى مكة ليس معها إلا محرم .. من غير أحد
د يحميها .. وتمر على منات القبائل فلا يج
رؤ أحد أن يعتدي عليها أو يسلبها مالها ..
لأن المسلمين صار لهم قوة وهيبة .. إلى د
رجة أن أحداً لا يجرو على التعرض لمسلم
خوفاً من انتصار المسلمين له ..
فلما سمع عدي ذلك .. جعل يتصور المنظر

استمتع بحياتك ————— www.arefe.com
سمعه يشعر بغنى المسلمين وكثرة أموالهم ..
قال الرجل : يا رسول الله .. أشكو إليك الفاقة وال
لفقر ..
ما يكاد هذا الرجل يجد طعاماً يسد به جوعه أولاً
ده .. ومن حوله من المسلمين يعيشون على الكف
اف ليس عندهم ما يساعدونه به ..
قال الرجل هذه الكلمات وعدي يسمع .. فأجابه ال
نبي r بكلمات ومضى ..
فلما مشيا خطوات .. أقبل رجل آخر .. قال : يا ر
سول الله أشكو إليك قطع الطريق !!
يعني أننا يا رسول الله لكثرة أعدائنا حولنا لا نأمن
ن أن نخرج عن بنيان المدينة لكثرة من يعترضنا
ا من كفار أو لصوص ..
أجابه النبي r بكلمات ومضى ..
جعل عدي يقلب الأمر في نفسه .. هو في عز و
شرف في قومه .. وليس له أعداء يتربصون به
ه ..
فلماذا يدخل هذا الدين الذي أهله في ضعف ومسد
كنة .. وفقر وحاجة ..
وصلا إلى بيت النبي r .. فدخل .. فإذا وسادة وال
حدة فدفعها النبي r إلى عدي إكراماً له .. وقا
ل : خذ هذه فاجلس عليها .. فدفعها عدي إليه قا
ل : بل اجلس عليها أنت .. فقال r : بل أنت .. ح
تى استقرت عند عدي فجلس عليها ..
عندها .. بدأ النبي r يحطم الحواجز بين عدي وال
إسلام ..
يا عدي أسلم .. تسلم .. أسلم تسلم .. أسلم تسلم
م ..
قال عدي : إني على دين ..
فقال r : أنا أعلم بدينك منك ..
قال : أنت تعلم بديني مني ؟
قال : نعم .. أأنت من الركوسية ..
والركوسية ديانة نصرانية مشربة بشيء من ال
مجوسية .. فمن مهارته r في الإقناع أنه لم يقل
أأنت نصرانياً .. وإنما تجاوز هذه المعلومة إلى
معلومة أدق منها فأخبره بمذهبه في النصرانية ت
حديثاً ..
كما لو لقيك شخص في أحد بلاد أوروبا وقال لـ

(3) المربع : إذا غزت القبيلة قسم رئيسها الغن
يمة أربعة أقسام فأخذ الربع له وحده ، وهذا حرام
في دين النصرانية ، جائز عند العرب .
(4) الحيرة : مدينة بالعراق

بالرفق واستعمال مهارات التعامل والإقنا
ع .. نستطيع أن نحقق ما نريد ..

8. استمتع بالمهارات ..
المهارات متعة حسية ، لا أعني بها الأجر
لأخروي فقط ، لا وإنما هي متعة وفرح تش
عر به حقيقة ..
فاستمتع بها ، ومارسها مع جميع الناس ،
كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، قريب
هم وبعيدهم .. كلهم .. مارس معهم هذه الـ
مهارات ..
إما لاتقاء أذاهم ..
أو لكسب محبتهم ..
أو لإصلاحهم .. نعم إصلاحهم ..
كان علي بن الجهم شاعراً فصيحاً .. لكنه
كان أعرابياً جلفاً لا يعرف من الحياة إلا ما
يراه في الصحراء ..
وكان المتوكل خليفة متمكناً .. يغدى عليه
ويراح بما يشتهي ..
دخل علي بن الجهم بغداد يوماً فقيل له : إ
ن من مدح الخليفة حظي عنده ولقي منه ا
لأعطيات ..
فاستبشر علي ويمم جهة قصر الخلافة ..
دخل على المتوكل .. فرأى الشعراء ينشدو
ن ويربحون ..
والمتوكل هو المتوكل .. سطوة وهيبة وجب
روت ..
فانطلق مادحاً الخليفة بقصيدة مطلعها :
يا أيها الخليفة ..
أنت كالكلب في حفاظك للود .. وكالتيس ف
ي قراع الخطوب
أنت كالدلو لا عدمتك دلواً .. من كبار الد
لا كثير الذنوب
ومضى يضرب للخليفة الأمثلة بالتيس والع
نز والبئر والتراب ..
فثار الخليفة .. وانتفض الحراس .. واستل
السياف سيفه .. وفرش النطع .. وتجهز للـ
قتل ..
فأدرك الخليفة أن علي بن الجهم قد غلبت

استمتع بحياتك .. امرأة تخرج من العراق حتى تصل إل
ى مكة .. معنى ذلك أنها ستمر بشمال الجزيرة
ة .. يعني ستمر بجبال طي .. ديار قومه ..
فتعجب عدي وقال في نفسه : فأين عنها دُعار
طي الذين سعروا البلاد !!
ثم قال r : وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز ..
قال : كنوز ابن هرمز ؟
قال : نعم كسرى بن هرمز .. ولتنفق أمواله ف
ي سبيل الله ..
قال r : ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج
بملء كفه من ذهب أوفضة يطلب من يقبله منه ف
لا يجد أحدا يقبله منه ..
يعني من كثرة المال يخرج الغني يطوف بصدقته
لا يجد فقيراً يعطيه إياها ..
ثم بدأ يعظ عدياً ويذكره بالآخرة .. فقال :
وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه تر
جمان ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وين
ظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم " ..
سكت عدي متفكراً ..
ففاجأه قائلاً : يا عدي .. فما يفرك أن تقول
لا إله إلا الله ؟ .. أو تعلم من إله أعظم من الله ؟ !
قال عدي : فإني حنيف مسلم .. أشهد أن لا إله إلا
الله .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ..
فتهلل وجه النبي r فرحاً مستبشراً ..
قال عدي بن حاتم :
فهذه الظعينة تخرج من الحيرة تطوف بالبيت في
غير جوار .. ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى ..
والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله r
قد قالها " .. (5)
فتأمل كيف كان هذا الأئس منه لعدي .. وهذا
الاحتفاء الذي قابله به .. حتى شعر به عدي .. ت
أمل كيف كان كل ذلك جاذباً لعدي للدخول في الإ
سلام ..
فلو مارسنا هذا الحب مع الناس .. مهما كانوا ..
لملأنا قلوبهم ..

فكرة ..

نعم .. كم من الزوجات تسمع عن أخلاق ز
وجها.. وسعة صدره .. وابتسامته وكرمه
ه ..

ولكنها لم تر من ذلك شيئاً ..
فهو في بيته سيئ الخلق .. ضيق الصد
ر .. عابس الوجه .. صخاباً لعاناً .. بخي
لاً ومناناً ..

أما هو r فهو الذي قال : (خيركم خيركم
لأهله، وأنا خيركم لأهلي) (6) ..

وانظر كيف كان يتعامل مع أهله ..
قال الأسود بن يزيد : سألت عائشة t : ما
كان رسول الله r يصنع في بيته ؟

فقلت : يكون في مهنة أهله .. فإذا حضر
ت الصلاة يتوضأ ويخرج للصلاة ..
وقل مثل ذلك مع الوالدين .. فكم هم أولئك
الذين نسمع عن حسن أخلاقهم ..

وكرمهم وتبسمهم .. وجميل معاشرتهم للاً
خرين .. أما مع أقرب الناس إليهم .. وأعظ
م الناس حقاً عليهم .. مع الوالدين فجفاء
وهجر ..

نعم .. خيركم خيركم لأهله .. لوالديه .. لز
وجه .. لخدمه .. بل ولأطفاله ..

في يوم مليء بالمشاعر .. يجلس أبو ليلى
t عند رسول الله e .. فيأتي الحسن أو الح
سين يمشي إلى النبي e .. فيأخذه e .. فيق
عده على بطنه .. فبال الصغير على بطن ر
سول الله e .. قال أبو ليلى : حتى رأيت بو
له على بطن رسول الله e أساريع ..

قال : فوثبنا إليه .. فقال e : دعوا ابني ..
لا تفزعوا ابني ..

فلما فرغ الصغير من بوله .. دعا e بماء ف
صبه عليه .. (7)

فلله دره كيف تروضت نفسه على هذه الأخ
لاق .. فلا عجب إذن أن يملك قلوب الصغا
ر والكبار ..

عليه طبيعته .. فأراد أن يغيرها ..
فأمر به فأسكنوه في قصر منيف .. تغدو عليه أ
جمل الجواري وتروح يما يلذ ويطيب ..

ذاق علي بن الجهم النعمة .. واتكأ على الأرائ
ك .. وجالس أرق الشعراء .. وأغزل الأدباء ..
ومكث على هذا الحال سبعة أشهر ..

ثم جلس الخليفة مجلس سمر ليلة .. فتذكر علي
بن الجهم .. فسأل عنه ، فدعوه له .. فلما مثل بـ
ين يديه .. قال : أنشدني يا علي بن الجهم ..
فانطلق منشداً قصيدة مطلعها :

عيون المها بين الرصافة والجسر .. جلبن الهو
ى من حيث أدري ولا أدري
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن .. سلوت ولكن
زدن جمرأً على جمر

ومضى يحرك المشاعر بأرق الكلمات .. ثم شرع
يصف الخليفة بالشمس والنجم والسيوف ..
فانظر كيف استطاع الخليفة أن يغير طباع ابن الـ
جهم ..

ونحن كم ضايقتنا طباع لأولادنا أو أصدقائنا فسع
ينا لتغييرها .. فغيرناها ..

فمن باب أولى أن تقدر أنت على تغيير طباعك ..
فتقلب العبوس تبسماً .. والغضب حلاًماً .. والبذ
ل كرمأً .. وهذا ليس صعباً .. لكنه يحتاج إلى
عزيمة ومراس .. فكن بطلاً ..

ومن نظر في سيرة محمد r وجد أنه كان يتعامل
مع الناس بقدرات أخلاقية ، ملك بها قلوبهم ..
ولم يكن r يتصنع هذه الأخلاق أمام الناس .. فإ
ذا خلا بأهل بيته .. انقلب حلمه غضباً .. ولينه
غلظاً ..

لا .. ما كان بساماً مع الناس عبوساً مع أهل بي
ته ..

ولا كريماً مع الخلق إلا مع ولده وزوجه ..
لا .. بل كانت أخلاقه سجية .. يتعبد لله تعالى به
ا .. كما يتعبد بصلاة الضحى وقيام الليل ..
يحتسب ابتسامته قربة .. ورفقه عبادة .. وعفو
ه وليذنه حسنات ..

إن من اعتبر حسن الخلق عبادة .. تحلى بها في
جميع أحواله .. في سلمه وحره .. وجوعه وش
بعه .. وصحته ومرضه .. بل وفرحه وحزنه ..

(6) رواه ابن ماجه

(7) رواه أحمد والطبراني .

رأي ..
بدل أن تسب الظلام .. حاول إصلاح المصباح ..

9. مع الفقراء ..

عدد من الناس اليوم أخلاقهم تجارية .. فالغني ف
قط هو الذي تكون نكته طريفة فيضحكون عند س
ماعها .. وأخطاؤه صغيرة .. فيتغاضون عنها ..
أما الفقراء فنكتهم ثقيلة .. يسخر بهم عند سماء
ها .. وأخطاؤهم جسيمة .. يصرخ بهم عند وقو
عها ..
أما رسول الله r فكان عطفه على الغني والفقير
سواء ..
قال أنس t :

كان رجل من أهل البادية اسمه زاهر بن حرام ..
وكان ربما جاء المدينة في حاجة فيهدي للنبي r
من البادية شيئاً من إقط أو سمن ..
فيُجهزه رسول الله r إذا أراد أن يخرج إلى أهل
ه بشيء من تمر ونحوه ..
وكان النبي r يحبه .. وكان يقول : (إن زاهراً
باديتنا .. ونحن حاضروه) .. وكان زاهراً دميم
أ ..
خرج زاهر t يوماً من باديته .. فأتى بيت رسو
ل الله r .. فلم يجده ..

وكان معه متاع فذهب به إلى السوق .. فلما علم
به النبي مضى إلى السوق يبحث عنه ..
فأتاه فإذا هو يبيع متاعه .. والعرق يتصبب من
ه .. وثيابه ثياب أهل البادية بشكلها ورائحتها ..
فاحتضنه r من ورائه ، وزاهر لا يبصره .. ولا
يدري من أمسكه ..
ففزع زاهر وقال : أرسلني .. من هذا ؟ ..
فسكت النبي عليه الصلاة والسلام ..
فحاول زاهر أن يتخلص من القبضة ..
وجعل يلتفت وراءه .. فرأى النبي r .. فاطمأنت
نفسه .. وسكن فزعه ..
وصار يُلصق ظهره بصدر النبي r .. حي
ن عرفه ..
فجعل النبي r يمازح زاهراً .. ويصيح بالناس ي
قول : من يشتري العبد ؟ .. من يشتري العبد

؟ ..

فنظر زاهر في حاله .. فإذا هو فقير كسي
ر .. لا مال .. ولا جمال ..
فقال : إذاً والله تجدني كاسداً يا رسول ا
لله ..
فقال r : لكن عند الله لست بكاسد .. أنت ع
ند الله غال ..
فلا عجب أن تتعلق قلوب الفقراء به و
هو يملكهم بهذه الأخلاق ..
كثير من الفقراء .. قد لا يعيب على الأغنيا
ع البخل عليه بالمال والطعام .. لكنه يجد ع
ليهم بخلهم باللطف وحسن المعاشرة ..
وكم من فقير تبسمت في وجهه .. وأشعرت
ه بقيمته واحترامه .. فرفع في ظلمة الليل
يداً داعية .. يستنزل بها لك الرحمات من ا
لسماء ..
ورب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب
اب لا يؤبه له .. لو أقسم على الله لأبره ..
فكن دائم البشر مع هؤلاء الضعفاء ..

إشارة ..
لعل ابتساماً في وجه فقير .. ترفعك عند ا
لله درجات ..

10. النساء ..

كان جدي يستشهد بمثل قديم : " من غاب
عن عنزه جابت تيس " ..
بمعنى أن من لم تجد عنده زوجته .. ما يش
بع عاطفتها .. ويروي نفسها .. فقد تحدثها
نفسها بالاستجابة لغيره .. ممن يملك معه
ول الكلام ..
وليس مقصودهم بهذا المثل تشبيه الرجل
والمرأة بالتيس والعنز .. معاذ الله ..
المرأة شقيقة الرجل .. ولئن كان الله قد وه
ب الرجل جسماً قوياً .. فقد وهبها عاطفة
قوية ..
وكم رأينا سلاطين الرجال وشجعانهم تخور
قواهم عند قوة عاطفة امرأة ..
ومن مهارات التعامل مع المرأة أن تعرف ا

لمفتاح الذي تؤثر من خلاله فيها .. العاطفة .. تقا
اتلها بسلاحها ..

كان النبي ﷺ يوصيك بالإحسان إلى المرأة .. واحد
ترام عاطفتها .. لأجل أن تسعد معها ..

وأوصى الأب بالإحسان إلى بناته .. فقال : (من
عال جاريتين حتى تبلغا .. جاء يوم القيامة أنا و
هو وضم أصابعه) .. (8)

وأوصى بها أولادها فقال فإنه لما سأل رجل فقا
ل : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟

قال : أمك .. ثم أمك .. ثم أمك .. ثم أبوك .. (9)
بل أوصى r بالمرأة زوجها .. ودم من غاضب ز
وجته أو أساء إليها ..

وانظر إليه r وقد قام في حجة الوداع .. فإذا بي
ن يديه مائة ألف حاج ..

فيهم الأسود والأبيض .. والكبير والصغير .. والد
غني والفقير ..

صاح r بهؤلاء جميعاً وقال لهم :
ألا واستوصوا بالنساء خيراً .. ألا واستوصوا با
لنساء خيراً .. (10)

وفي يوم من الأيام أطاف بأزواج رسول الله ﷺ
ساء كثير يشتكين أزواجهن .. فلما علم النبي ﷺ بـ
ذلك .. قام .. وقال للناس :

لقد طاف بآل محمد r نساء كثير يشتكين أزواج
هن .. ليس أولئك بخياركم .. (11)
وقال :

(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) ..
(12)

بل .. قد بلغ من إكرام الدين للمرأة .. أنها كانت
تقوم الحروب .. وتسحق الجماجم .. وتتطاير الر
ؤوس .. لأجل عرض امرأة واحدة ..

كان اليهود يساكنون المسلمين في المدينة ..
وكان يغيظهم نزول الأمر بالحجاب .. وتستتر ال
مسلمات .. ويحاولون أن يزرعوا الفساد والتكش

ف في صفوف المسلمات .. فما استطاعو
ا ..

وفي أحد الأيام جاءت امرأة مسلمة إلى سو
ق يهود بني قينقاع ..

وكانت عفيفة متسترة .. فجلست إلى صائغ
هناك منهم ..

فاغتاظ اليهود من تسترها وعفتها .. وودو
ا لو يتلذذون بالنظر إلى وجهها .. أو لمس

ها والعبث بها .. كما كانوا يفعلون ذلك قب
ل إكرامها بالإسلام .. فجعلوا يريدونها عل
ى كشف وجهها .. ويغرونها لتزع حجابها

ا ..
فأبت .. وتمنعت ..

فغافلها الصائغ وهي جالسة .. وأخذ طرف
ثوبها من الأسفل .. وربطه إلى طرف خما
رها المتدلي على ظهرها ..

فلما قامت .. ارتفع ثوبها من ورائها .. وت
كشفت أعضاؤها .. فضحك اليهود منها ..
فصاحت المسلمة العفيفة .. وودت لو قتلو

ها ولم يكشفوا عورتها ..

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين .. سلَّ سد
يفه .. ووثب على الصائغ فقتله .. فشد إليه
ود على المسلم فقتلوه ..

فلما علم النبي r بذلك .. وأن اليهود قد نق
ضوا العهد وتعرضوا للمسلمات .. حاصره
م .. حتى استسلموا ونزلوا على حكمه ..

فلما أراد النبي r أن ينكل بهم .. ويثأر لعر
ض المسلمة العفيفة ..

قام إليه جندي من جند الشيطان ..
الذين لا يهمهم عرض المسلمات .. ولا صي
انة المكرمات ..

وإنما هم أحدهم متعة بطنه وفرجه ..
قام رأس المنافقين .. عبد الله بن أبي ابن
سلول ..

فقال : يا محمد أحسن في موالي اليهود وك
انوا أنصاره في الجاهلية ..

فأعرض عنه النبي r .. وأبى ..
إذ كيف يطلب العفو عن أقوام يريدون أن ت
شيع الفاحشة في الذين آمنوا !!

(8) رواه مسلم

(9) متفق عليه

(10) رواه الترمذي ومسلم

(11) رواه أبو داود

(12) رواه ابن ماجه والترمذي

وهو e ينتظر أن ينزل الله تعالى فيهما حكماً من عنده ..

فبينما خولة عند رسول الله e إذ هبط جبريل من السماء على رسول الله e ..

بقرآن فيه حكمها وحكم زوجها ..
فالتفت e إليها وقال : يا خويلة .. قد أنزل فيك وفي صاحبك قرآناً .. ثم قرأ " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير " إلى آخر الآيات من أول سورة المجادلة ..

ثم قال لها e مريه فليعتق رقبة ..

فقالت : يا رسول الله .. ما عنده ما يعتق ..

قال : فليصم شهرين متتابعين ..

قالت : والله إنه لشيوخ كبير ما له من صياح ..

قال : فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر ..

قالت : يا رسول الله .. ما ذاك عنده ..

فقال e : فإنا سنعينه بعرق من تمر ..

قالت : والله يا رسول الله .. أنا سأعينه بعرق آخر ..

فقال e : قد أصبت وأحسن .. فاذهبي فتصدقني به عنه .. ثم استوصي بآبن عمك خيراً .. (13)

فسبحان من وهبه اللين والتحمل مع الجميع .. حتى في مشاكلهم الشخصية .. يتفاعل معهم ..

وقد جربت بنفسى .. التعامل باللين والمهادنة العاطفية مع البنت والزوجة .. وقبل ذلك الأم والأخت .. فوجدت لها من التأثير الكبير .. ما لا يتصوره إلا من مارسه .. فالمرأة لا يكرمها إلا كريم .. ولا يهينها إلا لنيم ..

وقفة ..

فقام المنافق مرة أخرى .. وقال : يا محمد أحسن إليهم ..

فأعرض عنه النبي r .. صيانة لعرض المسلمات .. وغيره على العفيفات ..

فغضب ذلك المنافق .. وأدخل يده في جيب درع النبي r .. وجره وهو يردد :

أحسن إلى موالى .. أحسن إلى موالى ..

فغضب النبي r والتفت إليه وصاح به وقال : أرسلني ..

فأبى المنافق .. وأخذ يناشد النبي r العدول عن قتلهم ..

فالتفت إليه النبي r وقال : هم لك ..

ثم عدل عن قتلهم .. لكنه r أخرجهم من المدينة .. وطردهم من ديارهم ..

نعم المرأة العفيفة تستحق أكثر من ذلك ..

كانت خولة بنت ثعلبة t من الصحابيات الصالحات ..

وكان زوجها أوس بن الصامت شيخاً كبيراً يسرع إليه الغضب ..

دخل عليها يوماً راجعاً من مجلس قومه .. فكلما بها في شيء فردت عليه .. فتخاصما .. فغضب ف قال : أنت علي كظهر أمي .. وخرج غاضباً .. كانت هذه الكلمة في الجاهلية إذا قالها الرجل لزوجته صارت طلاقاً .. أما في الإسلام فلا تعلم ذلة حكمها ..

رجع أوس إلى بيته .. فإذا امرأته تتباعد عنه .. وقالت له : والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلا بي وقد قلت ما قلت .. حتى يحكم الله ورسوله في ذل بحكمه ..

ثم خرجت خولة إلى رسول الله e فذكرت له ما تلحق من زوجها .. وجعلت تشكو إليه ما سوء خلقها معها ..

فجعل رسول الله e يصبرها ويقول : يا خويلة ابني عمك .. شيخ كبير .. فاتقي الله فيه ..

وهي تدافع عبراتها وتقول : يا رسول الله .. أكل شبابي .. ونثرت له بطني .. حتى إذا كبرت سني .. وانقطع ولدي .. ظاهر مني .. اللهم إني أشكو إليك ..

قد تصبر المرأة على .. فقر زوجها .. وقبحه ..
وانشغاله .. لكنها قل أن تصبر على سوء خلقه
ه ..

مضت الأيام .. بل السنين .. ثم في أحد الم
ساجد تفاجأت أن الإمام هو ذلك الغلام .. و
قد صار شاباً متخرجاً من كلية الشريعة ..
ويعمل في سلك القضاء بأحد المحاكم .. لم
أذكره وإنما تذكرني هو ..

فانظر كيف انطبعت في ذهنه المحبة والتقد
ير بموقف عاشه قبل سنين ..

وأذكر أنني دعيت ليلة لإحدى الولائم .. فإذا
شاب مشرق الوجه يسلم علي بحرارة بي
ويذكرني بموقف لطيف وقع له معي في م
حاضرة ألقيتها في مدرسته لما كان غلاماً
صغيراً ..

وكم ترى من الناس الذين يحسنون التعامل
مع الصغار من يخرج من المسجد .. فترى
أباً يجره ولده الصغير بيده ليصل إلى هذا
لرجل فيسلم عليه ويبلغه بمحبة ولده له ..
وقد يقع مثل هذا الموقف في وليمة كبيرة أ
و عرس .. يكثر فيه المدعون ..

ولا أكتفك أنني أبالغ في إكرام الصغار والحد
فاوة بهم بعض الشيء .. بل والاستماع إل
ى أحاديثهم العذبة - وإن كانت في أكثر الأ
حيان غير مهمة - بل أزيد الحفاوة ببعضه
م أحياناً إكراماً لوالده وكسباً لمحبهته ..
أحد الأصدقاء كنت ألقاه أحياناً مع ولده ال
صغير .. فكنت أحتفي بالصغير والأطفه ..

لقيني صديقي هذا يوماً في محفل كبير .. ف
أقبل إلي بولده يسلم علي .. ثم قال : ماذا
فعلت بولدي ! يسألهم مدرسه قبل أيام ع
ن أمنياتهم في المستقبل .. فمنهم من قال :
أكون طبيباً .. والآخر قال : أكون مهندس
أ .. وولدي قال : أكون محمد العريفي !!

ويمكنك أن تلاحظ أنواع الناس في التعامل
مع الصغار .. عندما يدخل رجل إلى مجلس
عام ويظوف بالحاضرين مصافحاً .. وولده
من خلفه يفعل كفعله .. فمن الناس من يتغ
فل عن الصغير .. ومنهم من يصفحه بطر
ف يده .. ومنهم من يهز يده مبتسماً مردد
أ : أهلاً يا بطل .. كيف حالك يا شاطر ..
فهذا الذي تنطبع محبته في قلب الصغير ..

11. الصغار ..

كم هي المواقف التي وقعت لنا في صغرنا ولا تز
ال مطبوعة في أذهاننا إلى اليوم .. سواء كانت
مفرحة أو محزنة ..

عد بذاكرتك إلى أيام طفولتك .. ستذكر لا محالة
جائزة كرمت بها في مدرستك .. أو ثناء أثناه عل
يك أحد في مجلس عام .. فهي مواقف تحفر صو
رتها في الذاكرة .. فلا تكاد تنسى ..

وإلى جانب ذلك .. لا نزال نتذكر مواقف محزن
ة .. وقعت لنا في طفولتنا .. مدرس ضربنا .. أو
خصومة مع زملاء في المدرسة .. أو مواقف تع
رضنا فيها للإهانة من أسرتنا .. أو تعرض لها أ
حدنا من زوجة أبيه .. أو نحو ذلك ..

وكم صار الإحسان إلى الصغار طريقاً إلى التأثير
ليس فيهم فقط .. بل في آبائهم وأهليهم .. وكس
ب محبتهم جميعاً ..

يتكرر كثيراً لمدرس المرحلة الابتدائية أن يتصل
به أحد أبوي طالب صغير ويثني عليه وأنه أحبه
لمحبة ولده له وكثرة ذكره بالخير .. وقد يعبرو
ن عن هذه المشاعر في لقاء عابر .. أو هدية أو
رسالة ..

إذن لا تحتقر الابتسامة في وجه الصغير .. وكس
ب قلبه .. وممارسة مهارات التعامل الرائع مع
ه ..

ألقيت يوماً محاضرة عن الصلاة لطلاب صغار ف
ي مدرسة ..

فسألتهم عن حديث حول أهمية الصلاة .. فأجاب
أحدهم : قال e : بين الرجل وبين الكفر أو الشر
ك ترك الصلاة ..

أعجبني جوابه .. ومن شدة الحماس نزعنا ساء
ة يدي وأعطيته إياها ..

وكانت - عموماً - ساعة عادية كساعات الطبق
ة الكادحة !!

كان هذا الموقف مشجعاً لذلك الغلام .. أحب الع
م أكثر .. وتوجه لحفظ القرآن .. وشعر بقيمته ..

لا يستطيع حمله .. فقال : يا رسول الله وم
أصنع بولد الناقة ؟

فقال r : (وهل تلد الإبل إلا النوق) .. يعذ
بي سأعطيك بعيراً كبيراً .. لكنه - قطعاً -
قد ولدته ناقة ..

وقال r يوماً لأنس مماًزحاً : (يا ذا الأذني
ن) ..

وأقبلت إليه امرأة يوماً تشتكي زوجها .. ف
قال لها : زوجك الذي في عينه بياض
؟

ففزعرت المرأة وظنت أنه زوجها عمي بص
ره .. كما قال الله عن يعقوب عليه السلام
" وابيضت عيناه من الحزن " أي : عم

ي ..

فرجعت فزعة إلى زوجها وجعلت تنظر في
عينيه .. وتدقق ..

فسألها عن خبرها ؟!

فقالت : قد قال رسول الله إن في عينك
بياض ..

فقال لها : يا امرأة .. أما أخبرك أن بياضها
أكثر من سوادها ..

أي أن كل أحد في عينه بياض وسواد ..
وكان إذا مآزحه أحد تفاعل معه .. وض

حك وتبسم ..

دخل عليه عمر وهو r غضبان على نساء

ه .. لما أكثرن عليه مطالبته بالنفقة .. فقا

ل عمر : يا رسول الله .. لو رأيتنا

وكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ .. نَغْلِبُ النَّسَا

ع .. فكنا إذا سألت أحداً امرأته نفقةً قام

إليها فوجأ عنقها ..

فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُ

هُمْ نِسَاؤُهُمْ .. فطفق نساؤنا يتعلمن م

ن نساءهم ..

يعني فقويت علينا نساؤنا ..

فَتَبَسَّمَ الذَّبِيُّ r .. ثم زاد عمر الكلام ..

فازداد تبسم النبي r .. تلطفاً مع عمر

..

وتقرأ في أحاديث أنه تبسم حتى بدت نواجذ

كان المربي الأول e له أحسن التعامل مع الصغا
ر ..

كان لأنس بن مالك أخ صغير .. وكان r يمازحه
ويكنيه بأبي عمير .. وكان للصغير طير صغير يذ
عب به .. فمات الطير ..

فكان e يمازحه إذا لقيه .. ويقول : يا أبا عمي

ر .. ما فعل النغير ؟ يعني الطائر الصغير ..

وكان يعطف على الصغار ويلعبهم .. ويلعب ز

ينب بنت أم سلمة ويقول : (يا زوينب .. يا زوي

نب) ..

وكان إذا مر بصبيان يلعبون سلم عليهم ..

وكان يزور الأنصار ويُسلم على صبيانهم .. ويم

سح رؤوسهم ..

وعند رجوعه r من المعركة كان يستقبله الأطف

ل فيركبهم معه ..

فعند عودة المسلمين من مؤتة ..

أقبل الجيش إلى المدينة راجعاً ..

فتلقاهم النبي عليه الصلاة والسلام .. والمسلمو

ن ..

ولقيهم الصبيان يشندون ..

فلما رأى r الصبيان .. قال : خذوا الصبيان فاحم

لوهم ..

وأعطوني ابن جعفر ..

فأتى بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه ..

وكان r يتوضأ يوماً من ماء .. فأقبل إليه محمو

د بن الربيع طفل عمره خمس سنوات .. فجعل r

في فمه ماء ثم مجه في وجهه يمازحه .. (14) ..

وعموماً .. كان r ضحوكاً مزوحاً مع الناس ..

يدخل السرور إلى قلوبهم .. خفيفاً على النفوس

لا يمل أحد من مجالسته ..

أقبل إليه رجل يوماً يريد دابة ليسافر عليها أو ي

غزو ..

فقال r مماًزحاً له : (إني حاملك على ولد ناقة

ة) ..

فعجب الرجل .. كيف يركب على جمل صغير ..

حتى اجتمع عليه الناس وأجنوه إلى حائط
لعتبة بن ربيعة .. وشيبة بن ربيعة .. وهم
أ فيه ..

ورجع عنه من سفهاء ثقيف ممن كان يتبع
ه ..

فعمد r إلى ظل حبله من عنب فجلس فيه ..
وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقي م
ن سفهاء أهل الطائف ..

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي ت
حركت له رحمهما ..

فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدا
س .. وقالوا : له خذ قطعاً من هذا العنب ف
ضعه في هذا الطبق .. ثم اذهب به إلى ذلك
الرجل فقل له يأكل منه ..

ففعل عداس .. وجاء بالعنب .. حتى وضعه
بين يدي رسول الله r ثم قال له : كل ..

فمد رسول الله r يده إليه وقال : " بسم الله
" ثم أكل ..

نظر عداس إليه وقال :
والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلا

د ..
فقال له r : " ومن أهل أي بلاد أنت يا عدا

س ؟ وما دينك ؟ " ..
قال : نصراني .. وأنا رجل من أهل نينو

ى ..
فقال r : " من قرية الرجل الصالح يونس

بن متى ؟ " ..
فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى

؟
فقال r : " ذلك أخي .. كان نبياً .. وأنا نب

ي " ..
فأكب عداس على رسول الله r يقبل رأسه

ويديه وقدميه ..
وابنا ربيعة ينظران إليهما .. فقال أحدهما ل

صاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ..
فلما رجع عداس لسيدة .. وقد بدا عليه التأ

ثر بروية رسول الله وسماع كلامه ..
قال له سيدة : ويلك يا عداس ! ما لك تقبل

ه ..
إذن كان لطيف المعشر .. أنيس المجلس ..
فلو وطنا أنفسنا على مثل هذا التعامل مع الننا
س .. لشعرنا بطعم الحياة فعلاً ..

فكرة ..

الطفل طينة لينة نشكلها بحسب تعاملنا معه ..

12. العبيد والمماليك ..

كان يحسن الدخول إلى قلوبهم بما يناسب ..
لما توفي عم النبي r .. اشتد أذى قريش عليه
r ..

فخرج r إلى الطائف .. يلتمس من ثقيف النصرة
والمنعة بهم من قومه .. ورجا أن يقبلوا منه ما
جاءهم به من الله تعالى ..
خرج إليهم وحده ..

وصل إلى الطائف .. وعمد إلى نفر ثلاثة من ثقيف
ف وهم سادة ثقيف وأشرفهم وهم إخوة ثلاثة ..
عبد يا ليل .. ومسعود .. وحبيب .. بنو عمرو ب
ن عمير ..

فجلس إليهم r .. فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جا
ءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه عدا
ى من خالفه من قومه ..
فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أ
رسلك ..

وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ؟
أما الثالث فقال - متفلسفاً - :

والله لا أكلمك أبداً ! لنن كنت رسولاً من الله كم
أ تقول لأنك أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلا
م .. ولنن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أك
لمك ..

فلما سمع منهم هذا الرد القبيح .. قام من عند
دهم .. وقد ينس من خير ثقيف ..

لكنه خاف أن تعلم قريش بخبر ثقيف معه فيجترئ
ون عليه أكثر .. فقال لهم :

إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا على ..
فلم يفعلوا .. وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسب
ونه ويصيحون به ..

رش رداءه ونام ..
في هذه الأثناء كان رجل من المشركين يتبعهم ..
فلما رأى رسول الله خالياً .. أقبل يمشي بهدوء .. حتى التقط السيف من على الغصن .. وصاح بأعلى صوته :
يا محمد .. من يمنعك مني ؟

فاستيقظ رسول الله .. والرجل قائم على رأسه .. والسيف صلتاً في يده .. يلتصق منه الموت ..

الرسول وحيداً .. ليس عليه إلا إزار .. أصحابه متفرقون عنه .. نائمون .. والرجل يعيش نشوة القوة والانتصار .. ويردد : من يمنعك مني ؟ من يمنعك مني ؟ فقال بكل ثقة : الله ..

فانتفض الرجل وسقط السيف .. فقام والتقط السيف وقال : من يمنعك مني ؟

فغیر الرجل .. واضطرب .. وأخذ يسترحم النبي .. ويقول : لا أحد .. كن خير آخذ ..

فقال له : تسلّم ؟ قال : لا .. ولكن لا أكون في قوم هم حرب لك ..

فعفا عنه .. وأحسن إليه !! وكان الرجل ملكاً في قومه .. فانصرف إليهم فدعاهم إلى الإسلام .. فأسلموا .. نعم .. أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم .. بل حتى مع الأعداء الألداء كان له خلق عظيم .. كسب به نفوسهم .. وهدى قلوبهم .. ودحر به كفرهم ..

لما ظهر به دعوته بين الناس .. جعلت قريش تحاول حربه بكل سبيل .. وكان مما بذلته أن تشاور كبارها في التعامل مع دعوته .. وتسارع الناس للإيمان به ..

فقالوا : أنظروا أعلمكم بالسحر والكهانة و

رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ فقال : يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا .. لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي .. فقال سيده : ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك .. فإن دينك خير من دينه .. فهل نستطيع نحن اليوم أن نجعل تعاملنا راقياً مع الجميع .. مهما كانت طبقاتهم ؟

لمحة ..

عامل البشر على أنهم بشر .. لا على أشكالهم .. أو أموالهم .. أو وظائفهم ..

13. مع المخالفين ..

الكفار .. كان r يعاملهم بالعدل .. ويستमित في سبيل دعوتهم وإصلاحهم .. ويتحمل أذاهم .. ويتغاضى عن سوءهم .. كيف لا .. وقد قال له رب ه : (وما أرسلناك إلا رحمة) .. لمن ؟! للمؤمنين ؟! لا .. (إلا رحمة للعالمين) .. وتأمل حال اليهود .. يذمونهم ويبتدون بالعداوة .. ومع ذلك يرفق بهم ..

وعن عائشة قالت : إن اليهود مروا ببית النبي r فقالوا :

السام عليكم (أي : الموت عليك) .. فقال r : وعليكم ..

فلم تصبر عائشة لما صنعتهم .. فقالت : السام عليكم .. ولعنكم الله وغضب عليكم .. فقال : مهلاً يا عائشة .. عليك بالرفق .. وإياك والعنف والفحش ..

فقالت : أو لم تسمع ما قالوا ؟ فقال : أو لم تسمعي ما قلت ؟! رددت عليهم فيستجاب لي .. ولا يستجاب لهم في .. نعم .. ما الداعي إلى مقابلة السباب بالسباب ! ألا يس الله قد قال له : (وأعرض عن الجاهليين) ..

وفي يوم .. خرج مع أصحابه في غزوة .. فلما كانوا في طريق عودتهم .. نزلوا في واد كثير الشجر ..

فتفرق الصحابة تحت الشجر وناموا .. وأقبل إلى شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها .. وف

وان كان هذا الذي يأتيك رياءً من الجن ترا
ه .. لا تستطيع رده عن نفسك .. طلبنا لك
الطب .. وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك من
ه .. فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى
يتداوى منه ..

ومضى عتبة يتكلم بهذا الأسلوب السيء م
ع رسول الله e .. ويعرض عليه عروضاً
ويغريه .. والنبي عليه الصلاة والسلام يذ
صت إليه بكل هدوء ..

وانتهت العروض .. ملك .. مال .. نساء ..
علاج من جنون !!

سكت عتبة .. وهذا .. ينتظر الجواب ..
فرجع النبي عليه الصلاة والسلام بصره إليه
ه وقال بكل هدوء :

أفرغت يا أبا الوليد ؟
لم يستغرب عتبة هذا الأدب من الصادق الأ
مين .. بل قال باختصار : نعم ..
فقال e : فاسمع مني ..

قال : أفعل ..

فقال e : بسم الله الرحمن الرحيم " حم *
تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ
بِ فُصُحَاتٍ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّ
قَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَ
أَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
نَ ..) ..

ومضى النبي عليه الصلاة والسلام .. يتلوا
الآيات وعتبة يستمع ..
وفجأة جلس عتبة على الأرض .. ثم اهتز
جسمه ..

فألقي يديه خلف ظهره .. واتكأ عليهما ..
وهو يستمع .. ويستمع .. والنبي يتلو .. و
يتلو ..

حتى بلغ قوله تعالى ..
(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَا
عِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ
دَ) .. فانتفض عتبة لما سمع التهديد باله
ذاب .. وقف ووضع يديه على فم رسول ا
لله e .. ليوقف القراءة ..
فاستمر e يتلو الآيات .. حتى انتهى إلى الآ

الشعر فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا .. و
شتت أمرنا .. وعاب ديننا .. فليكلمه ولينظر ماذا
يرد عليه ..

فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة ..

فقالوا : أنت يا أبا الوليد ..

وكان عتبة سيداً حليماً ..

فقال : يا معشر قريش .. أترون أن أقوم إلى هذا
فأكلمه .. فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منها
بعضها ..

قالوا : نعم يا أبا الوليد ..

فقام عتبة وتوجه إلى رسول الله e ..

دخل عليه .. فإذا جالس بكل سكينة ..

فلما وقف عتبة بين يديه .. قال : يا محمد ! أنت
خير أم عبد الله ؟!

فسكت رسول الله e .. تأدباً مع أبيه عبد الله ..

فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟

فسكت e .. تأدباً مع جده عبد المطلب ..

فقال عتبة : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ف
قد عبدوا الآلهة التي عبت .. وإن كنت تزعم أن
ك خير منهم .. فتكلم حتى نسمع قولك ..
وقبل أن يجيب النبي بكلمة .. ثار عتبة وقا
ل :

إنا والله ما رأينا سخله قط أشأم على قومه من
ك !!! فرقت جماعتنا .. وشتت أمرنا .. وعبت د
يننا .. وفضحتنا في العرب .. حتى لقد طار فيهم
أن في قريش ساحراً .. وأن في قريش كاهناً ..
والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبل .. أن يقوم
بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ..

كان عتبة متغيراً غضباناً .. والنبي ساكت ي
ستمع بكل أدب ..

وبدأ عتبة يقدم إغراءات ليتخلى النبي عن ال
دعوة .. فقال :

أيها الرجل إن كنت جئت بالذي جئت به لأجل الم
ال .. جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً ..
وان كنت إنما بك حب الرئاسة .. عقدنا ألويتنا ل
ك فكنت رأساً ما بقيت ..

وإن كان إنما بك الباه والرغبة في النساء .. فاخ
تر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً !!!

ية التي فيها سجدة التلاوة .. فسجد ..

ثم رفع رأسه من سجوده .. ونظر إلى عتبة وقا
ل : سمعت يا أبا الوليد ؟

قال : نعم ..

قال : فأنت وذاك ..

فقام عتبة يمشي إلى أصحابه .. وهم ينتظرونه
متشوقين ..

فلما أقبل عليهم .. قال بعضهم لبعض : نحلف با
للّه لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به
ه ..

فلما جلس إليهم .. قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد
؟

فقال : ورأيي أنني واللّه سمعت قولاً ما سمعت م
ثله قط .. واللّه ما هو بالشعر .. ولا السحر .. و
لا الكهانة ..

يا معشر قريش : أطيعوني واجعلوها بي .. خلوا
بين هذا الرجل وبين ما هو فيه .. فواللّه ليكون
لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ..

يا قوم !! قرأ بسم الله الرحمن الرحيم " حم * تن
زيل من الرحمن الرحيم " حتى بلغ : " فقل أنذر
تكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود " فأمسكته به
فيه .. وناشدته الرحم أن يكف .. وقد علمتم أن
محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب .. فخفت أن ينزل به
كم العذاب ..

ثم سكت أبو الوليد قليلاً متفكراً .. وقومه واجم
ون يحدون النظر إليه ..

فقال : واللّه إن لقوله لحلاوة .. وإن عليه لطلاو
ة .. وإن أعلاه لمثمر .. وإن أسفله لمغدق .. وإن
ه ليعلو وما يعلى عليه .. وإنه ليحطم ما تحته ..
وما يقول هذا بشر .. وما يقول هذا بشر ..

قالوا : هذا شعر يا أبا الوليد .. شعر ..

فقال : واللّه ما رجل أعلم بالأشعار مني .. ولا أع
لم برجزه ولا بقصيده مني .. ولا بأشعار الجن ..
واللّه ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا ..

ومضى عتبة يناقش قومه في أمر رسول الله
.. صحيح أن عتبة لم يدخل في الإسلام .. لك

ن نفسه لانت للدين ..

فتأمل كيف أثر هذا الخلق الرفيع .. ومهارة حس
ن الاستماع في عتبة مع أنه من أشد الأعداء ..

وفي يوم آخر ..

تجتمع قريش .. فينتدبون حصين بن المنذ
ر الخزاعي .. وهو أبو الصحابي الجليل ع
مران بن حصين ..

ينتبونه لنقاش النبي عليه الصلاة والسلام
ورده عن دعوته ..

يدخل أبو عمران على النبي ع وحوله أصد
ابه .. فيردد عليه ما تردده قريش دوماً ..
فرقت جماعتنا .. شئت شملنا .. والنبي ع ي

نصت بلطف ..

حتى إذا انتهى .. قال له ع بكل أدب ..

أفرغت يا أبا عمران ..

قال : نعم ..

قال : فأجبنني عما أسألك عنه ..

قال : قل .. أسمع ..

فقال : يا أبا عمران .. كم إلهاً تعبد الي
وم ؟

قال : سبعة ...!! ستة في الأرض .. وواحد
أ في السماء ...!!

قال : فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك ؟

قال : الذي في السماء ..

فقال بكل لطف : يا حصين أما إنك لو أ
سلمت علمتك كلمتين ينفعانك ..

فما كان من حصين إلا أن أسلم في مكانه ف
وراً ..

ثم قال : يا رسول الله .. علمني الكلمتين ال
لتين وعدتني ..

فقال : قل : اللهم ألهمني رشدي .. وأ
عذني من شر نفسي ..

آآه ما أروع هذا التعامل الراقي ! وشدة تأ
ثيره في الناس عند مخالطتهم ..

وهذا التعامل الإسلامي الدعوي يفيد في دع
وة الكفار وجذبهم إلى الخير ..

سافر أحد الشباب للدراسة في ألمانيا فسك
ن في شقة .. وكان يسكن أمامه شاب ألماني
ي ، ليس بينهما علاقة ، لكنه جاره ..

سافر الألماني فجأة .. وكان موزع الجرائد
يضع الجريدة كل يوم عند بابه .. انتبه صا
حبنا إلى كثرة الجرائد .. سأل عن جاره ..

من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها ..
وفي يوم آخر .. رأى r قرية نمل قد أحرق
ت ..

فقال : من أحرق هذه ؟
قال بعض أصحابه : أنا ..
فغضب وقال : لا ينبغي أن يُعذب بالنار إلا
رب النار ..
وكان r من رأفته .. أنه إذا توضع وأقبلت إ
ليه هرة ..

أصغى لها الإناء .. فتشرب .. ثم يتوضأ بف
ضلها ..

ومر r يوماً على رجل ملقى شاة على الأ
رض .. وقد وضع رجله على صفحة عنقها
ممسكاً لها ليذبحها .. وهو يحد شفرته ..
وهي تلحظ إليه ببصرها ..
فغضب r لما رآه .. وقال : أتريد أن تميتها
موتتين ؟ هلا حددت شفرتك قبل أن تضجع
ها ؟

ومر يوماً برجلين يتحدثان .. وقد ركب كل
منهما على بعيره ..

فلما رآهما رحم البعيرين .. ونهى أن تتخذ
الدواب كراسي .. يعني لا تركب البعير إلا
وقت الحاجة فقط .. فإذا انتهت حاجتك فانز
ل ودعه يرتاح ..

ونهى r عن وسم الدابة في الوجه ..

ومن أطرف ما ذكر ..

أنه كان للنبي r ناقة تسمى العضباء ..
ثم إن نفراً من المشركين أغاروا على إبل
للمسلمين .. كانت ترعى في أطراف المدي
نة ..

فذهبوا بها .. وكانت العضباء فيها ..
وأسروا امرأة من المسلمين .. واستاقوها
معهم ..

وهرب المشركون .. بالمرأة والإبل ..
وكانوا إذا نزلوا أثناء الطريق .. أطلقوا الإ
ل ترعى حولهم ..

فنزلوا منزلاً فناموا .. فقامت المرأة بالليل
لتهرب منهم ..

فأقبلت إلى الإبل لتركب إحداها .. فجعلت كل

لحم الجرائد ووضعها في درج خاص .. وصار ي
جمعها كل يوم ويرتبها ..

لما رجع صاحبه بعد شهرين أو ثلاثة .. سلم عليه
ه وهناك بسلامة الرجوع .. ثم ناوله الجرائد .. و
قال له : خشيت أنك متابع لمقال .. أو مشترك ف
ي مسابقة .. فأردت أن لا يفوتك ذلك ..

نظر الجار إليه متعجباً من هذا الحرص .. فقا
ل : هل تريد أجراً أو مكافأة على هذا ؟

قال صاحبنا : لا .. لكن ديننا يأمرنا بالإحسان إل
ى الجار .. وأنت جار فلا بد من ا
لإحسان إليك

ثم ما زال صاحبنا محسناً إلى ذلك الجار .. حتى
دخل في الإسلام ..

هذه والله هي المتعة الحقيقية بالحياة .. أن تشع
ر أنك رقم على اليمين .. تتعبد لله بكل شيء حت
ى بأخلاقك ..

وكم صدأ أعداداً كبيرة من الكفار عن الدخول ف
ي الإسلام تعاملات فريق من المسلمين معهم ..
فيظلمونهم عمالاً .. ويغشونهم متسوقين .. ويؤ
نونهم جيراناً ..
فهل نبدأ من جديد معهم ..

إضاءة ..

خير الداعين من يدعو بأفعاله قبل أقواله ..

14. الحيوانات !!

من صارت المهارات الحسنة ديدنه .. تحولت إل
ى طبع يخالط دمه وعقله .. لا ينفك عنه أبداً ..
فتجده دائماً ليناً هيناً رقيقاً متحملاً عطوفاً ..
مع كل أحد .. حتى مع الحيوانات .. والجمادا
ت ..

كان رسول الله r في سفر .. فانطلق ليقضي حاج
ته ..

فرأى بعض الصحابة دُمرة معها فرخان .. فأخذ
بعضهم فرخيها .. فجاءت الحمرة ..

فجعلت تحوم حولهم وترفرف بجناحيها ..
فلما جاء النبي ورآها .. التفت إلى أصحابه
وقال :

ما أتت على بعير رغا بأعلى صوته .. فتركه خ
وفاً من استيقاظهم ..

وجعلت تمر على الإبل واحداً واحداً ..

حتى أتت على العضباء .. فحركتها فإذا ناقة ذلو
ل مجرسة .. فركبتها المرأة .. ثم وجهتها نحو ال
مدينة .. فانطلقت العضباء مسرعة .. فلما شعر
ت المرأة بالنجاة .. اشتد فرحها .. فقالت :
اللهم إن لك عليّ نذراً .. إن أنجيتني عليها أن أ
نحرها !!..

وصلت المرأة إلى المدينة .. فعرف الناس ناقة ال
نبي ..

نزلت لمرأة في بيتها ومضوا بالناقة إلى النبي

..

فجاءت المرأة تطلب الناقة لتنحرها !!

فقال : بنس ما جزيتها .. أو بنس ما جزته

ا .. إن أنجاها الله عليها لتنحرها !!

ثم قال r : " لا وفاء لنذر في معصية الله ولا في

ما لا يملك ابن آدم " .

فلماذا لا تحول مهارتك في التعامل – كالرفق وا
لبشر والكرم – إلى سجية تلازمك على جميع أح
والك .. مع كل شيء تتعامل معه .. حتى الجمادا
ت والأشجار !!..

كان النبي r يقوم يوم الجمعة .. فيسند ظهره إلى

جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس .. فقال

ت امرأة من الأنصار :

يا رسول الله .. ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه .. ف

إن لي غلاماً نجاراً ..

قال : إن شئت ..

فعملت له المنبر ..

فلما كان يوم الجمعة .. صعد النبي r على المنبر

الذي صنع له ..

فلما قعد r على ذلك المنبر .. خار الجذع كخوار

الثور .. وصاحت النخلة .. حتى كادت أن تنشد

ق .. وارتج المسجد ..

فنزل النبي r فضم الجذع إليه .. فجعلت النخلة تن

ن أنين الصبي الذي يُسكّت حتى استقرت ..

ثم قال r : (أما و الذي نفس محمد بيده .. لو لم

الترمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة ..)

إشارة ..

الله كرّم الإنسان .. لكن ذلك لا يفتح المجا
ل له لاضطهاد بقية المخلوقات ..

15. 100 طريقة لكسب قلوب الناس

كل صاحب هم يتفنن في صيد ما يريد ..

عاشق المال يتفنن في جمعه وتنميته .. وي

حرص على تعلم مهارات التجارة والرب

ح ..

القنوات الفضائية تتفنن في اصطياد الناس

بتنوع البرامج واختيار الأساليب المتجدد

ة .. وتدريب مقدمي البرامج على مهارات

تجذب الناس لمتابعتها ..

وقل مثل ذلك في وسائل الإعلام المقروء

ة .. والمسموعة ..

ومثله مروجو البضائع المختلفة سواء كان

ت حلالاً أم حراماً ..

كلهم يحرصون على إتقان المهارات التي ت

فيدهم في مجالهم الذي يحبونه ..

وكسب القلوب فن من الفنون له طريقه وأس

اليه ..

هب أنك دخلت مجلساً فيه أربعون رجلاً ..

فمررت بالناس تصافحهم ..

فالأول مددت يدك إليه مسلماً فناولك طرف

يده .. وقال ببرود : أهلاً .. أهلاً ..

والثاني كان مشغولاً بحديث جانبي .. ففاج

أته بالسلام .. فرد ببرود أيضاً وصافحك د

ون أن ينظر إليك ..

والثالث كان يتحدث بهاتفه .. فمد يده إليك

دون أن يتلفظ بكلمة ترحيب .. أو يبدي لك

أي اهتمام ..

أما الرابع .. فلما رآك مقبلاً قام مستعداً لل

سلام .. فلما التقت عينك بعينه ابتسم وأظه

ر البشاشة بقلبك ..

وصافحك بحرارة .. واحتفى بقدمك .. وأن

ت لا تعرفه ولا يعرفك !!

ثم أكملت سلامك على الناس .. وجلست ..

بالله عليك ! ألا تشعر أن قلبك ينجذب نحو

ذلك الشخص ؟

بلى .. ينجذب إليه .. وأنت لا تعرفه .. ولا تدري عن اسمه .. ولا تعلم وظيفته ولا مركزه .. ومع ذلك استطاع أن يسلب قلبك .. لا بماله .. ولا بمذ صبه .. ولا بحسبه ونسبه .. وإنما بمهارات تعا مله ..

إذن القلوب لا تكسب بالقوة ولا بالمال ولا بالجمال ولا بالوظيفة .. وإنما تكسب بأقل من ذلك وأسهل .. ومع ذلك فقليل من يستطيع كسبها .. أذكر أن أحد طلابي في الكلية أصيب بمرض نفسي .. كان نوعاً صعباً من الاكتئاب .. كان والده ضابطاً يشغل منصباً عالياً .. جاءه راراً إلى الكلية وقابلني وتعاوناً على علاج ابنه ..

كنت أذهب إلى بيتهم أحياناً فأراه قصراً منيفاً .. وأرى مجلس الأب مليئاً بالضيوف .. لا تكاد تجد فيه مكاناً فارغاً .. كنت أعجب من محبة الناس لهذا الرجل وإقبالهم عليه ..

مضت سنوات وتقاعد الأب من منصبه .. فذهبت إليه زائراً .. دخلت القصر .. ثم دلفت إلى المجلس وفيه أكثر من خمسين كرسيّاً .. فلم أر في المجلس إلا الرجل يتابع برنامجاً في التلفاز .. وخادماً يخدمه بالقهوة والشاي .. جلست معه قليلاً ..

فلما خرجت جعلت أتذكر حاله لما كان في وظيفته .. وحاله الآن .. ما الذي كان يجمع الناس فيهم ما مضى ؟

ما الذي كان يجعلهم يلتزمون عليه مؤانسين متحبين بين ؟!

أدركت عندها أن الرجل لم يكسب الناس بأخلاقه ولطفه وحسن تعامله .. وإنما كسبهم بمنصبه وجاهته وسعة علاقاته ..

فلما زال المنصب زالت معه المحبة .. فخذ من صاحبنا درساً .. وتعامل مع الناس بمهارات تجعلهم يحبونك لشخصك .. يحبون أحاديثك وابتسامتك ورفقك وحسن معشرك .. يحبون تغاضيك عن أخطائهم .. ووقوفك معهم في مصائبهم ..

م ..

لا تجعل قلوبهم معلقة بكرسيك وجيبك !! الذي يوفر لأولاده وزوجته المال والطعام والشراب لم يكسب قلوبهم .. وإنما كسب بطونهم ..

والذي يغدق على أهله الأموال .. مع سوء التعامل .. لم يكسب قلوبهم .. إنما كسب جيوبهم ..

لذلك لا تستغرب إذا وجدت شاباً تقع له مشكلة فيشكوها إلى صديق أو إمام مسجد أو مدرس .. ويترك أباه .. لأن الأب لم يكسب قلبه .. ولم يحطم الأسوار بينهما .. بينهما كسب هذا القلب مدرس أو صديق .. وربما ما كسبه عدو حاقد !!

وأمر آخر مهم ..

ألا تلاحظ معي أن بعض الناس إذا دخل مجلساً مزدحماً .. وجعل يتلفت باحثاً عن مكان يجلس فيه .. رأيت الجالسين يتسابقون عليه كل يناديه ليجلس بجانبه !.. لماذا؟

هل دعيت يوماً إلى عشاء .. وكان بنظام (البوفيه المفتوح) .. بحيث إن كل شخص يأخذ طعامه في طبق ويجلس على إحدى الطاولات الدائرية .. ألم تر بعض الناس ما إن يملأ طبقه بالطعام حتى يتهافت عدد من الناس يشيرون إليه بوجود مكان فارغ .. ليجلس معهم ..

بينما آخر يملأ طبقه بالطعام .. ويتلفت ولا أحد يناديه أو يقبل عليه .. حتى تسوقه قدمه إلى إحدى الطاولات ..

لماذا حرص الناس على الأول دون الثاني ؟!

ألا تشعر أن بعض الناس تقبل عليه القلوب أينما كان .. وكأن في يده مغناطيس يجذبها به جذباً !!

عجباً ! كيف استطاع هؤلاء جميعاً كسب الناس ؟!

إنها طرق ذكية يستطيع بها الشخص أن يصيد بها القلوب ..

قرار ..

قدرتنا على أسر قلوب الآخرين .. وكسب محبتها
م الصادقة .. تمنحنا جانباً كبيراً من المتعة بالحد
ياة ..

فما هما الخصلتان : قيام الليل ! صيام النه
ار ؟ ..

استبشر الأشج t .. وقال : ما هما يا رسو
ل الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام (الح
م .. والأناة) .. (16)

وسئل r عن البر ؟.. فقال : (البر حسن ال
خلق) .. (17)

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقا
ل : (تقوى الله وحسن الخلق) .. (18)
وقال r : (أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم
أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤا
فون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) ..
(19)

وقال : (ما شيء أثقل في الميزان من
حسن الخلق) .. (20)

وقال r : (إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه در
جة قائم الليل وصائم النهار) .. (21)
ومن حسن خلقه ربح في الدارين .. وإن ش
ئت فانظر إلى أم سلمة t ..

وقد جلست مع رسول الله r .. فتذكرت الآ
خرة وما أعد الله فيها ..

فقالت : يا رسول الله .. المرأة يكون لها ز
وجان في الدنيا .. فإذا ماتت .. وماتا ..
فإذا ماتت وماتا ودخلوا جميعاً إلى الجن
ة .. فلمن تكون ؟

فماذا قال ؟ تكون لأطولهما قياماً ؟ أم لأكث
رهما صياماً ؟ أم لأوسعهما علماً ؟ كلا ..

وإنما قال : تكون لأحسنهما خلقاً ..
فعجبت أم سلمة .. فلما رأى دهشتها قال ع
ليه الصلاة والسلام :

يا ااا أم سلمة .. ذهب حسن الخلق بخيري ا
لدنيا والآخرة ..

(16) رواه أحمد

(17) رواه مسلم

(18) رواه الترمذي

(19) رواه الترمذي

(20) رواه البخاري في الأدب المفرد

(21) رواه الترمذي

16. أحسن النية.. لوجه الله ..

جعلت أتأمل أساليب تعامل بعض الأشخاص .. و
عشت معهم سنين .. لا أذكر أنني رأيت منهم ابت
سامة .. بل ولا حتى مجاملة بضحك على طرف
ة .. أو تفاعل مع متحدث .. كنت أظن أنهم نشئو
ا هكذا ولا يستطيعون غيره ..

ثم تفاجأت برؤيتهم في مواطن معينة .. ومع بع
ض الناس – من الأغنياء وأصحاب النفوذ تحديد
اً – يحسنون الضحك والتلطف ..

فأدركت أنهم ما يفعلون ذلك إلا لمصلحة .. فيفوت
هم بذلك أجر عظيم ..

إذن المؤمن يتعبد لله تعالى بأخلاقه ومهارات تعا
مله .. مع جميع الناس .. لا لأجل منصب أو ما
ل .. ولا لأجل أن يمدحه الناس .. ولا لأجل أن ي
زوج أو يسلف مالا .. وإنما ليحبه الله ويحبيه إل
ى خلقه ..

نعم .. من اعتبر حسن الخلق عبادة .. صار يتعا
مل بأحسن المهارات مع الغني والفقير .. والمدي
ر والفراش ..

لو مررت يوماً بعامل مسكين يكنس الشارع ..
ومد يده إليك ؟ ودخلت يوماً آخر على مسئول ك
بير فمد يده .. هل هما متساويان ؟ في احتفانك ب
هما .. وتبسمك وبشاشتك ؟

لا أدري !!

أما رسول الله ع فكانا عنده متساويين في الاحتفا
ع والنصح والشفقة ..

وما يدريك لعل من تزدرية وتتكبر عليه يكون عن
د الله خيراً من ملء الأرض من مثل الذي تكرمه
وتقبل عليه ..

قال (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً

يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) (15) ..

وقال للأشج بن عبد قيس : (إن فيك لخصلتين ي
حبهما الله ورسوله) ..

تأمل حياته r .. كيف كان يتعامل مع الناس
س .. كيف كان يعالج أخطاءهم .. ويتحمل
أذاهم ..

كيف كان يتعب لراحتهم .. وينصب لدعوتهم
م ..

فيوماً تراه يسعى في حاجة مسكين .. ويوماً
مأً يفصل خصومة بين المؤمنين ..

ويوماً يدعو الكافرين ..
حتى كبرت سنه .. ورق عظمه .. ووصفت
عائشة حاله فقالت :

كان أكثر صلاة النبي r بعدما كبر جالساً
(لماذا ؟؟) ..

بعدما حطمه الناس .. نعم .. حطمه الناس
س ..

وإذا كانت النفوس كباراً *** تعبت
في مرادها الأجسام

بل بلغ من حرصه r على الخلق الحسن ..
أنه كان يدعو الله فيقول - (اللهم كما أهد

سنت خَلَقِي فأحسن خَلْقِي) (22) ..
وكان يقول : (اللهم أهدني لأحسن الأخلاق

ق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأصرف عني
سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت) (23)

فنحن نحتاج إلى أن نقفدي به r في أخلاق
ه ..

مع المسلمين لكسبهم ودعوتهم ..
بل ومع الكافرين ليعرفوا حقيقة الإسلام ..

إشارة ..
أحسن النية .. لتكون مهارات تعاملك مع
آخرين عبادة تتقرب بها إلى الله ..

17. استعمل الطُّعْم المناسب !!
الناس بطبيعتهم يتفقون في أشياء كلهم يد
بونها ويفرحون بها ..
ويتفقون في أشياء أخرى كلهم يكرهونها
ا ..

نعم ذهب بخيري الدنيا والآخرة ..
أما خير الدنيا فهو ما يكون له من محبة في قلوب
ب الخلق .. وأما خير الآخرة فهو ما يكون له م
ن الأجر العظيم ..

ومهما أكثر الإنسان من الأعمال الصالحات .. فإنه
ها قد تفسد عليه إذا كان سيء الخلق ..

ذكر للنبي r حال امرأة ..
وذكر له أنها تصلي وتصوم وتتصدق وتفعل .. لـ

كنها تؤذي جيرانها بلسانها .. (يعني سيئة الخلق
ق) ..

فقال r : (هي في النار) ..
وقد كان النبي r الأسوة الحسنة ..

في كل خلق حميد .. كان أكرم الناس .. وأشجع
هم .. وأحلمهم ..

كان أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها ..
كان أميناً صادقاً .. يشهد له الكفار بذلك قبل الم

ومنين .. والفساق قبل الصالحين ..
حتى قالت خديجة t أول ما نزل عليه الوحي .. لـ

ما رأيت تغير حاله .. قالت :
والله لا يخزيك الله أبداً .. (لماذا ؟؟) ..

إنك لتصل الرحم ..
وتحمل الكل ..

وتكسب المعدوم ..
وتقري الضيف ..

وتعين على نوائب الحق ..
وتصدق الحديث ..

وتؤدي الأمانة ..
بل أثنى الله عليه ثناء نتلوه إلى يوم القيامة .. فـ

قال : (وإنك لعلى خلق عظيم) ..
وكان r خلقه القرآن ..

نعم خلقه القرآن .. فإذا قرأ (وأحسنوا إن الله يـ
حب المحسنين) .. أحسن .. نعم أحسن إلى الكبيـ

ر والصغير .. والغني والفقير .. إلى شرفاء النـ
س ووضعاؤهم .. وكبارهم وصغارهم ..

وإذا سمع قول الله : (فاعفُوا واصفحُوا) ..
عفا وصفح ..

وإذا تلا : (وقولوا للناس حسناً) .. تكلم بأحد
ن الكلام ..

فمادام أنه r قدوتنا .. ومنهجه منهجنا ..

(22) رواه أحمد

(23) رواه مسلم

ويختلفون في أشياء منهم من يفرح بها .. ومنه
م من يستقلها ..

فكل الناس يحبون التبسم في وجوههم .. ويكره
ون العبوس والكآبة ..

لكنهم إلى جانب ذلك .. منهم من يحب المرح وال
مزاح .. ومنهم من يستقله ..

منهم من يحب أن يزوره الناس ويدعونه .. ومنه
هم الانطوائي ..

ومنهم من يحب الأحاديث وكثرة الكلام .. ومنهم
من ييغض ذلك ..

وكل واحد في الغالب يرتاح لمن وافق طباعه ..
فلماذا لا توافق طباع الجميع عند مجالستهم .. و

تعامل كل واحد بما يصلح له ليرتاح إليك ؟
ذكروا أن رجلاً رأى صقراً يطير بجانب غرا

ب !! فعجب .. كيف يطير ملك الطيور مع غرا
ب !! فجزم أن بينهما شيئاً مشتركاً جعلهما يتو

افقان ..
فجعل يتبعهما ببصره .. حتى تعب من الطيران ف

حطا على الأرض فإذا كلهما أعرج !!
فإذا علم الولد أن أباه يؤثر السكوت ولا يحب كث

رة الكلام .. فليتعامل معه بمثل ذلك ليحبه ويأنس
بقربه ..

وإذا علمت الزوجة أن زوجها يحب المزاح .. فلت
مازحه .. فإن علمت أنه ضد ذلك فلتتجنب ..

وقل مثل ذلك عند تعامل الشخص مع زملائه .. أ
و جيرانه .. أو إخوانه ..

لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم

طبائع لست تحصيها ألوان

أذكر أن عجوزاً صالحة - وهي أم لأحد الأصدقاء
ع - كانت تمدح أحد أولادها كثيراً .. وترتاح إذا

زارها أو تحدث معها .. مع أن بقية أولادها يبرو
ن بها ويحسنون إليها .. لكن قلبها مقبل على ذا

ك الولد ..
كنت أبحث عن السر .. حتى جلست معه مرة ف

سألته عن ذلك .. فقال لي : المشكلة أن إخواني
لا يعرفون طبيعة أمي .. فإذا جلسوا معها صارو

ا عليها ثقلاء ..
فقلت له مداعباً : وهل اكتشف معاليكم طبيعتهم

!!... ١

ضحك صاحبي وقال : نعم .. سأخبرك بالس
ر ..

أمي كبقية العجائز .. تحب الحديث حول الذ
ساء وأخبار من تزوجت وطلقت .. وكم عد

د أبناء فلانة .. وأيهم أكبر .. ومتى تزوج
فلان فلانة ؟ وما اسم أول أولادهما ..

إلى غير ذلك من الأحاديث التي أعتبرها أنا
غير مفيدة .. لكنها تجد سعادتها في تكرار

ها .. وتشعر بقيمة المعلومات التي تذكره
ا .. لأننا لن نقرأها في كتاب ولن نسمعها ف

ي شريط .. ولا تجدها - قطعاً - في شبكة
الإنترنت !!

فتشعر أمي وأنا أسألها عنها أنها تأتي بما
لم يأت به الأولون .. فتفرح وتنبسط .. فإذا

جالستها حركت فيها هذه المواضيع فابتهج
ت .. ومضى الوقت وهي تتحدث ..

وإخواني لا يتحملون سماع هذه الأخبار ..
فيشغلونها بأخبار لا تهمها .. وبالتالي تست

ثقل مجلسهم .. وتفرح بي !!
هذا كل ما هنالك ..

نعم أنت إذا عرفت طبيعة من أمامك .. وما
ذا يحب وماذا يكره .. استطعت أن تأسر قلب

ه ..
ومن تأمل في تعامل النبي e .. مع الناس

وجد أنه كان يعامل مع كل شخص بما يتنا
سب مع طبيعته ..

في تعامله مع زوجاته كان يعامل كل واحدة
بالأسلوب الذي يصلح لها ..

عائشة كانت شخصيتها انفتاحية .. فكان يم
زح معها .. ويلطفها ..

ذهبت معه مرة في سفر .. فلما قفلوا راجع
ين واقتربوا من المدينة .. قال للناس :

تقدموا عنا ..
فتقدم الناس عنه .. حتى بقي مع عائشة ..

وكانت جارية حديثة السن .. نشيطة البد
ن ..

فالتفت إليها ثم قال : تعالي حتى أسابقك ..
فسابقته .. وركضت وركضت .. حتى سبقت

ه ..

مسلمين .. فلم يصبر أبو حذيفة .. بل قا
ل :

أنقتل آباءنا وأبنائنا وإخواننا ونترك العبا
س !! والله لنن لقيته لألحمه بالسيف ..

فبلغت كلمته رسول الله e .. فالتفت النبي
عليه الصلاة والسلام .. فإذا حوله أكثر من
ثلاثمائة بطل ..

فوجه نظره فوراً إلى عمر .. ولم يلتفت إل
ى غيره .. وقال :

يا أبا حفص .. أ يضرب وجه عم رسول الله
بالسيف !؟

قال عمر : والله إنه لأول يوم كناني فيه ر
سول الله e بأبي حفص ..

وكان عمر رهن إشارة النبي e .. ويعلم أن
هم في ساحة قتال لا مجال فيها للتساهل ف
ي التعامل مع من يخالف أمر القائد .. أو ي
عترض أمام الجيش ..

فاختار عمر حلاً صارماً فقال : يا رسول ا
لله دعني فلاضرب عنقه بالسيف ..

فمنعه النبي e .. ورأى أن هذا التهديد كاف
في تهدئة الوضع ..

كان أبو حذيفة t رجلاً صالحاً .. فكان بعد
ها يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي
قلت يومئذ .. ولا أزال منها خائفاً إلا أن تك
فرها عني الشهادة .. فقتل يوم اليمامة شه
يداً t ..

هذا عمر .. كان e يعلم بنوع الأعمال التي
يسندها إليه .. فليس الأمر متعلقاً بجمع ص
دقات .. ولا بإصلاح متخاصمين .. ولا بتعط
يم جاهل .. وإنما هم في ساحة قتال فكانت
الحاجة إلى الرجل الحازم المهيب أكثر منها
إلى غيره .. لذا اختار عمر .. واستثاره : أ
يضرب وجه عم رسول الله بالسيف !؟

وفي موقف آخر ..
يقبل النبي e على خبير .. ويقا تل أهلها قتا
لاً يسيراً ..

ثم يصالحهم ويدخلها .. واشترط عليهم أن
لا يكتموا شيئاً من الأموال .. ولا يغيبوا ش

وبعدها بزمان .. خرجت معه r في سفر ..

بعدما كبرت وسمنت .. وحملت اللحم وبدنت ..
فقال r للناس : تقدموا .. فتقدموا ..

ثم قال لعائشة : تعالي حتى أسابقك .. فسابت
ه .. فسبقها ..

فلما رأى ذلك ..

جعل يضحك ويضرب بين كتفيها .. ويقول : هذه
بتلك .. هذه بتلك ..

بينما كان يتعامل مع خديجة تعاملأ آخر .. فقد ك
انت تكبره في السن بخمس عشرة سنة ..

حتى مع أصحابه .. كان يراعي ذلك .. فلم يلبس
أبا هريرة عباءة خالد .. ولم يعامل أبا بكر كما ي
عامل طلحة ..

وكان يتعامل مع عمر تعاملأ خاصأ .. ويسند إليه
ه أشياء لا يسندها إلى غيره ..

انظر إليه e وقد خرج مع أصحابه إلى بدر ..
فلما سمع بخروج قريش .. عرف أن رجالاً من

قريش سيحضرون إلى ساحة المعركة كرهاً ..
ولن يقع منهم قتال على المسلمين ..

فقام e في أصحابه وقال : إني قد عرفت رجالاً
من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً .. لا حا

جة لهم بقتالنا ..
فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ..

ومن لقي أبا البختری بن هشام فلا يقتله ..
ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله

e فلا يقتله .. فإنه إنما خرج مستكرهاً ..
وقيل إن العباس كان مسلماً يكتم إسلامه .. وينق

ل أخبار قريش إلى رسول الله e .. فلم يحب النب
ي e أن يقتله المسلمون .. ولم يحب كذلك أن يظ

هر أمر إسلامه ..

كانت هذه المعركة أول معركة تقوم بين الفريقي
ن .. المسلمين وكفار قريش ..

وكانت نفوس المسلمين مشدودة .. فهم لم يستع
دوا لقتال .. وسيقاتلون أقرباء وأبناء وآباء ..

وهذا رسول الله e يمنعهم من قتل البعض ..
وكان عتبة بن ربيعة من كبار كفار قريش .. وم

ن قادة الحرب ..
وكان ابنه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة .. مع ال

يناً .. ولا يخبئوا ذهباً ولا فضة .. بل يظهرون ذلك كله ويحكم فيه ..

وتوعدهم إن كنتموا شيئاً أن لا ذمة لهم ولا عه ..

وكان حيي بن أخطب من رؤوسهم .. وكان جاء من المدينة بجلد تيس مدبوغ ومخيطة ومملوء ذهباً وحلياً .. وقد مات حيي وترك المال .. فخبئوا ه عن رسول الله ..

فقال ه لعم حيي بن أخطب : ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النصير ؟ أي الجلد المملوء ذهباً ..

فقال : أذهبته النفقات والحروب .. فتفكر ه في الجواب .. فإذا موت حيي قريب والمال كثير .. ولم تقع حروب قريبة تضطرهم إلى إنفاقه ..

فقال ه : العهد قريب .. والمال أكثر من ذلك .. فقال اليهودي : المال والحلي قد ذهب كله .. فعلم النبي ه أنه يكذب .. فنظر ه إلى أصحابه فإذا هم كثير بين يديه .. وكلهم رهن إشارته .. فالتفت إلى الزبير بن العوام وقال : يا زبير .. مـ سـه بعذاب ..

فأقبل إليه الزبير متوقداً .. فانتفض اليهودي .. وعلم أن الأمر جد .. فقال : قد رأيت دُيياً يطوف في خربة ها هنا .. وأشار إلى بيت قديم خراب .. فذهبوا فطافوا فوجدوا المال مخبئاً في الخربة ..

هذا في حاله ه مع الزبير .. يعطي القوس باريه ..

وكان الصحابة يتعامل بعضهم مع بعض على هذا الأساس ..

لما مرض رسول الله ه مرض الموت .. واشتد عليه الوجع .. لم يستطع القيام ليصلي بالناس .. فقال وهو على فراشه : مروا أبا بكر فليصل بالناس ..

وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً .. وهو صاحب رسول الله ه في حياته وبعد مماته .. وهو صديقه في الـ جاهلية والإسلام .. وهو أبو زوجة النبي ه عائـ شة .. وهو .. وكان يحمل في صدره جبلاً من حـ

زن بسبب مرض النبي ه .. فلما أمر النبي ه أن يبلغوا أبا بكر ليصلي بالناس ..

قال بعض الحاضرين عند النبي ه : إن أبا بكر رجل أسيف .. أي رقيق .. إذا قام مقام ك لم يستطع أن يصلي بالناس .. أي من شدة التأثر والبكاء ..

وكان النبي ه يعلم ذلك عن أبي بكر .. أنه رجل رقيق يغلبه البكاء .. خاصة في هذا الموطن ..

لكنه ه كان يشير إلى أحقية أبي بكر بالخلافة من بعده .. يعني : إذا أنا غير موجود فـ أبو بكر يتولى المسؤولية ..

فأعاد ه الأمر : مروا أبا بكر فليصل بالناس .. حتى صلى أبو بكر ..

ومع رقة أبي بكر .. إلا أنه كان ذا هيبة .. وله حدة غضب أحياناً تكسوه جلالاً ..

وكان رفيق دربه عمر t يراعي ذلك منه .. انظر إليهم جميعاً y .. وقد اجتمعوا في سـ قيفة بني ساعدة .. بعد وفاة النبي ه .. ليتفـ قوا على خليفة ..

اجتمع المهاجرون والأنصار .. وانطلق عمـ ر إلى أبي بكر واصطحبا إلى السقيفة .. قال عمر : فأتيناها في سقيفة بني ساعدة .. فلما جلسنا تشهد خطيب الأنصار .. وأثنى على الله بما هو له أهل ثم قال :

أما بعد فنحن أنصار الله .. وكتيبة الإسلاـ م .. وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا .. وقد دفت دافة من قومكم وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا .. ويغصبونا الأمـ ر ..

فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زورت في نفسي مقالة قد أعجبتني ، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر .. وكنت أداري منه بعض الحدة ..

فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر .. فكرهت أن أغضبه ..

فتكلم وهو كان أعلم مني وأوقر .. فوالله مـ

أترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في
بيديته .. أو قال مثلها .. أو أفضل منها حتى
سكت ..

قال أبو بكر : أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له
أهل .. ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي
من قريش .. هم أوسط العرب نسباً وداراً .. وقد
رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ..

وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس
بيننا ..

ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها .. كان والله أن أقدم
دم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم .. أحب
إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ..
سكت الناس ..

فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المحكك .. و
عذيقها المرجب .. منا أمير ومنكم أمير يا معشر
قريش ..

قال عمر : فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى ت
خوفت الاختلاف ..

فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته ، ثم
م بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ..

نعم .. كل واحد من الناس له مفتاح تستطيع به ف
تح أبواب قلبه .. وكسب محبته والتأثير عليه ..
وهذا تلاحظه في حياة الناس .. أفلم تسمع زملاً
ع عملك يوماً يقولون : المدير .. مفتاحه فلا
ن .. إذا أردتم شيئاً فاجعلوا فلاناً يطلبه لكم .. أ
و يفتح المدير به ..

فلماذا لا تجعل مهارتك مفاتيح لقلوب الناس .. ف
تكون رأساً لا ذيل ..

نعم كن متميزاً .. وابحث عن مفتاح قلب أمك وأ
بيك وزوجتك وولدك ..

اعرف مفتاح قلب مديرك في العمل .. زملائك ..
ومعرفة هذه المفاتيح تفيدنا حتى في جعلهم يتقبل
ون النصح الذي يصدر منا لهم .. إذا أحسننا تقدي
م هذا النصح بأسلوب مناسب ..

فهم ليسوا سواء في طريقة النصح .. بل حتى ف
ي إنكار الخطأ إذا وقع منهم ..

وانظر إلى رسول الله ع وقد جلس يوماً في مجل
سه المبارك يحدث أصحابه ..

فبينما هم على ذلك .. فإذا برجل يدخل إلى
المسجد .. يتلفت يميناً ويساراً .. فبدل أن
يأتي ويجلس في حلقة النبي ع .. توجه إلى
زاوية من زوايا المسجد .. ثم جعل يحرك إ
زاره !!

عجباً !! ماذا سيفعل ؟!
رفع طرف إزاره من الأمام ثم جلس بكل ه
دوء .. يبول ..!!

عجب الصحابة .. وثاروا .. يبول في المس
جد !!

وجعلوا يتقافزون ليتوجهوا إليه .. والنبي
ع يهدئهم .. ويسكن غضبهم .. ويردد : لا
تزرموه .. لا تعجلوا عليه .. لا تقطعوا علي
ه بوله ..

والصحابه يلتفتون إليه .. وهو لعله لم يدر
عنهم .. لا يزال يبول ..

والنبي ع يرى هذا المنظر .. بول في المس
جد .. ويهدئ أصحابه !!

آآه ما أألمه !!
حتى إذا انتهى الأعرابي من بوله .. وقام ي
شد على وسطه إزاره .. دعاه النبي ع بكل
رفق ..

أقبل يمشي حتى إذا وقف بين يديه .. قال ل
ه ع بكل رفق :

إن هذه المساجد لم تبني لهذا .. إنما بنيت لل
صلاة وقراءة القرآن ..

انتهى .. نصيحة باختصار ..
فهم الرجل ذلك ومضى ..

فلما جاء وقت الصلاة أقبل ذاك الأعرابي و
صلى معهم ..

كبر النبي ع بأصحابه مصلياً .. فقرأ ثم رك
ع .. فلما رفع ع من ركوعه قال : سمع الله
لمن حمده ..

فقال المأمومون : ربنا ولك الحمد .. إلا ه
الرجل قالها وزاد بعدها : اللهم ارحمني و
محمدًا ولا ترحم معنا أحداً !!

وسمعه النبي ع .. فلما انتهت الصلاة .. الت
فت ع إليهم وسألهم عن القائل .. فأشاروا إ

ليه ..

فناداه النبي e فلما وقف بين يديه فإذا هو الأعرا بي نفسه .. وقد تمكن حب النبي e من قلبه حتى ود لو أن الرحمة تصيبهما دون غيرهما ..

فقال له e معلماً : لقد تحجرت واسعاً !! أي إن رحمة الله تعالى تسعنا جميعاً وتسع الناس .. ف لا تضيقها علي وعليك ..

فانظر كيف ملك عليه قلبه .. لأنه عرف كيف يتصرف معه .. فهو أعرابي أقبل من باديته .. لم يبلغ من العلم رتبة أبي بكر وعمر .. ولا معاذ و عمار .. فلا يؤاخذ بغيره ..

وإن شئت فانظر أيضاً إلى معاوية بن الحكم t .. كان من عامة الصحابة .. لم يكن يسكن المدينة .. ولم يكن مجالساً للنبي عليه الصلاة والسلام ..

وإنما كان له غنم في الصحراء يتتبع بها الخضراء ..

أقبل معاوية يوماً إلى المدينة فدخل المسجد .. و جلس إلى رسول الله r وأصحابه .. فسمعه يتكلم عن العطاس .. وكان مما علم أصحابه أن إذا سمع المسلم أخاه عطس فحمد الله فإنه يقول : ه : يرحمك الله ..

حفظها معاوية .. وذهب بها ..

وبعد أيام جاء إلى المدينة في حاجة .. فدخل المسجد فإذا النبي عليه الصلاة والسلام يصلي بأصحابه .. فدخل معهم في الصلاة ..

فبينما هم على ذلك إذ عطس رجل من المصلين ..

فما كاد يحمد الله .. حتى تذكر معاوية أنه تعلم أن المسلم إذا عطس فقال الحمد لله .. فإن أخاه ي قول له يرحمك الله ..

فبادر معاوية العاطس قائلاً بصوت عالٍ : يرحمك الله ..

فاضطرب المصلون .. وجعلوا يلتفتون إليه منكرين ..

فلما رأى دهشتهم .. اضطرب وقال : والله لا أفعل ما رأيته .. ما شأنكم تنظرون إليّ ؟ ..

فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ليسكت .. فلما رأهم يصمتونه صمت ..

فلما انتهت الصلاة ..

التفت r إلى الناس .. وقد سمع جلبتهم وأصواتهم .. وسمع صوت من تكلم .. لكنه صوت جديد لم يعتد عليه .. فلم يعرفه .. فسألهم :

من المتكلم .. فأشاروا إلى معاوية ..

فدعاه النبي عليه الصلاة والسلام إليه ..

فأقبل عليه معاوية فرعاً لا يدري بماذا سيستقبله .. وهو الذي أشغلهم في صلاتهم .. وقطع عليهم خشوعهم ..

قال معاوية t : فبأبي هو وأمي r .. والله ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه .. والله ما كهرني .. ولا ضربني .. ولا شتمني ..

وإنما قال : يا معاوية .. إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس .. إنما هي التسبيح والتكبير .. وقراءة القرآن .. أنت هـى .. نصيحة باختصار ..

ففهمها معاوية ..

ثم ارتاحت نفسه .. واطمأن قلبه .. فجعل يسأل النبي عليه الصلاة والسلام عن خواص أموره ..

فقال : يا رسول الله .. إني حديث عهد بجاهلية .. وقد جاء الله بالإسلام .. وإن منا رجلاً يأتون الكهان (وهم الذين يدعون علم الغيب) .. يعني فسألونهم عن الغيب ..

فقال r : فلا تأتهم .. يعني لأنك مسلم .. والغيب لا يعلمه إلا الله ..

قال معاوية : ومنا رجال يتطيرون (أي يتشاءمون بالنظر إلى الطير) ..

فقال r : ذاك شيء يجدونه في صدورهم .. فلا يصدّنهم (أي لا يمنعهم ذلك عن وجهتهم) .. فإن ذلك لا يؤثر نفعاً ولا ضرراً ..

هذا تعامله مع أعرابي بال في المسجد ..

د .. ورجل تكلم في الصلاة .. عاملهم مراعاة .. أحوالهم .. لأن الخطأ من مثلهم لا يستغفر ..

رب ..

أما معاذ بن جبل فقد كان من أقرب الصحابة إلى رسول الله e .. ومن أكثرهم حرصاً ..

فالتفت إلى معاذ وقال : أفتان أنت يا معاذ ؟! ..

يعني تريد أن تفتن الناس وتبغضهم في دينهم ..

أقرأ بـ "السماء والطارق" ، "والسماء ذات البروج" ، "والشمس وضحاها" ، "والليل إذا يغشى" ..

ثم التفت ع إلى الفتى وقال له متلطفاً : كيف تصنع أنت يا بن أخي إذا صليت ؟

قال : أقرأ بفاتحة الكتاب .. وأسأل الله الجنة .. وأعوذ به من النار ..

ثم تذكر الفتى أنه يرى النبي ع يدعو ويكثرون .. ويرى معاذاً كذلك ..

فقال في آخر كلامه : وإني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ .. أي دعاؤكما الطويل لا أعرف مثله !!

فقال ع : إني ومعاذ حول هاتين ندندن .. يعني دعاؤنا هو فيما تدعو به .. حول الجنة والنار ..

فقال الشاب : ولكن سيعلم معاذ إذا قدم القوم وقد خبروا أن العدو قد أتوا .. ما أصدع .. يعني في الجهاد في سبيل الله .. سيتبين لمعاذ إيماني وهو الذي يصفني بالنفاق !

فما لبثوا أياماً .. حتى قامت معركة فقاتل فيها الشاب .. فاستشهد ..

فلما علم به ع .. قال لمعاذ : ما فعل خصمي وخصمك ؟ يعني الذي اتهمته يا معاذ بالنفاق ..

قال معاذ : يا رسول الله ، صدق الله وكذبت .. لقد استشهد ..

فتأمل الفرق في طبائع الرجال .. ومقاماتهم .. وكيف أدى إلى اختلاف تعامل النبي معهم ..

بل .. انظر إلى تعامله مع أسامة بن زيد .. وهو حبيب رسول الله .. وقد تربى في بيته ..

بعث النبي ع أصحابه إلى الحرقات من قبيلة

على طلب العلم ..

فكان تعامل النبي مع أخطائه مختلفاً عن تعامله مع أخطاء غيره ..

كان معاذ يصلي مع رسول الله ع العشاء .. ثم يرجع فيصلّي بقومه العشاء إماماً بهم في مسجدهم .. فتكون الصلاة له نافلة ولهم فريضة ..

رجع معاذ ذات ليلة لقومه ودخل مسجدهم فكبر مصلياً بهم ..

أقبل فتى من قومه ودخل معه في الصلاة .. فلما أتم معاذ الفاتحة قال " ولا الضالين " فقالوا " آمين " ..

ثم افتتح معاذ سورة البقرة !!

كان الناس في تلك الأيام يتعبون في العمل في مزارعهم ورعيهم دوابهم طوال النهار .. ثم لا يكادون يصلون العشاء حتى يأوون إلى فرشهم ..

هذا الشاب .. وقف في الصلاة .. ومعاذ يقرأ ويقرأ ..

فلما طال الصلاة على الفتى .. أتم صلاته وحد .. وخرج من المسجد وانطلق إلى بيته ..

انتهى معاذ من الصلاة .. فقال له بعض القوم : يا معاذ .. فلان دخل معنا في الصلاة .. ثم خرج منها لما أطلت ..

فغضب معاذ وقال : إن هذا به لنفاق .. لأخبرن رسول الله ع بالذي صنع ..

فأبلغوا ذلك الشاب بكلام معاذ .. فقال الفتى : وأند .. لأخبرن رسول الله ع بالذي صنع ..

فغدوا على رسول الله ع فأخبره معاذ بالذي صنع الفتى ..

فقال الفتى : يا رسول الله .. يطيل المكث عندك ثم يرجع فيطيل علينا الصلاة .. والله يا رسول الله .. إننا لنتأخر عن صلاة العشاء مما يطول بنا معاذ ..

فقال الفتى : يا رسول الله .. ماذا تقرأ ؟!

فإذا بمعاذ يخبره أنه يقرأ بالبقرة .. و .. وجعل يردد السور الطوال ..

فغضب النبي لما علم أن الناس يتأخرون عن الصلاة بسبب الإطالة .. وكيف صارت الصلاة ثقيلة عليهم ..

قلت : يا رسول الله لم يقلها من قبل نفس ه .. إنما قالها فرقاً من السلاح .. فقال e : قال لا إله إلا الله .. ثم قتلته !! ه لا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه إنما قالها فرقاً من السلاح ..

وجعل e يحد بصره إلى أسامة ويكرر : قال لا إله إلا الله ثم قتلته !! قال لا إله إلا الله ثم قتلته !! ثم قتلته !! كيف لك بلا إله لا الله إذا جاءت تحاجك يوم القيامة !! وما زال e يكرر ذلك على أسامة .. قال أسامة : فما زال يكررها علي حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ..

رأي ..
لا تحسب الناس نوعاً واحداً فلهم
طبائع لست تحصيهم
ألوان

18. اختر الكلام المناسب ..
يتبع ما سبق أيضاً طريقة الكلام مع الناس ونوعية الأحاديث التي تثار معهم ..
فإذا جلست مع أحد فأثر الأحاديث المناسبة له ..
وهذا من طبيعة البشر .. فالأحاديث التي تثيرها مع شاب تختلف عن الأحاديث مع الشيخ ..
ومع العالم تختلف عن الجاهل ..
ومع الزوجة تختلف عن الأخت ..
لا أعني الاختلاف التام .. بحيث إن القصة التي تحكيها للأخت لا يصح أن تحكيها للزوجة ! أو التي تذكرها للشباب لا يصح أن يسمعها الشيخ !! لا ..
وإنما أعني الاختلاف اليسير الذي يطرأ على أسلوب عرض القصة وربما كيانها كل ه ..

وبالمثال يتضح المقال ..
لو جلست مع ضيوف كبار في السن جاوزت أعمارهم الثمانين أقبلوا زائرين لجدك .. فهل من المناسب أن تقص عليهم وأنت ضاحك مستبشر قصتك لما ذهبت مع زملائك

وكان أسامة بن زيد t من ضمن المقاتلين بالجيش ..

ابتدأ القتال .. في الصباح .. انتصر المسلمون وهرب مقاتلو العدو .. كان من بين جيش العدو رجل يقاتل .. فلما رأى أصحابه منهزمين .. ألقى سلاحه وهرب .. فلحقه أسامة ومعه رجل من الأنصار .. ركض الرجل وركضوا خلفه .. وهو يشتد فزعاً .. حتى عرضت لهم شجرة فاحتوى الرجل بها .. فأحاط به أسامة والأنصاري .. ورفعوا عليه السيد ف ..

فلما رأى الرجل السيفين يلتزمان فوق رأسه .. وأحس الموت يهجم عليه .. انتفض وجعل يجمع ما تبقى من ريقه في فمه .. ويردد فزعاً : أشهد أن لا إله إلا الله .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ..

تحرير الأنصاري وأسامة .. هل أسلم الرجل فعلاً .. أم أنها حيلة افعلها .. كانوا في ساحة قتال .. والأمور مضطربة .. يتلف تون حولهم فلا يرون إلا أجساداً ممزقة .. وأيدي مقطعة .. قد اختلط بعضها ببعض .. الدماء تسيل .. أنفوس ترتجف ..

الرجل بين أيديهما ينظران إليه .. لا بد من الإسراع باتخاذ القرار .. ففي أي لحظة قد يأتي سهم طائش أو غير طائش .. فيرديهما قتيلين .. لم يكن هناك مجال للتفكير الهادئ .. فأما الأنصاري فكف سيفه .. وأما أسامة فظن أنها حيلة .. فضربه بالسيف حتى قتلته ..

عادوا إلى المدينة تداعب قلوبهم نشوة الانتصار .. وقف أسامة بين يدي النبي e .. وحكى له قصة المعركة .. وأخبره بخبر الرجل وما كان منه .. كان قصة المعركة تحكي انتصاراً للمسلمين .. وكان e يستمتع مبتهجاً ..

لكن أسامة قال : .. ثم قتلته .. فتغير النبي e .. وقال : قال لا إله إلا الله .. ثم قتله !!؟

للبر ؟! وكيف أن فلاناً سجل هدفاً أثناء لعب الكرة .. وكيف ثبت الكرة برأسه ثم ضربها بركبتة .. لا شك أنه غير مناسب ..

وكذلك لو تحدثت مع أطفال صغار .. من غير المناسب أن تذكر لهم قصصاً تتعلق بتعامل الأزواج مع زوجاتهم ..

أظننا نتفق على ذلك .. إذن من أساليب جذب الناس اختيار الأحاديث التي يحبونها .. وإثارتها ..

كأن له ولد متفوق .. من المناسب أن تسأله عن ذلك .. لأنه بلا شك يفخر به ويحب أن يذكره دائماً ..

أو رجل فتح دكاناً وكسب منه أرباحاً .. فمن المناسب أن تسأله عن دكانه وإقبال الناس عليه .. لأن هذا يفرحه .. وبالتالي يحبك ويحب مجالستك ..

وقد كان النبي r يراعي ذلك ..

فحديثه مع الشاب يختلف عن حديثه مع الشيخ .. أو المرأة .. أو الطفل ..

جابر بن عبد الله t الصحابي الجليل .. قتل أبوه في معركة أحد .. وخلف عنده تسع أخوات ليس لهن عائل غيره .. وخلف ديناً كثيراً .. على ظهر هذا الشاب الذي لا يزال في أول شبابه .. فكان جابر دائماً ساهم الفكر .. منشغل البال بأمر دينه وأخواته .. والغرماء يطالبونه صباحاً ومساءً ..

خرج جابر مع النبي r في غزوة ذات الرقاع .. وكان لشدة فقره على جمل قليل ضعيف ما يكاد يسير .. ولم يجد جابر ما يشتري به جملاً .. فسبى قه الناس وصار هو في آخر القافلة .. وكان النبي r يسير في آخر الجيش .. فأدرك جابراً وجمله يدب به ديباً .. والناس قد سبقوا ..

فقال النبي r : مالك يا جابر ؟

قال : يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا ..

فقال النبي r : أنخه ..

فأناخه جابر وأناخ النبي r ناقته ..

ثم قال : أعطني العصا من يدك أو اقطع لي عصا

من شجرة .. فناولته جابر العصا .. بركَ الجمل على الأرض قليلاً ضعيفاً .. فاقبل e إلى الجمل وضربه بالعصا شيئاً يسيراً ..

فنهض الجمل يجري قد امتلأ نشاطاً .. فتعلق به جابر وركب على ظهره .. مشى جابر بجانب النبي e .. فرحاً مستبشراً .. وقد صار جملة نشيطاً سابقاً .. التفت e إلى جابر .. وأراد أن يتحدث معه ..

فما هي الأحاديث التي اختارها النبي e ليثير رها مع جابر ..

جابر كان شاباً في أول شبابه ..

هموم الشباب في الغالب تدور حول الزوا

ج .. وطلب الرزق ..

قال e : يا جابر .. هل تزوجت ؟ ..

قال جابر : نعم ..

قال : بكراً .. أم ثيباً ..

قال : بل ثيباً ..

فعجب النبي e كيف أن شاباً بكراً في أول

زواج له .. يتزوج ثيباً ..

فقال ملاطفاً لجابر : هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك ..

فقال جابر : يا رسول الله .. إن أبي قتل في أحد .. وترك تسع أخوات ليس لهن راعٍ غيري .. فكرهت أن أتزوج فتاة مثلهن فتكثر بينهن الخلافات .. فتزوجت امرأة أكبر مني لتكون مثل أمهن ..

هذا معنى كلام جابر ..

رأى النبي e أن أمامه شاب ضحى بمتعته الخاصة لأجل أخواته ..

فأراد e أن يمازحه بكلمات تصلح للشباب

ب .. فقال له :

لعلنا إذا أقبلنا إلى المدينة أن ننزل في صرار (24) .. فتسمع بنا زوجتك فتفرش لك النمارق ..

يعني وإن كنت تزوجت ثيباً إلا أنها لا تزال

قال بلال : خذ الجمل يا جابر ..
 قال جابر : ما الخبر !! ..
 قال بلال : قد أمرني رسول الله e أن أعطي
 لك الجمل .. والمال ..
 فرجع جابر إلى رسول الله e وسأله عن الـ
 خبر .. أما تريد الجمل !!
 فقال e : أتراني ماكستك لأخذ جملك ..
 يعني أنا لم أكن أطالبك بخفض السعر لأجل
 أن أخذ الجمل وإنما لأجل أن أقدر كم أعطي
 لك من المال معونة لك على أمورك ..
 فما أرفع هذه الأخلاق .. يختار ما يناسب الـ
 شاب من أحاديث .. ثم لما أراد أن يحسن إـ
 ليه ويتصدق عليه .. غلف ذلك باللطف وا
 لأدب ..
 وفي أحد الأيام يجلس إلى النبي e شاب اسـ
 مه جليبيب .. من خيار شباب الصحابة .. لـ
 كنه كان فقيراً معدماً ..
 وكان t في وجهه دمامة ..
 جلس يوماً عند رسول الله e .. فما هي الـ
 حاديث التي حرص النبي e على إثارتها معـ
 ه ؟ شاب في ريعان شبابه .. أعزب ..
 هل يتحدث معه عن أنساب العرب والرفيع
 منها والوضيع ؟
 أم يتحدث عن الأسواق وأحكام البيوع ؟
 لا .. فهذا شاب له نوع خاص من الأحاديث
 يفضلها على غيره ..
 أثار معه e موضوع الزواج والحديث حولـ
 ه .. فلطالما طرب الشباب لهذه المواضيـ
 ع ..
 ثم عرض عليه رسول الله التزويج ..
 فقال : إذن تجدني كاسداً ..
 فقال : غير أنك عند الله لست بكاسد ..
 فلم يزل النبي r يتحين الفرص لتزويج جليـ
 بيب ..
 حتى جاء رجل من الأنصار يوماً يعرض ابـ
 نته الشيب على رسول الله r .. ليتزوجها
 .. لـ
 فقال r : نعم يا فلان .. زوجني ابنتك ..

عروساً تفرح بك إذا قدمت وتبسط فراشها .. وتـ
 صف عليه الوسائد ..
 فتذكر جابر فقره وفقر أخواته .. فقال : نمارـ
 ق !! والله يا رسول الله ما عندنا نمارق ..
 فقال e : إنه ستكون لكم نمارق إن شاء الله ..
 ثم مشياً .. فأراد e أن يهب لجابر مالاً ..
 فالتفت إليه وقال : يا جابر ..
 قال : لبيك يا رسول الله ..
 فقال : أتبيعني جملك ؟
 تفكر جابر فإذا جملة هو رأس ماله .. هكذا كان
 وهو كليل ضعيف .. فكيف وقد صار قوياً جلد
 ا !!
 لكنه رأى أنه لا مجال لرد طلب رسول الله e ..
 قال جابر : سُدْهُ يا رسول الله .. بكم ؟
 فقال e : بدرهم !!
 قال جابر : درهم !! تغبني يا رسول الله ..
 فقال e : بدرهمين ..
 قال : لا .. تغبني يا رسول الله ..
 فما زالوا يتزايدان حتى بلغا به أربعين درهماً .. أـ
 وقية من ذهب ..
 فقال جابر : نعم .. ولكن أشرت عليك أن أبقى عـ
 ليه إلى المدينة ..
 قال r : نعم ..
 فلما وصلوا إلى المدينة .. مضى جابر إلى منزله
 وأنزل متاعه من على الجمل ومضى ليصلي مع
 النبي r وربط الجمل عند المسجد ..
 فما خرج النبي r قال جابر : يا رسول الله هذا
 جملك ..
 فقال r : يا بلال .. أعط جابراً أربعين درهماً وزـ
 ده ..
 فناول بلال جابراً أربعين درهماً وزاده ..
 فحمل جابر المال ومضى به يقلبه بين يديه .. متـ
 فكراً في حاله !! ماذا يفعل بهذا المال ؟! أيشترـ
 ي به جملاً .. أم يبتاع به متاعاً لبيته .. أم ..
 وفجأة التفت رسول الله e إلى بلال وقال : يا بلاـ
 ل .. خذ الجمل وأعطه جابراً ..
 جذب بلال الجمل ومضى به إلى جابر .. فلما وصـ
 ل به إليه .. تعجب جابر .. هل ألغيت الصفقة ؟!

قال : نعم ونعمين .. يا رسول الله ..

فقال r : إني لست أريدها لنفسى ..

قال : فلمن ؟!

قال : لجليبيب ..

قال الرجل متفاجئاً : جليبيب !! جليبيب !! يا ر

سول الله !! حتى استأمر أمها ..

أتى الرجل زوجته فقال : إن رسول الله يخطب اب

نتك ..

قالت : نعم .. ونعمين .. زوج رسول الله r ..

قال : إنه ليس يريد لها نفسه ..

قالت : فلمن ؟

قال : يريد لها لجليبيب ..

فتفاجأت المرأة أن تـُزف ابنتها إلى رجل فقير دم

يم .. فقالت : حـَـقَّـى !! لجليبيب ..؟ لا لعمر الله

لا أزوج جليبيباً .. وقد منعناها فلاناً وفلاناً ..

فاغتم أبوها لذلك .. وقام ليأتي رسول الله r ..

فصاحت الفتاة من خدرها بأبويها : من خطبني !

ليكما ؟

قالا : رسول الله r ..

قالت : أتردان على رسول الله r أمره ؟ ادفعاني

إلى رسول الله r .. فإنه لن يضيعني ..

فكأنما جذت عنهما .. واطمأنّا ..

فذهب أبوها إلى النبي r فقال : يا رسول الله ..

شأنك بها فزوجها جليبيباً ..

فزوجها النبي r جليبيباً ..

ودعا لها وقال : اللهم صب عليهما الخير صب

اً .. ولا تجعل عيشهما كداً كداً ..

فلم يمض على زواجه أيام .. حتى خرج النبي r

في غزوة .. وخرج معه جليبيب ..

فلما انتهى القتال .. وبدأ الناس يتفقد بعضهم بع

ضاً ..

سألهم النبي r : هل تفقدون من أحد قالوا : نفق

د فلاناً وفلاناً ..

فسكت قليلاً ثم قال : هل تفقدون من أحد ؟

قالوا : نفقد فلاناً وفلاناً ..

فسكت ثم قال : هل تفقدون من أحد ؟

قالوا : نفقد فلاناً وفلاناً ..

قال : ولكنني أفقد جليبيباً ..

فقاموا يبحثون عنه .. ويطلبونه في القتل

ى .. فلم يجدوه في ساحة القتال ..

ثم وجدوه في مكان قريب .. إلى جنب سبع

ة من المشركين قد قتلهم ثم قتلوه ..

فوقف النبي r ينظر إلى جثته .. ثم قال : ق

تل سبعة ثم قتلوه .. قتل سبعة ثم قتلوه ..

هذا مني وأنا منه ..

ثم حملة رسول الله r على ساعديه .. وأمر

هم أم يحفروا له قبره ..

قال أنس : فمكثنا نحفر القبر .. وجليبيب م

اله سرير غير ساعدي رسول الله r ..

حتى حفر له ثم وضعه في لحدّه ..

قال أنس : فوالله ما كان في الأنصار أيم أد

فق منها ..

أي تسابق الرجال إليها كلهم يخطبها بعد ج

ليبيب ..

هكذا كان يختار لكل أحد ما يناسبه من

أحاديث .. حتى لا تمل مجالسه ..

جلس يوماً مع زوجه عائشة ..

فما الأحاديث المناسب إثارتها بين الزوجي

ن ..؟

هل كلمها عن غزو الروم ؟ ونوع الأسلحة

التي استخدمت في القتال ؟ كلا فليست هي

أبو بكر !!

أم حدثها عن فقر بعض المسلمين وحاجتهم

م ؟ كلا فليست عثمان !!

إنما قال لها بعاطفة الزوجية : إني لأعرف

إن كانت راضية عني .. وإذا كنت غضب

ى .. !!

قالت : كيف ؟

قال : إذا كنت راضية قلت : لا ورب محمد

(e) .. وإذا كنت غضبي قلت : لا ورب إ

راهيم (e) ..

فقالت : نعم .. والله يا رسول الله لا أهجر إ

لا اسمك ..

فهل نراعي هذا نحن اليوم ؟

تحدث مع الناس بما يستمتعون هم باستماعه ..
لا بما تستمتع أنت بحكايته ..

إلى مدرسه .. ويلتفت إلى زملائه .. ويحاو
ل حفظ ما تبقى من ماء وجهه ..
ثم حدق المدرس فيه النظر عابساً وأشار إ
لى الباب وقال : أخرج ..

قام الطالب مضطرباً .. وخرج ..
نظر المدرس إلى بقية الطلاب وقال : أنا ال
دكتور فلان .. سأدرسكم مادة كذا ..
ولكن قبل أن أبدأ الشرح .. أريدكم أن تعبد
وا هذه الاستمارة .. دون كتابة الاسم ..
ثم وزع عليهم استمارة تقييم للمدرس .. في
ها خمسة أسئلة :

1. ما رأيك بأخلاق مدرسك ؟
2. ما رأيك بطريقة شرحه ؟
3. هل يقبل الرأي الآخر ؟
4. ما مدى رغبتك في الدراسة
لديه مرة أخرى ؟
5. هل تفرح بمقابلته خارج الم
عهد ؟

كان أمام كل سؤال منها .. اختيارات : ممّا
ز .. جيد .. مقبول .. ضعيف ..
عباً لطلاب الاستمارة وأعادوها إليه ..
وضعها جانباً .. وبدأ يشرح تأثير فن التعا
مل في الجو الوظيفي ..
ثم قال : أوه !.. لماذا نحرم زميلكم من الا
ستفادة ..
فخرج إليه .. وصافحه وابتسم له .. وأدخل
ه القاعة ..

ثم قال : يبدو أنني غضبت عليك قبل قليل
من غير سبب حقيقي .. لكنني كنت أعاني م
ن مشكلة خاصة .. أدت بي أن أصب غضب
ي عليك .. فأنا أعذر إليك .. فأنت طالب ح
ريص .. يكفي في الدلالة على حرصك ترك
ك لأهلك وولدك ومجيئك هنا ..
أشكرك .. بل أشكركم جميعاً على حرص
م .. ومن أعظم الشرف لي أن أدرس مثلك
م ..
ثم تلطف معهم وضحك قليلاً ..
ثم أخذ مجموعة جديدة من الاستمارات وقا
ل :

19. كن لطيفاً عند أول لقاء ..

انتشر في بعض أرياف مصر برهة من الزمن أن
الرجل العروس قبيل ليلة عرسه يخبئ في غرفته
قطاً ..

فإذا دخل بزوجه إلى مكان فراش الزوجية .. ح
رك كرسيّاً ليخرج ذلك القط .. فإذا خرج أقبل الع
روس يستعرض قواه أمام زوجته .. وقبض على
القط المسكين .. ثم خنقه وعصره .. حتى يموت
بين يديه !!..

أتدري لماذا ؟!
لأجل أن يطبع صورة الرعب والهيبة منه في ذه
ن زوجته من أول لقاء ..
وأذكر أنني لما تخرجت من الجامعة .. وتعينت مع
يداً في إحدى الكليات .. أوصاني معلم قديم قائ
لاً :

في أول محاضرة لك عند الطلاب .. شدّدْ عليه
م .. وانظر إليهم بعين حمراء !! حتى يخافوا مذ
ك وتفرض قوة شخصيتك من البداية ..
تذكرت هذا .. وأنا أكتب هذا الباب .. فأيقنت أن
من الأمور المقررة عند جميع الناس أن اللقاء ا
لأول في الغالب يطبع أكثر من 70% من الصور
ة عنك .. وهي ما يسمى بالصورة الذهنية ..
أذكر أن مجموعة من الضباط سافروا إلى أمريكا
في دورة تدريبية ..

كانت الدورة في التعامل الوظيفي ..
في أول يوم .. حضروا إلى القاعة مبكرين .. جع
لوا يتحدثون .. ويتعارفون ..
دخل عليهم المدرس فجأة فسكتوا .. ف وقعت عين
المدرس على طالب لا يزال متبسماً ..
فصرخ به : لماذا تضحك ؟
قال : عذراً .. ما ضحكت ..
قال : بلى تضحك ..

ثم جعل يؤنبه : أنت إنسان غير جاد .. المفرو
ض أن تعود لأهلك على أول رحلة طيران .. لا أت
شرف بتدريس مثلك ..
والطالب المسكين قد تلون وجهه .. وجعل ينظر

ما دام أن زميلكم فاتته تعبئة الاستمارة فما رأيكم أن تعبئوها كلكم من جديد ..
ووزع عليهم الأوراق ..
فعبئوها وأعادوها إليه ..
فأخرج الاستمارات التي عبئوها في البداية .. وأخرج الأخيرة وجعل يقارن بينها ..
فإذا الخانة الخاصة بـ ضعيف في التعبئة الأولى كلها مليئة ..
أما الثانية فليس فيها ضعيف ولا مقبول .. أبد ..

فضحك وقال لهم :
كان ما رأيتم دليلاً عملياً على تأثير التعامل السليم على بيئة العمل بين المدير وموظفيه .. وما فعلته بزميلكم كان تمثيلاً أردت أن أجريه أمامكم .. لكن المسكين صار ضحية ..
فانظروا كيف تغيرت نظرتكم بمجرد تغير تعاملي معكم ..

هذا من طبيعة الإنسان .. فلا بد من مراعاته .. خاصة مع من تلتقي بهم لمرة واحدة فقط ..
كان المعلم الأول e يأسر قلوب الناس من أول لقاء ..
بعد فتح مكة .. تمكن الإسلام ..
وبدأت الوفود تتسابق إلى رسول الله r في المدينة ..

قدم وفد عبد القيس .. على رسول الله r .. فلما رأهم وهم على رحالهم قبل أن ينزلوا .. بادرهم قائلاً :
مرحباً بالقوم .. غير خزايا .. ولا ندامى ..
فاستبشروا .. وتواثبوا من رحالهم .. وأقبلوا إليه .. يتسابقون للسلام عليه ..

ثم قالوا :
يا رسول الله .. إن بيننا وبينك هذا الحي من المشركين من مضر ..
وإننا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام .. حين يف القتال ..
فحدثنا بجميل من الأمر .. إن عملنا به دخلنا الجنة .. وندعو به من وراءنا ..

فقال e : آمركم بأربع .. وأنهاكم عن أربع ..
آمركم بالإيمان بالله .. وهل تدرون ما الإيمان با

الله ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم ..
قال : شهادة أن لا إله إلا الله .. وإقام الصلاة .. وإيتاء الزكاة .. وأن تعطوا الخمس من الغنائم ..
وأنهاكم عن أربع : عن نبيذ في الدباء .. و النقيير والحنتم .. والمزفت (25) ..
وفي موقف آخر ..

كان e مسافراً مع أصحابه ليلة .. فساروا في ليلهم مسيراً طويلاً .. حتى إذا كان آخر الليل .. نزلوا في طرف الطريق ليناموا ..

فغلبتهم أعينهم حتى طلعت الشمس وارتفعت ..
فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر .. ثم استيقظ عمر ..
فقع أبو بكر عند رأسه e .. فجعل يكبر ويهزج رفع صوته .. حتى استيقظ النبي e ..

فنزل وصلى بهم الفجر ..
فلما انتهى من صلاته التفت فرأى رجلاً من القوم لم يصل معهم ..
فقال : يا فلان .. ما يمنعك أن تصلي معنا ؟

قال : أصابتنى جنابة .. ولا ماء ..
فأمره e أن يتيمم بالصعيد .. ثم صلى ..
ثم أمر e أصحابه بالارتحال ..
وليس معهم ماء .. فعطشوا عطشاً شديداً .. ولم يقفوا على بئر ولا ماء ..
قال عمران بن حصين :
فبينما نحن نسير فإذا نحن بامرأة على بعير .. ومعها مزادتان (قربتان) ..
فقلنا لها : أين الماء ؟!

قالت : إنه لا ماء ..
فقلنا : كم بين أهلك وبين الماء ؟
قالت : يوم وليلة ..
فقلنا : انطلقى إلى رسول الله e ..
قالت : وما رسول الله !! ..

20. الناس كمعادن الأرض ..
لو تأملت في الناس لوجدت أن لهم طبائع ٥
طبائع الأرض ..
فمنم الرفيق اللين .. ومنهم الصلب الخش
ن .. ومنهم الكريم كالأرض المنبثة الكريم
ة .. ومنهم البخيل كالأرض الجداء التي لا
تمسك ماءً ولا تنبت كلاً ..
إذن الناس أنواع ..
ولو تأملت لوجدت أنك عند تعاملك مع أنوا
ع الأرض تراعي حال الأرض وطبيعتها ..
فطريقة مشيك على الأرض الصلبة .. تختل
ف عن طريقته في المشي على الأرض اللين
نة .. فأنت حذر متأن في الأولى .. بينما أن
ت مرتاح مطمئن في الثانية ..
وهكذا الناس ..
قال e (إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قب
ضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على
قدر الأرض فجاء منهم :

الأحمر
والأبيض
والأسود
وبين ذلك
والسهل
والحزن
والخبيث

والطيب (.. (28)

فعند تعاملك مع الناس انتبه إلى هذا - وانت
بهي - سواء تعاملت مع :
قريب كأب وأم وزوجة وولد ..
أو بعيد كجار وزميل وبائع ..
ولعلك تلاحظ أن طبائع الناس تؤثر فيهم ح
تى عند اتخاذ قراراتهم ..
وحتى تتيقن ذلك .. اعمل هذه التجربة :
إذا وقعت بينك وبين زوجتك مشكلة .. فاسد

فسقناها معنا طمعاً أن تدلنا على الماء ..
حتى أقبلنا بها إلى النبي e ..
فسألها عن الماء .. فحدثته بمثل الذي حدثتنا بـ
ه .. غير أنها شكت إليه أنها أم أيتام ..
فتناول e مزادتها .. فسمى الله .. ومسح عليه
ا ..
ثم جعل e يفرغ من قربتيها في آئتنا .. فشربنا
عطاشاً أربعين رجلاً .. حتى رويناً ..
وملأنا كل قرية معنا ..
ثم تركنا قربتيها .. وهما أكثر ما تكون امتلاءً ..
ثم قال e : هاتوا ما عندكم .. أي طعام ..
فجمع لها من كسر الخبز والتمر ..
فقال لها : اذهبي بهذا معك لعيالك .. واعلمي أنا
لم نرزأك من مائك شيئاً .. غير أن الله سقانا ..
ثم ركبت المرأة بغيرها .. مستبشرة بما حصلت
من طعام ..
حتى وصلت أهلها .. فقالت : أتيت أسحر الننا
س .. أو هو نبي كما زعموا ..
فعجب قومها من قصتها مع رسول الله e .. فلم يـ
مر عليهم زمن حتى أسلمت وأسلموا .. (26)
نعم .. أعجبت بتعامله وكرمه معها من أول لقا
ع ..
وفي يوم أقبل رجل إلى رسول الله e .. فسأله ما
لا .. فأعطاه النبي e قطيعاً من غنم بين جبلي
ن ..
فرجع الرجل إلى قومه .. فقال :
يا قوم .. أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا
يخاف الفاقة ..
قال أنس : وقد كان الرجل يجيء إلى رسول الله
e ما يريد إلا الدنيا .. فما يمسي حتى يكون دينه
أحب إليه .. وأعز عليه .. من الدنيا وما فيها
.. (27)

اقتراح ..

أول لقاء يطبع 70% من الصورة عنك .. فعامل
كل إنسان على أن هذا هو اللقاء الأول والأخير بـ

انتفض العابد .. ولم يتخيل 99 جثة بين يديه
هـ يمثلها هذا الرجل الواقف أمامه ..
صاح العابد : لا .. ليس لك توبة .. ليس لك
توبة ..
ولا تعجب أن يصدر هذا الجواب من عابد ق
ليل العلم .. يحكم في الأمور بعاطفته ..
هذا القاتل لما سمع الجواب .. وهو الرجل
الصلب الخشن .. غضب واحمرت عيناه ..
وتناول سكينه ثم انهال طعناً في جسد العابد
د حتى مزقه .. ثم خرج ثائراً من الصومع
ة ..
ومضت الأيام .. فحدثته نفسه بالتوبة مرة
أخرى ..
فسأل عن أعلم أهل الأرض .. فدلّه الناس
على رجل عالم ..
مضى يمشي حتى دخل على العالم .. فلما
وقف بين يديه فإذا به يرى رجلاً رزيناً يز
ينه وقار العلم والخشية ..
فاقبل القاتل إليه سائلاً بكل جرأة : إني قتل
ت مائة نفس !! فهل لي من توبة ؟!
فأجابه العالم فوراً : سبحااااا الله !! وم
ن يحول بينك وبين التوبة ؟!
جواب رائع !! فعلاً من يحول بينه وبين ال
توبة ؟! فالخالق في السماء لا تستطيع أي
قوة في العالم أن تحول بينك وبين الإنابة إل
يه والانكسار بين يديه ..
ثم قال العالم الذي كان يتخذ قراراته بناء ع
لى العلم والشرع .. لا بناء على طبيعته وم
شاعره .. أو قل على عاطفته وأحاسيسه
هـ ..
قال العالم : لكنك بأرض سوء ..
عجباً ! كيف علم ؟ عرف ذلك بناء على كج
ر الجرائم وقلة المدافع له المُنكر علي
هـ .. فعلم أن البلد أصلاً ينتشر فيها القتل و
الظلم إلى درجة أنه لا أحد ينتصر للمظلوم
م ..
قال : إنك بأرض سوء .. فاذهب إلى بلد كذ
ا وكذا فإن بها قوماً يعبدون الله فاعبد الله
معهم ..

تشر أحد زملائك ممن تعلم أنه صلب خشن .. قل
له : زوجتي كثيرة المشاكل معي .. قليلة الاحترام
م لي .. فأشّر علي ..
كأنني به سيقول : الحريم ما يصلح معهن إلا العي
ن الحمراء !! دقّ خشمها ! خل شخصيتك قوية
عليها !! كن رجلاً !!
وبالتالي قد تثور أنت ويخرب عليك بيتك بهذه ال
كلمات ..
أكمل التجربة ..
اذهب إلى صديق آخر تعرف أنه هين لين لطيف
ف .. وقل له ما قلت للأول ..
ستجد حتماً أنه يقول : يا أخي هذه أم عيالك ..
وما فيه زواج يخلو من مشاكل .. اصبر عليها ..
وحاول أن تتحملها .. وهذه مهما صار فهي زوج
تك .. وشريكك في الحياة ..
فانظر كيف صارت طبيعة الشخص تؤثر في آراء
هـ وقراراته ..
لذلك نهى النبي e أن يقضي القاضي بين اثنين و
هو عطشان ! أو جوعان ! أو حابس لبول أو غا
ط ! لأن هذه الأمور قد تغير نفسيته .. وبالتالي
قد تؤثر عليه في اتخاذ قراره في الحكم ..
كان في الأمم السابقة رجل سفاح !! سفاح ؟! نه
م سفاح .. لم يقتل رجلاً واحداً ولا اثنين .. ولا
عشرة .. وإنما قتل تسعاً وتسعين نفساً ..
لا أدري كيف نجا من الناس وانتقامهم .. لعله كا
ن مخيفاً جداً إلى درجة أنه لا أحد يجروء على ا
لاقتراب منه .. أو أنه كان يتخفى في البراري وا
لمغارات .. لا أدري بالضبط .. المهم أنه ارتكب
99 جريمة قتل !!
ثم حدثته نفسه بالتوبة .. فسأل عن أعلم أهل الأ
رض فدلوه على عابد في صومعته .. لا يكاد يفا
رق مصلاه .. يمضي وقته ما بين بكاء ودعاء ..
هين لين عاطفته جياشة ..
دخل هذا الرجل على العابد .. وقف بين يديه ثم ف
جعه بقوله : أنا قتلت تسعاً وتسعين نفساً .. فه
ل لي من توبة ؟
هذا العابد .. أظنه لو قتل نملة من غير قصد لق
ضى بقية يومه باكياً متأسفاً .. فكيف سيكون ج
وابه لرجل قتل بيده 99 نفساً ..

ذهب الرجل يمشي تائباً منيباً .. فمات قبل أن يصل إلى البلد المقصود ..

نزلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ..

فأما ملائكة الرحمة فقالت : أقبل تائباً منيباً ..

وأما ملائكة العذاب فقالت : لم يعمل خيراً قط ..

فبعث الله إليهم ملكاً في صورة رجل ليحكم بينهم

م .. فكان الحكم أن يقيسوا ما بين البلدين .. بلد

الطاعة وبلد المعصية .. فإلى أيتهما كان أقرب ..

ز فإنه لها ..

وأوحى الله تعالى إلى بلد الرحمة أن تقاربي .. و

إلى بلد المعصية أن تباعدي .. فكان أقرب إلى بلد

د الطاعة فأخذته ملائكة الرحمة ..

حتى المفتين في المسائل الشرعية تجد مع الأسد

ف أن بعضهم تغلبه عاطفته أحياناً ..

أذكر أن أحد جيراني كان كثير الخلافات مع زوج

ته ..

اشتد الخلاف يوماً فطلقها تطليقه .. ثم راجعها

ا ..

ثم اشتد أخرى .. فطلقها ثانية .. ثم راجعها ..

وكنت كلما قابلته أحذره وأوصيه .. وأذكره بأبناء

ه الصغار .. وأهمية اعتبارهم والعناية بهم .. وأ

كرر عليه :

لم يبق لك إلا طلقة واحدة - الثالثة - فإن أوقعت

ها لم تحل لك مراجعتها إلا بعد زواجها من آخر

وتطليقه لها .. فاتق الله .. ولا تخرب بيتك ..

حتى جاءني يوماً متغير الوجه وقال : يا شيخ ت

خاصمنا وطلقتها الثالثة !!

وهذا الكلام منه ليس غريباً .. إنما الغريب أنه قد

ال بعدها : ما تعرف لي شيخاً حبيباً يفتيني الآ

ن أراجعها !!

فعجبت منه .. ثم تأملت في الحال فاكتشفت ما تق

رر قبل قليل أن كثيراً من الناس تختلف آراؤهم

- وربما اختياراتهم الفقهية - تأثراً بعاطفته وط

بيعته ..

وبعض الناس تعلم من طبيعته أنه شديد الحب لل

مال .. فلا تعجب إذا رأيته يذل نفسه لأرباب الأم

وال .. يهمل أولاده وبيته لأجل جمعه .. يقتر ع

ى من يعول .. لا تعجب فهو طماع .. بل إن اتخا

ذه لقراراته وتبنيه لقناعاته ينبني كثيراً على هذ

ه الطبيعة .. فإذا أردت أن تتعامل معه أو ت طلب منه شيئاً فضع في نفسك قبل أن تتكل م أنه محب للمال .. فحاول أن لا تعارض ه ذه الطبيعة فيه حتى تحصل على ما تريد مذ ه ..

ولأن الأمثلة مفاتيح الفهوم .. خذ مثلاً : نفرض أنك زرت مستشفى وقابلت مصادفة صديقاً قديماً كان زميلاً لك أيام الجامعة ة .. فدعوته إلى وليمة غداء في بيتك .. ف وافق ..

فذهبت إلى السوق واشتريت حاجات ثم رجعت إلى البيت لتستعد وجعلت تتصل بعدد م ن زملائكم السابقين تدعوهم لمشاركتكم ال وليمة ورؤية صاحبك .. من بين هؤلاء صديق - من البخلاء الذين استولى حب المال على قلوبهم - اتصلت به فرحب وحيماً .. فلما أخبرته عن الوليمة .. قال : آه .. يا ليتني أستطيع الحضور ورؤية فلان .. لكنني مرتبط بشغل هاام .. فبلغه سلامي .. ولعد بي أراه في وقت آخر ..

فأدركت أنت من معرفتك بطبيعته أنه يخشى أن يجيء .. فيضطر إلى أن يدعو الضيف إلى بيته ويصنع له وليمة تكلفه مبلغاً وقدره .. !! وهو يريد التوفير ..

فقلت له : عموماً هذا الضيف لن يبقى في البلد سيسافر بعد الغداء مباشرة .. فقال : آ آ .. إذن سأوجل شغلي وآتي لرؤيته !!

وبعض من تخالطهم من الناس يكون اجتماعياً أسرياً .. يحب أسرته .. لا يصبر على فراقهم .. اطلب منه أي شيء إلا أن يبتعد عن أولاده بسفر أو نحوه .. فلا تكلفه ما لا يطيق ..

إلى غير ذلك من طبائع الناس .. يعجبني بعض الناس الذي يملك فن اصطيداد جميع القلوب ..

فإذا سافر مع بخلاء اقتصد حتى لا يحرجه م فأحبوه ..

وإن جالس عاطفيين زاد من نسبة عاطفته فأحبوه ..

وإن مشى مع فكاهيين مرحين ضحك ومزح وجا ملهم فأحبوه ..

يلبس لكل حالة لبوسها .. إما نعيمها وإما بؤسها ..

وعد بذاكرتك قليلاً معي .. وانظر إلى رسول الله وقد أقبل بالكتائب لفتح مكة ..

كان أبو سفيان قد خرج إلى النبي قبل أن يدخل مكة .. فأسلم ..

في قصة طويلة .. الشاهد منها أنه لما أسلم قال العباس :

يا رسول الله .. إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً ..

فقال r : " نعم .. من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..

ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن دخل الممسجد فهو آمن ..

فلما ذهب أبو سفيان لينصرف إلى مكة .. نظر إليه رسول الله r ..

فإذا هو الذي استنفر قريشاً لحربه في بدر .. واستنفرها لحربه في أحد ..

ثم استنفرها لحربه في الخندق ..

وإذا رجل قائد .. قد طحنته الحرب وطحنها .. وإذا هو حديث عهد بإسلام ..

فأراد رسول الله r أن يريه قوة الإسلام .. فقال : " يا عباس ..

قال : لبيك يا رسول الله ..

قال : احبس أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ..

أي أوقفه على طريق الجيش وهو يدخل مكة .. فخرج العباس بأبي سفيان .. حتى وقف معه بمضيق الوادي .. حيث تتدفق الكتائب كالسيل إلى مكة ..

وجعلت الكتائب تمر عليه براياتها .. فلما مرت إلى كتيبة الأولى قال : يا عباس من هؤلاء ؟

قال العباس : سليم ..

قال : مالي ولسليم !!!

ثم مرت به الثانية ..

قال : يا عباس من هؤلاء ؟ قال : مزينة ..

قال : مالي ولمزينة !!!

حتى نفدت الكتائب .. وهو ما تمر كتيبة إلا سأل العباس عنها ..

فإذا أخبره .. قال : مالي ولبنى فلان ..

حتى مر رسول الله r في كتيبته الخضراء

ع .. وفيها المهاجرون والأنصار .. قد غطوا أجسادهم بالحديد .. فلا يرى منهم إلا أعيونهم ..

فقال : سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ فقال العباس : هذا رسول الله r في المهاجرين والأنصار ..

قال : هذا الموت الأحمر .. والله ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ..

ثم قال : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً !

قال العباس : يا أبا سفيان .. إنها النبوة .. فقال أبو سفيان : فنعم إذن ..

فلما تجاوزتهم الخيل .. صاح به العباس .. النجاء إلى قومك ..

فمضى أبو سفيان سريعاً إلى مكة .. وجعل يصرخ بأعلى صوته :

يا معشر قريش .. هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به .. فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..

قالوا : قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن دخل المسجد فهو آمن ..

فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .. فقله در نبويه كيف أثر في نفس أبي سفيان

يان بما يصلح له .. ومما يحسن ههنا .. أن تعرف طبيعة الشخص ونفسيته قبل أن تتكلم معه .. فإن معرفته طبيعته .. وماذا يناسبه .. يفيدك عند التعمال أو الكلام معه ..

في غزوة الحديبية .. خرج رسول الله r .. بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ..

كانوا ألفاً وأربعمائة .. ساقوا معهم الهدى وأحرموا بالعمرة ليعلم

أيصد عن بيت الله من جاءه معظماً له ؟
والذي نفس الحليس بيده .. لتخلن بين مد
مد وبين ما جاء له من العمرة .. أو لأنفرن
بالأحايش نفرة رجل واحد ..
قالوا : مه .. كف عنا .. حتى نأخذ لأنفس
نا ما نرضى به ..
ثم أرادوا .. أن يبعثوا رجلاً شريفاً .. فاخذ
اروا عروة بن مسعود الثقفي ..
فقال : يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلحق
كم منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم ..
من التعنيف وسوء اللفظ .. وقد عرفتم أنكم
والد وأني ولد ..
قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم ..
فخرج عروة .. وكان ملكاً في قومه .. له
شرف ومكانة .. وله ترفع على الناس ..
فلما أتى رسول الله ﷺ جلس بين يديه ثم قا
ل :
يا محمد !! أجمعت أوشاب الناس ثم جئت
بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟
إنها قريش .. قد خرجت معها العوذ المطاف
يل .. قد لبسوا جلود النمر ..
يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ..
وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غد
اً ..
وكان أبو بكر خلف النبي ﷺ واقفاً ..
فقال أبو بكر : امصص بظر اللات ! نحن
ننكشف عنه ؟
تفاجأ ملك قومه بهذا الجواب .. فلم يتعود
على مثله .. لكنه في الحقيقة كان يحتاج إل
ى جرعة كهذه تخفض ما في رأسه من كبر
ياء ..
فقال عروة متأثراً : من هذا يا محمد ؟
قال : هذا ابن أبي قحافة ..
قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكفأت
ك بها .. ولكن هذه بهذه ..
وجعل عروة يلين العبارات بعدها .. ويكلم ا
لنبي ﷺ .. ويلمس لحية النبي .. والمغيرة بن
شعبة الثقفي واقف وراء رأس رسول الله
ﷺ .. قد غطى وجهه الحديد ..

الناس أنهم إنما خرجوا زائرين لهذا البيت معظم
ين له ..
وساق معه سبعين من الإبل .. هدياً إلى البي
ت الحرام ..
وصلوا مكة .. فمنعتهم قريش من دخولها ..
عسكر النبي بأصحابه في موضع اسمه الحد
يبية ..
جعلت قريش ترسل إليه الرجل تلو الرجل للتفاو
ض معه ..
فبعثوا إليه أولاً مكرز بن حفص ..
كان مكرز رجلاً من قريش .. لكنه لا يلتزم بعهد
ولا ميثاق .. بل هو فاجر غادر ..
فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : هذا رجل غاد
ر ..
فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه بما يصلح لم
ثله ..
وأخبره أنه ما جاء يريد حرباً .. إنما جاء معتمر
اً .. ولم يكتب معه عهداً لأنه يعلم أنه ليس أه
لاً لذلك ..
رجع مكرز إلى قريش فأخبرهم ..
فبعثوا حليس بن علقمة .. سيد الأحابيش ..
وكان الأحابيش قوم من العرب سكنوا مكة تعظيم
اً للحرمة وعناية بالكعبة ..
فلما رآه رسول الله ﷺ قال :
إن هذا من قوم يتألهون ز أي يتعبدون .. فابعث
وا الهدي في وجهه حتى يراه ..
فلما رأى الهدي من إبل وغنم .. تسيل عليه من
عرض الوادي في قلائده وحباله مربوطاً مهيناً
ليذبح في الحرم ..
قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله .. قد أ
ضناه الجوع والعطش ..
لما رأى سيد الأحابيش ذلك .. انتفض .. ولم يقاب
ل رسول الله ﷺ إعظماً لما رأى .. وكيف يمنع ال
معتمرون عن البيت الحرام !!
رجع إلى قريش .. فقال لهم ذلك .. فقالوا له : ا
جلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك ..
فغضب الحليس .. وقال :
يا معشر قريش .. والله ما على هذا حالناكم ..
ولا على هذا عاهدناكم ..

فكان كلما قرب عروة يده من لحية رسول الله
r ..

قرعها شعبة بطرف السيف ..
ثم يمدّها ثانية .. فيقرعها شعبة بطرف السيد
ف ..

فلما مدها الثالثة .. قال شعبة : اكفف يدك عن و
جه رسول الله r قبل ألا تصل إليك يدك .. أي أقط
عها !!

فقال عروة : ويحك ما أفظك وأغلظك ! ومن هذا
يا محمد ؟

فتبسم رسول الله r .. وقال ..

هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة الثقفي ..
فقال عروة : أي غدر وهل غسلت سواك إلا بالأمس
مس !

ثم قام عروة من عند النبي r .. وعاد إلى قري
ش ..

فاسمع ما قال :

قال : يا معشر قريش .. والله لقد رأيت كسرى و
قيصر والنجاشي .. والله ما رأيت ملكاً يعظمه أ
صحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً ..
فوقع في قلب قريش من الرهبة ما لم يقع من قب
ل ..

فأرسلت قريش سهيل بن عمرو ..
فمضى يمشي إلى رسول الله .. فلما رآه رس
ول الله r .. قال : سهل أمركم .. ثم كتبوا بينهم
صلح الحديبية ..

هذا جانب من معرفته لأنواع الناس .. واست
عمال المفتاح المناسب في التعامل مع كل أحد ..
وهذه الأنواع من طباع الناس تلاحظها حتى في
إلقاء الكلمات أو السوالب معهم ..
ويمكنك أن تشاهد دليل ذلك بنفسك ..

حاول أن تلقي قصة مبكية أمام جمع من الناس
س .. وانظر إلى أنواع تأثيرهم ..

أذكر أنني ألقى يوماً خطبة ضمنيتها قصة مقتل
عمر t .. ولما وصلت إلى كيفية طعن أبي لؤلؤة
المجوسي لعمر .. قلت - بصوت عالٍ - :
وفجأة خرج أبو لؤلؤة من المحراب على عمر ..
ثم طعنه ثلاث طعنات ..

وقعت الأولى في صدره
والثانية في بطنه ..

ثم استجمع قوته وطعن بالخنجر تحت سرت
ه ..

ثم جرر الخنجر حتى خرجت بعض أمعا
نه ..

لاحظت وأنا أنظر في الوجوه أن الناس تت
وعوا في كيفية تأثرهم ..

فمنهم من أغض عينيه فجأة وكأنه يرى ا
لجريمة أمامه ..

ومنهم من بكى ..

ومنهم من كان يستمع دون أدنى تأثر وكأن
ه ينصت إلى حكاية ما قبل النوم !!

قل مثل ذلك لو عرضت قصة حمزة t لما و
قع شهيداً في معركة أحد .. وكيف شقوا ب
طنه فأخرجوا كبده .. وقطعوا أذنيه .. وجد
عوا أنفه .. وهو سيد الشهداء وأسد الله و
رسوله ..

وعموماً ..

علمتني الحياة أن الناس لا يخلون من أن ي
وجد من بينهم غليظ غبي ...!! لا يحسن ض
بط عباراته .. ولا مجاملة السامعين ..

أذكر أن رجلاً من هذا الصنف جلس مرة ف
ي مجلس عام .. فذكر قصة وقعت له مع أ
حد البائعين .. فقال في معرض حديثه : وه
ذا البائع ضخم جداً كأنه حمار .. ثم قال :
يشبه خالد !! وأشار إلى رجل بجانبه !!
فلا أدري كيف صار يشبه خالداً .. وهو كأ
نه حمار !!

وقبل الختام .. هنا سؤال كبير ..

هل يمكنك تغيير طباعك لتتناسب مع طباع
من تخالطه ..؟

نعم .. كان عمر t مشهوراً بين الناس بقو
ته وصرامته ..

وفي يوم من الأيام .. اختلف رجل مع زوج
ته .. وجاء يسأل عمر كيف يتعامل معها ..
فلما وقف عند بيت عمر وكاد أن يطرق الباب
اب سمع زوجة عمر تصرخ به .. وعمر سد
اكت .. لم يصرخ .. لم يضرب ..

!!؟

قالها الطالب بنبرة حادة ..
ثار المدرس وهاج .. وقال : ما هو على كي
فك .. تختبر غصباً عنك .. فاهم ؟! إذا ما
هو عاجبك اطلع برّاً !!!
ثار الطالب .. وصاح : أنت اللي تطلع برّاً ..
ا ..

توجه المدرس إلى الطالب وهو يصيح وير
دد : يا قليل الأدب .. يا عديم التربية .. ي
ا .. ويقترب أكثر وأكثر ..
نهض الطالب واقفاً .. ثم ..
كان ما كان مما لست أذكره فظن شر
ا ، ولا تسأل عن الخبر!!

وصل الأمر إلى إدارة المدرسة .. عوقب الـ
طالب بخصم درجتين وكتابة تعهد بالتزام ا
لأدب ..

أما المدرس فصار حديث القاصي والدان
ي .. وأصبح مضرب الأمثال .. ومثار أحاد
يث الطلاب في كل المدرسة .. يمشي في م
مراتها ويسمع التعليقات والهمسات .. حتى
انتقل بعدها إلى مدرسة أخرى ..
بينما مدرس آخر وقع له الموقف نفسه لكن
به أحسن التصرف معه ..

دخل على طلابه .. وفاجأهم بقوله : أخرج
ورقة وقلماً .. اختبار مفاجئ ..
وكان من بينهم طالب كذاك الطالب .. صا
ح : يا أستاذ !! ما هو على كيفك ..
كان المدرس جبلاً يحس بثقل الرجل التي
يحاول أن يصعد عليه !!! يفهم أن العصب
ي لا يقابل بعصبية ..
ابتسم ونظر إلى الطالب وقال : يعني يا خال
د ما تريد أن تختبر ؟
فقال - صارخاً - : لا ..

فقال المدرس بكل هدوء : خلاص .. الـ
لي ما يريد يختبر نتعامل معه بالنظام ..
اكتبوا يا شباب : السؤال الأول : أوجد نتي
جة هذه المعادلة : $s + v = e$
15 .. ومضى يسوق الأسئلة ..
لم يصبر الطالب المشاكس وقال : أقولك ما

فولى الرجل ظهره للباب وكرّ راجعاً متعجباً ..
أحس عمر بصوت عند الباب فخرج ونادى الرج
ل : .. ما خبرك ؟
قال : يا أمير المؤمنين .. جئت أشتكى إليك امرأت
ي فسمعت امرأتك تصرخ بك !!
فقال عمر : يا رجل إنها امرأتي .. حليّة فراشه
ي .. وصانعة طعامي .. وغاسلة ثيابي .. أفلا أ
صبر منها على بعض السوء ..
وعموماً : بعض الناس لا علاج له فلا بد من الت
كيف معه ..
يشتكي إليّ بعض الناس من شدة غضب أبيه ..
أو بخل زوجته .. أو ..
فأعرضُ عليه بعض طرق العلاج فيفيدني أنه
جربها كلها ولم تنفع ..
فما الحل ..؟! الحل أن يصبر على أخلاقهم .. وي
غمرَ سيء أخلاقهم في بحر حسناتها .. ويتكيف
مع واقعه قدر المستطاع ..
فبعض المشاكل ليس لها حل ..

نتيجة ..

معرفتكَ بطبيعة الشخص الذي تخالطه تجعلك قادراً
على كسب محبته ..

21. أستاذ الرياضيات ..

كان يدرس مادة الرياضيات لطلاب المرحلة الثا
وية .. السنة الأخيرة .. كان يلاحظ على عدد من
هم الإهمال وعدم المتابعة .. فأراد أن يؤدبهم ..
دخل عليهم يوماً ..
وأول ما استقر على كرسيه فاجأهم بقوله : كل
واحد يضع كتابه جانباً ويخرج ورقة وقلماً !!
قالوا : لماذا يا أستاذ ؟!
قال : اختبار .. اختبار مفاجئ ..
بدأ الطلاب بنوع من التذمر ينفذون ما طلب .. و
يتهامسون باستياء ..
كان من بينهم طالب كبير الجسم صغير العقل ..
مشاكس كثير المشاكل سريع الغضب متهور ..
صاح بأستاذه :
يا أستاذ .. لا نريد أن نختبر .. نحن بالكاد نجيب
ونحن مذاكرون .. بالله كيف إذا كنا ما ذاكرنا

أريد أن أختبر .. نظر إليه المدرس وابتسم بهدوء .. وقال : وهل ألزمتك أن تختبر .. أنت رجـل ومسئول عن تصرفاتك ..

لم يجد الطالب ما يثير غضبه أكثر .. فهذا وآخر ج ورقة وقلماً .. وبدأ يكتب الأسئلة مع زملائه .. ثم بعدها تمت محاسبته على سوء أدبه عن طريق إدارة المدرسة ..

تذكرت هذه المفارقة في القدرة على التعامل مع المواقف وأنا أتأمل في مهارات الناس على إزاء النيران وإخمادها ..

فالتعامل مع العصبي بعصبية يؤدي إلى تفجر المـوقف واحتدام الخلاف ..

فمن الأمور المسلمة عند العقلاء .. أن من يلاقي النار بالنار يزيدها شرراً واحتداماً ..

وفي الجهة المقابلة تجد أحياناً أن من يقابل البر ود — دائماً — ببرود .. لا تستقيم له الأمور ..

فليكن رابطك مع الناس شعرة معاوية .. فقد سئل معاوية t كيف استطعت أن تحكم الناس

أميراً عشرين سنة .. ثم تحكمهم خليفة عشرين سنة ؟

فقال : جعلت بيني وبينهم شعرة .. أحد طرفيها في يدي والآخر في أيديهم .. فإذا شدوها من جهتي هم أرخيت من جهتي حتى لا تنقطع .. وإذا أرخوها من جهتهم شددت من جهتي ..

صدق رضي الله عنه .. ما أحكمه !!

أظن من المسلمات في حياتنا أنه لا يمكن أن يهـنأ بالعيش زوجان كلاهما عصبي غضوب .. كما لا يمكن أن تطول علاقة صاحبين كلاهما كذلك .. أذكر أنني أقيت محاضرة في إحدى السجون .. و كان قدرتي أن تكون المحاضرة في العنبر الخاص بمرتكبي جرائم القتل .. لما انتهيت من محاضرتي .. تفرقوا إلى مهاجعهم وأقبل إلي أحدهم شاكر راءً .. وعرفني بنفسه وأنه المسئول عن الأنشطة الثقافية في العنبر ..

سألته عن سبب ارتكاب جريمة القتل عند أكثر هؤلاء ..

فقال : الغضب .. الغضب .. والله يا شيخ إن بعضهم قتل لأجل حفنة ريالات تخاصم عليها مع عامل في بقالة أو محطة وقود ..

تذكرت عندها قول النبي e : (ليس الشديد بالصرعة .. إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) (29) ..

نعم ليس البطل هو قوي البدن الذي ما يصـارع أحداً إلا غلبه .. لا .. فلو كان هذا هـ و مقياس البطولة لأصبحت الحيوانات والوحوش أفخر من الآدميين ..

إنما البطل هو العاقل الذي يعرف كيف يتعامل مع المواقف بمهارة .. يتعامل مع زوجته هـ .. أولاده .. مديره .. زملائه .. دون أن يفقدهم ..

وفي الحديث : لا يقضي القاضي وهو غضبـان (30) ..

وأمر e بتدريب النفس على الحلم فقال : إنـما الحلم بالتحلم (31) ..

نعم بالتحلم .. يعني عند كظم الغضب في المرة الأولى ستتعب 100% ولكن في الثانية ستتعـب 90% ثم في الثالثة إذا كظمت غضبك ستتعب 80% وهكذا حتى تتدرب ويـصبح الحلم والهدوء عندك طبيعة ..

ومن طرائف قصص الغضب أنني ذهبت يومـاً لمدينة أمـلج (300 كم جنوب جدة) لإلقاء محاضرة ..

كان من بين الحاضرين شاب سريع الغضب ثائر الأعصاب جداً ..

هذا الشاب سافر مرة بسيارته ولم يكن مسـد تعجلاً فكان يمشي ببطء .. كان وراءه سيارة مسرعة تريده أن يفسح لها الطريق .. وهو يزداد بطناً ويشير لهم بيده أن خففوا السرعة ..

ضاق صاحب السيارة الأخرى بصاحبنا ذرعاً .. وتعداه بسرعة وانحرف عليه بسيارته مؤدباً .. ثم مضى .. ولم يصب أحد منهم ما بضرر ..

ثارت أعصاب صاحبنا — وهي تثور على أقـل من ذلك بكثييير — فزاد سرعة سيارته

(29)

(30)

(31)

يلتحف السماء !!..
 أنت تأكل وتشرب .. والمسكين يبیت طويلاً
 ويصبح جائعاً ..
 أما تذكره إذا رفعت كسرة الخبز إلى فمك ..
 أما تذكر لما كنت تحمله صغيراً .. وتضمه
 إلى صدرك .. وتشمه وتقبله ..
 أيرضيك أن يستجدي الناس وأبوه حي !! ..
 تجد أن عاطفة الأب تهيج بهذا الكلام .. ويق
 ترب أكثر من نقطة الالتقاء ..
 وإن كان أبوه بخيلاً محباً للمال .. قلت له :
 يا فلان أنتبه لا تورط نفسك .. أرجع الولد
 تحت نظرك وتصرفك .. أخشى أن يسرق أ
 ويعتدي .. فتلزمك المحكمة بسداد ما أخذ
 ذ .. وإصلاح ما خرب .. فأنت أبوه على ك
 ل حال .. انتبه ..
 تجد أن الأب البخيل سيبدأ يعيد موازينه من
 جديد ..
 وإن كان كلامك موجهاً إلى الابن .. وكان
 جشعاً محباً للمال ..
 قلت له : يا فلان .. لن ينفك ألا أبوك .. غ
 داً ستحتاج أن تتزوج .. من يسدد مهرک ؟
 لو تعطلت سيارتك من يصلحها ؟
 لو مرضت .. من سيحاسب المستشفى ؟
 إخوانك يستفيدون كما شاءوا .. مصرو
 ف .. هدايا .. وأنت جالس هكذا ..
 ما يضرک أن تصلح ذلك كله بقبلة تطبعها
 على جبين أبيک .. أو كلمة أسف تهمس به
 ا في أذنه ..
 وكذلك لو دخلت للإصلاح بين زوجة وزوج
 ها .. فعلت مثل ذلك .. وفتحت باب كل واحد
 د منهما بالمفتاح المناسب ..
 ومثله لو أردت إجازة من مديرك في العم
 ل ..
 وعرفت أنه لا يلتفت إلى العواطف ولا الأمل
 ور الاجتماعية .. وإنما عمل (وبس !) ..
 فقلت له : أحتاج إلى إجازة ثلاثة أيام أجدد
 فيها نشاطي .. وأستعيد حيويتي .. أشعر أ

ه .. وأخذ يصرخ ويزمجر .. ويشير لهم بأضواء
 السيارة مراراً حتى توقفوا .. فألقى غترته جانباً
 .. وتناول قطعة حديد - هي في الأصل مفك لفت
 ح براغي العجلات عند الحاجة - .. ونزل من الـ
 سيارة متوجهاً إليهم .. والغضب باد عليه وقطع
 ة الحديد في يده ..
 فإذا بالسيارة المقابلة ينزل منها ثلاثة شباب قد
 ضاقت ملابسهم بعضلاتهم .. وتباعدت أيديهم ع
 ن جنوبهم من عرض أكتافهم ..
 أقبلوا يركضون بانفعال إلى صاحبنا .. وقد رأوه
 تهيأ للقتال !!
 فلما رأهم انتفض .. وغص بريقه .. وهم ينظرو
 ن إليه وإلى ما في يده ..
 فلما لاحظ أنهم يحدون النظر إلى قطعة الحديد ..
 رفعها برفق وقال :
 عفواً .. أردت أن أنبهكم إلى أن هذه سقطت منك
 م .. !!
 فتناولها أحدهم بانفعال .. وولوا إلى سيارتهم ..
 وهو يشير بيده إليهم مودعاً !!..

معادلة ..

عصبي + عصبي = انفجار

22. ماذا تستفيد من هذه المهارة ؟
 كل باب له مفتاح .. والمفتاح المناسب لفتح قلوب
 ب الناس هو معرفة طبائعهم ..
 حل مشاكل الناس .. الإصلاح بينهم .. الاستفادة
 منهم .. اتقاء شرورهم ..
 كل ذلك تصبح فيه بارعاً إذا عرفت طبائعهم ..
 افرض أن شاباً وقع بينه وبين أبيه خلاف .. اشد
 تد الخلاف حتى طرده أبوه من البيت .. حاول الا
 بن العودة مراراً لكن الأب كان عنيداً مصراً ..
 دخلت للإصلاح بينهما .. حدثت الأب بالنصوص
 الشرعية .. خوفته من إثم القطيعة ..
 لم يلتفت إليك .. كان مشحوناً غاضباً جداً ..
 أردت أن تستعمل أساليب أخرى للإصلاح ..
 عرفت من طبيعة هذا الأب أنه عاطفي جداً .. جئ
 ت إليه وقلت :
 يا فلان .. أما ترحم ولدك .. يفتersh الأرض .. و

ن نتعشى خارج البيت فذهبت معه .. ثم مر السوق واشترى لي فستاناً لعرس أختي .. ثم وقف عند محل ذهب ونزل واشترى لي سواراً ألبسه في العرس ..

ولما رجعنا إلى البيت رأى الأولاد في ملل ف وعدهم آخر الأسبوع أن يسافر بهم .. والمطلقة المسكينة تستمع إلى ذلك وتتخيل حالها بعد قليل في بيت زوجة أخيها !!

السؤال : هل يناسب إثارة هذا النوع من الأحاديث مع امرأة فشلت في مشروع الزواج !!؟

هل تظن أن هذا المطلقة ستزداد محبة لهذه الجارة ؟.. ورغبة في مجالستها دائماً ؟.. وفرحاً بزيارتها لها ؟..

نتفق جميعاً على جواب واحد نصرخ به قائلين : لاااااا ..

بل سيمتلئ قلبها حقداً وقهراً ..

إذن ما الحل ؟ هل تكذب عليها ؟

لا .. ولكن تتكلم باختصار .. كأن تقول : والله كان عندنا بعض الأشغال قضيناها .. ثم تصرف الكلام إلى موضوع آخر تصبرها به على كربتتها ..

أو افرض .. أن صديقين اختبرا نهاية المرحلة الثانوية .. فنجح أحدهما وتخرج بتفوق ..

والثاني رسب في عدد من المواد .. أو تخرج بنسبة ضعيفة لا تؤهله للقبول في شيء من الجامعات ..

فهل ترى من المناسب عندما يزور المتفوق صاحبه أن يسهب في الحديث حول الجامعات التي تم قبوله فيها .. والميزات التي ستمنح له ..؟

قطعاً جوابنا جميعاً : لا ..

إذن ما الحل ؟

الحل أن يذكر له عموميات يخفف بها عنه .. كأن يشتكي من كثرة الزحام في الجامعات .. وقلة القبول .. وخوف كثير من المتقدمين إليها من عدم القبول .. حتى يخفف عن صاحبه مصابه .. فيرغب عند ذلك في

إنتاجيتي مع ضغط العمل تنحدر تدريجياً .. أعطني فرصة لإراحة (رأسي) فقط ثلاثة أيام .. لأعود أنشط وأقدر ..

وإن كان اجتماعياً .. تلحظ من خلال تعاملاته .. أنه حريص على الأسرة والعائلة .. قلت له : أريد إجازة لأرى والدي .. أولادي .. أشعر أنهم في واد وأنا في واد آخر .. إلى غير ذلك .. أتقن هذه المهارة .. وستسمع الناس غداً يقولون : ما رأينا أبرع فلاناً في القدرة على الإقناع ..!!

نتيجة ..

كل إنسان له مفتاح .. ومعرفة طبيعة الإنسان تدلك على معرفة مفتاحه المناسب ..

23. مراعاة النفسيات ..

تتقلب أمزجة الناس في حياتهم بين حزن وفرح .. وصحة ومرض .. وغنى وفقير .. واستقرار واضطراب ..

وبالتالي يتنوع تقبلهم لبعض الأنواع من التعاملات .. أو ردهم لها بحسب حالتهم الشعورية وقت التعامل ..

فقد يقبل منك النكتة والطرفة ويتقبل المزاح في وقت استقراره وراحة باله .. لكنه لا يتقبل ذلك في وقت حزنه ..

فمن غير المناسب أن تطلق ضحكة مدوية في عزاء ..!! لكنها تحتل منك في نزهة برية ..

وهذا أمر مقرر عند جميع العقلاء وليس هو المقصود بحديثي هنا ..

إنما المقصود هو مراعاة النفسيات والمشاعر الشخصية عند الحديث مع الناس أو التصرف معهم ..

افرض أن امرأة طلقها زوجها وليس لها أب ولا أم .. قد ماتا .. وجعلت تجمع أغراضها لتعيش مع أخيها وزوجته ..

فبينما هي كذلك إذ دخلت عليها جاريتها في الضحك والزئير .. فرحبت المطلقة بها .. ووضعت لها القهوة والشاي .. فجعلت الزائرة تبحث عن أحاديث لتؤانسها .. فسألتها المطلقة :

بالأمس رأيتم خارجين من المنزل ..

فقال الجارة : إي والله .. أبو فلان أصر علي أ

فانحطت الفتاة به مسرعة من الجبل ..
فقلته خيل المسلمين .. قبل أن يصل إلى بـ
يته ..
فأقبل أبو بكر إليه ..
فاحتفى به مرحباً ..
ثم أخذ بيده يقوده .. حتى أتى به رسول الله
الله في المسجد ..
فلما رآه رسول الله .. فإذا شيخ كبير .. قـ
د ضعف جسمه .. ورق عظمه .. واقتربت
منيته ..
وإذا أبو بكر .. ينظر إلى أبيه .. وقد فا
رقه منذ سنين .. وانشغل عنه بخدمة هذا ا
لدين ..
التفت إلى أبي بكر t فقال مطيباً لنفسه ..
ومبيناً قدره الرفيع عنده :
هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتي
ه فيه ؟!
كان أبو بكر يعلم أنهم في حرب .. قائدهم
رسول الله .. وأن وقته أضيق .. وأشعا
له أكثر من أن يتفرغ للذهاب لبيت شيخ يد
عوه للإسلام ..
فقال أبو بكر شاكراً : يا رسول الله .. هو أ
حق أن يمشي إليك .. من أن تمشي أنت إلي
ه ..
فأجلس النبي عليه الصلاة والسلام .. أبا قـ
حافة بين يديه .. بكل لطف وحنان ..
ثم مسح على صدره ..
ثم قال : أسلم ..
فأشرق وجه أبي قحافة .. وقال : أشهد أن
لا إله إلا الله .. وأشهد أن محمداً عبده ور
سوله ..
انتفض أبو بكر منتشياً مسروراً .. لم تسع
ه الدنيا فرحاً ..
تأمل النبي في وجه الشيخ .. فإذا الشـ
ب يكسوه بياضاً .. فقال r : غيروا هذا من
شعره .. ولا تقربوه سواداً ..
نعم كان يراعي النفسانيات في تعامله ..
بل إنه e لما دخل مكة قسم جيشه إلى كتائب

استمتع بحياتك .. ويحبه ويأنس بقربه .. ويشعر
أنه قريب من قلبه ..
وقل مثل ذلك لو التقى شابان أحدهما أبوه كريم يـ
غدق عليه الأموال ..
والآخر أبوه بخيل لا يكاد يعطيه ما يكفيه ..
فمن غير المناسب أن يتحدث ابن الكريم بإغداق
أبيه عليه .. وكثرة المال لديه .. و ..
لأن هذا النوع من الكلام يضيق به صدر صديق
ه .. ويذكره بمأساته مع أبيه .. ويستثقل الجلو
س مع هذا الصديق ويشعر ببعدة عنه في هم
ه ..
لذلك نبه النبي e إلى مراعاة مشاعر الآخرين وذ
فسياتهم .. فقال : لا تطيلوا النظر إلى المجذوم
(32) .. والمجذوم هو المصاب بمرض ظاهر في
جلده قد جعله مشوهاً في منظره .. فمن غير المـ
ناسب أنه إذا مر يقوم أن يطيلوا النظر إلى جلد
ه .. لأن هذا يذكره بمصيبته فيحزن ..
وفي موقف غاية في المراعاة واللطف يتعامل e
مع والد أبي بكر y ..
فإنه e لما أقبل بجيوش المسلمين إلى مكة لفتحه
ل ..
قال أبو قحافة أبو أبي بكر y .. وكان شيخاً كبير
أ .. أعمى .. قال لابنة له من أصغر ولده :
أي بنية .. اظهري بي على جبل أبي قبيس لأنظر
صدق ما يقولون .. هل جاء محمد ؟..
فأشرفت به ابنته فوق الجبل .. فقال : أي بنية مـ
إذا ترين ؟
قالت : أرى سواداً مجتمعاً مقبلاً ..
قال : تلك الخيل ..
قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد
مقبلاً ومدبراً ..
قال : أي بنية ذلك الوازع الذي يأمر الخيل ويتقد
م إليها ..
ثم قالت : قد والله يا أبت انتشر السواد ..
فقال : قد والله إذاً دفعت الخيل ووصلت مكة ..
فأسرعي بي إلى بيتي .. فإنهم يقولون من دخل
داره فهو آمن ..

ولم يغضب سعد لأنه بقي قائداً لكنه أريح
من عناء حمل الراية وحملها عنه ابنه ..
فما أجمل أن نصيد عدة عصفير بجحر وا
حد ..
حاول أن لا تفقد أحداً .. كن ناجحاً واكس
ب الجميع .. وإن تعارضت مطالبهم ..

اتفاق ..
نحن نتعامل مع القلوب .. لا مع الأبدان ..

24. اهتم بالآخرين ..
الناس عموماً يحبون أن يشعروا بقيمتهم
م ..
لذا تجدهم أحياناً يقومون ببعض التصرفات
ت ليلفتوا النظر إليهم !!
وقد يخترعون قصصاً وبطولات لأجل أن ي
هتم الناس بهم أو يعجبوا بهم أكثر ..
لو رجع رجل إلى بيته قادماً من عمله متعباً
.. فلما دخل صالة البيت رأى أولاده الأربعة
كل منهم على حال ..
أكبرهم عمره إحدى عشرة سنة .. يتابع بر
نامجاً في التلفاز ..
والثاني يأكل طعاماً بين يديه ..
والثالث يعبث بألعابه ..
والرابع يكتب في دفاتره ..
فسلم الأب بصوت مسموع .. السلام عليك
م ..
فلم يلتفت إليه أحد .. ذاك منهمك مع برنامج
جه .. والثاني مأخوذ بألعابه .. والثالث مش
غول بطعامه ..
إلا الرابع .. فإنه لما التفت فرأى أباه .. نف
ض يده من دفاتره وأقبل مرحباً ضاحكاً ..
وقبل يد أبيه .. ثم رجع إلى دفاتره ..
أي هؤلاء الأربعة سيكون أحب إلى الأب ؟
أجزم أن جوابنا سيكون واحداً : أحبهم إلي
ه الرابع ..
ليس لأنه يفوقهم جمالاً أو ذكاءً .. وإنما
لأنه أشعر أباه بأنه إنسان مهم عنده ..
كلما أظهرت الاهتمام بالناس أكثر .. كلما

استمتع بحياتك .. وأعطى راية إحدى الكتائب .. إلى الصحاب
ي البطل سعد بن عباد t ..
كانت الراية مفخرة لمن يحملها .. ليس له فقط ب
ل له ولقومه ..
جعل سعد ينظر إلى مكة وسكانها .. فإذا هم الذي
ن حاربوا رسول الله .. وضيقوا عليه .. وص
دوا عنه الناس ..
وإذا هم الذين قتلوا سمية وياسر .. وعذبوا بلا
لاً وخباباً ..
كانوا يستحقون التأديب فعلاً ..
هز سعد الراية .. وهو يقول : اليوم يوم الملحمة
.. اليوم تستحل الحرمة ..
سمعته قريش فشق ذلك عليهم .. وكبر في أنفسهم
هم .. وخافوا أن يفنيهم بقتالهم ..
فعارضت امرأة رسول الله r وهو يسير .. فشكت
إليه خوفهم من سعد .. وقالت :
يا نبي الهدى إليك لجاني قريش ولات حين لجا
حين ضاقت عليهم سعة الأرض وعاداهم إله الس
ماء
إن سعداً يريد قاسمة الظهر بأهل الحجون و الب
طحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر والع
واء
فانهينه إنه الأسد الأسود والليث والغ في الدماء
ع
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حماة اللواء أهل اللوا
ع
لتكونن بالبطح قريش بقعة القاع في أكف الإماء
ع
إنه وصلت يريد لها القتل صموت كالحية الصماء
فلما سمع رسول الله r .. هذا الشعر .. دخله رحد
مة ورأفة بهم ..
وأحب ألا يخيبها إذ رغبت إليه ..
وأحب ألا يغضب سعداً بأخذ الراية منه بعد أن
شرفه بها ..
فأمر سعداً فنال الراية لابنه قيس بن سعد .. فد
خل بها مكة .. وأبوه سعد يمشي بجانبه ..
فرضيت المرأة وقريش لما رأت يد سعد خالية م
ن الراية ..

كان عدد المسلمين كثيراً .. ولم تكن أسما
وهم مجموعة في كتاب ..
قال كعب :

وأنا أيسر ما كنت .. قد جمعت راحلتين ..
وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد ..
وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال .. وطيب الث
مار ..
فلم أزل كذلك .. حتى قام رسول الله r غادي
أ بالغداة ..

فقلت : أنطلق غدا إلى السوق فأشتري جها
زي .. ثم ألحق بهم ..
فانطلقت إلى السوق من الغد .. فعرس علي
بعض شائي .. فرجعت ..
فقلت : أرجع غدا إن شاء الله فألحق به
م .. فعرس علي بعض شائي أيضاً ..
فقلت : أرجع غدا إن شاء الله .. فلم أزل
ذلك ..

حتى مضت الأيام .. وتخلفت عن رسول ا
له r ..
فجعلت أمشي في الأسواق .. وأطوف بالمد
ينة ..

فلا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفا
ق .. أو رجلاً قد عذره الله ..
نعم تخلف كعب في المدينة .. أما رسول ا
له r فقد مضى بأصحابه الثلاثين ألفاً ..
حتى إذا وصل تبوك .. نظر في وجوه أصد
ابه .. فإذا هو يفقد رجلاً صالحاً ممن شه
دوا بيعة العقبة ..

فيقول r : ما فعل كعب بن مالك ؟!
فقال رجل : يا رسول الله .. خلفه برداه وا
لنظر في عطفه ..
فقال معاذ بن جبل : بنس ما قلت .. والله يا
نبي الله ما علمنا عليه إلا خيراً ..
فسكت رسول الله r ..
قال كعب :

فلما قضى النبي r غزوة تبوك .. وأقبل را
جعاً إلى المدينة .. جعلت أتذكر .. بماذا أخ
رج به من سخطه .. وأستعين على ذلك بك
ل ذي رأي من أهلي ..

زدادوا لك حياً وتقديراً ..
كان سيد الخلق يراعي ذلك في الناس .. يشع
ر كل إنسان أن قضيته قضيته .. وهمه همه ..
قام على منبره يوماً يخطب الناس ..
فدخل رجل من باب المسجد .. ونظر إلى رسول
الله ثم قال :
يا رسول الله .. رجل يسأل عن دينه .. ما يدري
ما دينه ؟!

فالتفت إليه .. فإذا رجل أعرابي .. قد لا يكو
ن مستعداً أن ينتظر حتى تنتهي الخطبة .. ويتف
رع له النبي ليحدثه عن دينه .. وقد يخرج ال
رجل من المسجد ولا يعود إليه ..
وقد بلغ الأمر عند الرجل أهمية عالية .. لدرجة أ
نه يقطع الخطبة ليسأل عن أحكام الدين !!
كان يفكر من وجهة نظر الآخر لا من وجهة
نظره هو فقط ..

نزل من على منبره الشريف .. ودعا بكرسي فجذ
س أمام الرجل .. وجعل يلقيه ويفهمه أحكام الدي
ن .. حتى فهم ..
ثم قام من عنده .. ورجع إلى منبره وأكمل خطبت
ه ..

آآه ما أعظمه وأحلمه ..
تربى أصحابه في مدرسته .. فكانوا يظهرون الا
هتمام بالآخرين .. والاحتراف بهم .. ومشاركتهم
أفراحهم وأتراحهم ..
ومن ذلك ما فعله طلحة مع كعب ..

كعب بن مالك شيخ كبير .. جلس إليه .. بعد
ما كبر سنه .. ورق عظمه .. وكف بصره ..
وهو يحكي ذكريات شبابه .. في تخلفه عن غزو
ة تبوك ..
وكانت آخر غزوة غزاها النبي r ..
أذن النبي r الناس بالرحيل وأراد أن يتأهبوا أهب
ة غزوهم ..

وجمع منهم النفقات لتجهيز الجيش .. حتى بلغ
عدد الجيش ثلاثين ألفاً ..
وذلك حين طابت الظلال الثمار ..
في حر شديد .. وسفر بعيد .. وعدو قوي عنيد
د ..

حتى إذا وصل المدينة .. عرفتُ أني لا أنجو إلا بالصدق ..

فدخل النبي r المدينة .. فبدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين .. ثم جلس للناس ..

فجاءه المخلفون .. فطفقوا يعتذرون إليه .. ويحذفون له ..

وكانوا بضعة وثمانين رجلاً .. فقبل منهم رسول الله r علانيتهم .. واستغفر لهم .. ووكل سرائره م إلى الله ..

وجاءه كعب بن مالك .. فلما سلم عليه .. نظر إلي ه النبي r .. ثم تبسّم تبسّم المغضب ..

أقبل كعب يمشي إليه .. فلما جلس بين يدي ه ..

فقال له r : ما خلفك .. ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ يعني اشتريت دابتك ..

قال : بلى ..

قال : فما خلفك ؟!

فقال كعب : يا رسول الله .. إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا .. لرأيت أني أخرج من سخطه بعذر .. ولقد أعطيت جدلاً ..

ولكني والله لقد علمت .. أني إن حدثتك اليوم حد يث كذب ترضى به علي .. ليوشكن الله أن يسخطك علي ..

ولئن حدثتك حديث صدق .. تجد عليّ فيه .. إني لأرجو فيه عفو الله عني ..

يا رسول الله .. والله ما كان لي من عذر .. والله ما كنت قط أقوى .. ولا أيسر مني حين تخلفك عنك ..

ثم سكت كعب ..

فالتفت النبي r إلى أصحابه .. وقال :

أما هذا .. فقد صدقكم الحديث .. فقم .. حتى يقضي الله فيك ..

قام كعب يجر خطاه .. وخرج من المسجد .. مهم ومأً مكروباً .. لا يدري ما يقضي الله فيه .. فلما رأى قومه ذلك .. تبعه رجال منهم .. وأخذوا يلومونه .. ويقولون :

والله ما نعلمك أذنبت ذنباً قط قبل هذا .. إنك رج ل شاعر أعجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول ا

الله r بما اعتذر إليه المخلفون !.. هلا اعتذرت بعذر يرضى عنك فيه .. ثم يستغفر لك .. فيغفر الله لك .. قال كعب :

فلم يزالوا يؤنبونني .. حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي ..

فقلت : هل لقي هذا معي أحد ؟

قالوا : نعم .. رجلان قالاً مثل ما قلت .. فقي ل لهما مثل ما قيل لك ..

قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع ع .. وهلال بن أمية ..

فإذا هما رجلان صالحان قد شهدا بدرأ .. ل ي فيهما أسوة ..

فقلت : والله لا أرجع إليه في هذا أبداً .. و لا أكذب نفسي ..

* * * * *

ثم مضى كعب t .. يسير حزيناً .. كسير الذفس .. وقعد في بيته ..

فلم يمض وقت .. حتى نهى النبي r الناس عن كلام كعب وصاحبيه ..

قال كعب :

فاجتنبنا الناس .. وتغيروا لنا .. فجعلت أخرج إلى السوق .. فلا يكلمني أحد ..

وتنكر لنا الناس .. حتى ما هم بالذين نعرف ..

وتنكرت لنا الشيطان .. حتى ما هي بالحيطان التي نعرف ..

وتنكرت لنا الأرض .. حتى ما هي بالأرض التي نعرف ..

فأما صاحباي فجلسا في بيوتهما يبكيان .. جعلا يبكيان الليل والنهار .. ولا يطلعان رؤوسهما .. ويتعبدان كأنهما الرهبان ..

وأما أنا فكنت أشدَّ القوم وأجلدهم .. فكذت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين .. وأطوف في الأسواق .. ولا يكلمني أحد ..

وأتي المسجد فأدخل ..

وأتي رسول الله r فأسلم عليه ..

فأقول في نفسي : هل حرك شفثيه برد السد لام علي أم لا ؟

ومع ذلك لم يلتفت إلى الكفار ..
ولم يفلح الشيطان في زعزعة .. أو تعبيد
ه لشهوته ..
ألقي الرسالة في النار .. وأحرقها ..
* * * * *

ومضت الأيام تتلوها الأيام .. وانقضى شه
ر كامل .. وكعب على هذا الحال ..
والحصار يشتد خناقه .. والضيق يزداد ثقل
ه ..
فلا الرسول r يُمضي .. ولا الوحي بالحكم
يقضي ..

فلما اكتملت أربعون يوماً ..
فإذا رسول من النبي r يأتي إلى كعب .. في
طرق عليه الباب ..
فيخرج كعب إليه .. لعله جاء بالفرج .. فإذا
الرسول يقول له :
إن رسول الله r يأمر أن تعتزل امرأتك ..
قال : أطلّقتها .. أم ماذا ؟

قال : لا .. ولكن اعتزلها ولا تقربها ..
فدخل كعب على امرأته وقال : الحقي بأه
ك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأ
مر ..

وأرسل النبي r إلى صاحبي كعب بمثل ذ
ك ..

فجاءت امرأة هلال بن أمية .. فقالت :
يا رسول الله .. إن هلال بن أمية شيخ كبير
ضعيف .. فهل تأذن لي أن أخدمه ..؟
قال : نعم .. ولكن لا يقربك ..
فقالت المرأة : يا نبي الله .. والله ما به من
حركة لشيء .. ما زال مكتئباً .. يبكي اللي
ل والنهار .. منذ كان من أمره ما كان ..
* * * * *

ومرت الأيام ثقيلة على كعب .. واشتدت الج
فوة عليه .. حتى صار يراجع إيمانه ..
يكلم المسلمين ولا يكلمونه ..
ويسلم على رسول الله r فلا يرد عليه ..
فألى أين يذهب ..!! ومن يستشير !?
قال كعب t :
فلما طال عليّ البلاء .. ذهبت إلى أبي قتاد

ثم أصلي قريباً منه .. فأسارقه النظر .. فإذا أقبل
ت على صلاتي .. أقبل إلي ..
وإذا التفت نحوه .. أعرض عني ..
* * * * *

ومضت على كعب الأيام .. والآلام تلد الآلام ..
وهو الرجل الشريف في قومه ..
بل هو من أبلغ الشعراء .. عرفه الملوك والأمرا
ع ..
وسارت أشعاره عند العظماء .. حتى تمنوا لقيا
ه ..

ثم هو اليوم .. في المدينة .. بين قومه .. لا أحد
يكلمه .. ولا ينظر إليه ..
حتى .. إذا اشتدت عليه الغربة .. وضافت عليه ا
لكربة .. نزل به امتحان آخر :
فبينما هو يطوف في السوق يوماً ..
إذا رجل نصراني جاء من الشام ..
فإذا هو يقول : من يدلي علي كعب بن مالك ..
؟

فطفق الناس يشيرون له إلى كعب .. فأتاه .. فنا
وله صحيفة من ملك غسان ..
عجباً !! من ملك غسان !!
إن قد وصل خبره إلى بلاد الشام .. واهتم به مل
ك الغساسنة .. عجباً !! فماذا يريد الملك ؟!!
فتح كعب الرسالة فإذا فيها :

" أما بعد .. يا كعب بن مالك .. إنه بلغني أن صا
حبك قد جفاك وأقصاك .. ولست بدار مضیعة ولا
هوان .. فالحق بنا نواسك .."
فلما أتم قراءة الرسالة .. قال t : إنا لله .. قد طم
ع في أهل الكفر ..!! هذا أيضاً من البلاء والش
ر ..
ثم مضى بالرسالة فوراً إلى التنور .. فأشعله ثم
أحرقها فيه ..

ولم يلتفت كعب إلى إغراء الملك ..
نعم فُتح له باب إلى بلاط الملوك .. وقصور الع
ظماء .. يدعونه إلى الكرامة والصحبة ..
والمدينة من حوله تتجهمه .. والوجوه تعبس ف
ي وجهه ..
يسلم فلا يرد عليه السلام ..
ويسأل فلا يسمع الجواب ..

ة .. وهو ابن عمي .. وأحب الناس إليّ .. فإذا
هو في حائط بستانه .. فتسورت الجدار عليه ..
ودخلت .. فسلمت عليه ..
فوالله ما رد علي السلام ..
فقلت : أنشدك الله .. يا أبا قتادة .. أتعلم أني أحـ
ب الله ورسوله ؟
فسكت ..
فقلت : يا أبا قتادة .. أتعلم أني أحب الله ورسوله
؟

فسكت ..
فقلت : أنشدك الله .. يا أبا قتادة .. أتعلم أني أحـ
ب الله ورسوله ؟
فقال : الله ورسوله أعلم ..
سمع كعب هذا الجواب .. من ابن عمه وأحب الذـ
اس إليه .. لا يدري أهو مؤمن أم لا ؟
فلم يستطع أن يتجلد لما سمعه .. وفاضت عيناه
بالدموع ..
ثم اقتحم الحائط خارجاً ..
وذهب إلى منزله .. وجلس فيه ..
يقلب طرفه بين جدرانہ .. لا زوجة تجالسه .. و
لا قريب يؤانسه ..
وقد مضت عليهم خمسون ليلة .. من حين نهى ا
لنبي r الناس عن كلامهم ..

* * * * *

وفي الليلة الخمسين .. نزلت توبتهم على النبي
r في ثلث الليل ..
وكان في بيت أم سلمة .. فتلا الآيات ..
فقالت أم سلمة t :

يا نبي الله .. ألا نبشر كعب بن مالك ..
قال : إذا يحطمكم الناس .. ويمنعونكم النوم ساء
ر الليلة ..
فلما صلى النبي r الفجر .. آذن الناس بتوبة الله
عليهم ..
فانطلق الناس يبشرونهم ..
قال كعب :

وكنيت قد صليت الفجر على سطح بيت من بيوتنـ
ا ..

فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى ..
قد ضاقت علي نفسي .. وضاقت علي الأرض بـ

ما رحبت ..
وما من شيء أهم إليّ .. من أن أموت ..
فلا يصلي عليّ رسولُ الله r .. أو يمو
ت .. فأكون من الناس بتلك المنزلة .. فلا
يكلمني أحد منهم .. ولا يصلي عليّ ..
فبينما أنا على ذلك ..
إذ سمعت صوت صارخ .. على جبل سلع بـ
أعلى صوته يقول :
يااااا كعب بن مالك ! .. أبشر ..
فخررت ساجداً .. وعرفت أن قد جاء فرج
من الله ..
وأقبل إليّ رجل على فرس .. والآخر صاح
من فوق جبل ..
وكان الصوت أسرع من الفرس ..
فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني ..
نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه ..
والله ما أملك غيرهما ..
واستعرت ثوبين .. فلبستهما ..
وانطلقت إلى رسول الله r .. فتلقاني الناس
فوجاً .. فوجاً ..
يهنئوني بالتوبة .. يقولون : ليهنك توبة ا
لله عليك ..
حتى دخلت المسجد .. فإذا رسول الله e جا
لس بين أصحابه .. فلما رأوني والله ما قام
منهم إليّ إلا طلحة بن عبيد الله .. قام فاء
تنقني وهنأني .. ثم رجع إلى مجلسه .. فوا
لله ما أنساها لطلحة ..
فمشيت حتى وقف على رسول الله e فسلمـ
ت عليه ..
وهو يبرق وجهه من السرور .. وكان إذا
سُرَّ استنار وجهه .. حتى كأنه قطعة قمـ
ر ..
فلما رأيته قال : أبشر بخير يوم مرّ عليك
منذ ولدتك أمك ..
قلت : أمن عندك يا رسول الله .. أم من عند
د الله ؟
قال : لا .. بل من عند الله .. ثم تلا الآية
ت ..
فجلست بين يديه ..

ي شيء اشتريه لهم .. فأخبرني .. فشكرت
ه ودعوت له ..

ألا تشعر أن قلبك ينجذب إليه أكثر .. ؟
بينما لو اتصل بك آخر وقال : فلان .. نحن
خارجون إلى نزهة في البحر .. هاه تذهب
معنا ؟

فقلت : والله والدي مريض ولا أستطيع ..
فبدل أن يدعو له ويعتذر أن لم يسأل عن ح
اله .. قال لك : أدري أنه مريض لكن هو ف
ي المستشفى وعنده ممرضون ولن يستفيد
من بقاءك تعال معنا استمتع واسبح و .. قال
ها وهو يمازحك ضاحكاً .. وكأن مرض وا
لك لا يعنيه .. كيف ستكون نظرتك إليه ؟
بلا شك أن قدره في قلبك ينخفض لأنه لم ي
هتم بهمومك ..

من أخرج ما وقع لي من مواقف ..
أنى كنت مسافراً إلى جدة لعدة أيام .. كنت
مشغولاً جداً ..

وصلتني رسالة خلالها على هاتفى من أخ
ي سعود كتب فيها :

أحسن الله عزاءك في ابن عمنا فلان توفي
في ألمانيا ..

اتصلت بأخي فأخبرني أن ابن عمنا هذا -
وهو شيخ كبير - ذهب قبل يومين لعلاج ال
قلب في ألمانيا وتوفي أثناء إجراء العملي
ة .. وأن جثمانه سيصل قريباً إلى مطار ال
رياض .. دعوت له وترحمت عليه .. وأنهى
ت المكالمة ..

بعدها بيومين انتهت أعمالي في جدة وذهب
ت إلى المطار أنتظر وقت إقلاع رحلتي للري
اض ..

في هذه الأثناء كان يمر بي عدد من الشبا
ب فإذا رأوني عرفوني وأقبلوا مسلمين وك
انوا أحياناً من الشباب المراهقين لهم قصا
ت شعر غريبة .. ومع ذلك كنت أمازحهم و
أطلق التعليقات عليهم تحبباً وتلطفاً ..
انشغلت بمكالمة هاتفية .. فلما أنهيتها فإذا
شاب يلبس بنطالاً وقميصاً .. يراني فيقبل
مسدلاً مصافحاً ..

فقلت : يا رسول الله ! إن من توبتي أن أنخلع م
ن مالي صدقة إلى الله .. وإلى رسوله ..
فقال : أمسك عليك بعض مالك .. فهو خير لك ..
فقلت : يا رسول الله ! إن الله إنما نجاني بالصد
ق .. وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقى
ت ..

نعم .. تاب الله على كعب وصاحبيه .. وأنزل في
ذلك قرءاناً يتلى ..
فقال عز وجل :

[لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ النُّع
سْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِي
قٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُ
وُفٌ رَحِيمٌ *وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا
حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَ
حَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا
أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَ
لَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِي
مُ] ..

والشاهد من هذه القصة .. أن طلحة لما رأى ك
عباً قام إليه واعتنقه وهناه .. فزادت محبة كعب
له .. حتى كان يقول بعد موت طلحة .. وهو يحك
ي القصة بعدها بسنين : فوالله لا أنساها لطلح
ة ..

وماذا فعل طلحة حتى يأسر قلب كعب ؟ فعل مها
رة رائدة .. اهتم به .. شاركه فرحته .. فصار ل
ه عنده حظوة ..

الاهتمام بالناس ومشاركتهم في مشاعرهم يأسر
قلوبهم ..

لو كنت في زحمة الامتحانات .. ووصلت إلى هات
فك المحمول رسالة مكتوب فيها .. بشرني عن ا
متحاناتك والله إن بالي مشغول عليك وأدعو لك
، صديقك : إبراهيم ..

أليس ستزداد محبتك لهذا الصديق ؟ بلى ..
ولو كان أبوك مريضاً في المستشفى .. فبقيت م
عه في غرفته وأنت مشغول البال عليه .. واتصل
بك صديق وسألك عنه .. وقال : تحتاج مساعدة
؟ نحن في خدمتك .. فشكرته ..

ثم في المساء اتصل وقال : إذا الأهل يحتاجون أ

رحبت به وقلت مازحاً : ما هذه الأنافة .. أنت الـ
يوم كأنك عريس .. ونحو هذه العبارات ..
سكت الشاب قليلاً ثم قال :

ما عرفتني .. أنا فلان .. الآن وصلت من ألمانيا
معي جثمان أبي .. وأنا متوجه إلى الرياض الآن
على أقرب رحلة ..

في الحقيقة .. كأنما صب علي برميل ماء بارد ..
صرت محرجاً جداً .. أبوه مات .. وجثمانه معه
في الطائرة وأنا أمازحه وأضحك .. إن هذا لشي
ع عجب !!

سكت قليلاً ثم قلت : آآآسف .. والله ما انتبهت
إليك .. فأننا هنا منذ أيام .. فأحسن الله عزاءك و
غفر لوالدك ..

وإن كنت في الحقيقة معذوراً في عدم انتباهي إ
لى شخصه .. فقد كنت لا أقبله إلا قليلاً .. وأراه
بثوبه وغترته .. فلما لبس البنطال وجاءني فجأة
في زحمة شباب من جدة .. لم يقع في نفسي أنه
فلان ..

فمن الاهتمام بالناس مشاركتهم في مشاعرهم وإ
شعارهم أن همهم هو همك .. وأنتك تحب الخير لـ
هم ..

ومن هذا المنطلق تجد أن الشركات المتطورة يك
ون عندها إدارة للعلاقات العامة .. مهمتها إرسا
ل التهاني والتبريكات في المناسبات .. وتقديم الـ
هدايا .. ونحو ذلك ..

الناس كلما أشعرتهم بقيمتهم وأظهرت الاهتمام بـ
هم ملكت قلوبهم وأحبوك ..
خذ أمثلة سريعة من الواقع :

لو دخل شخص إلى مكان مليء بالناس فلم يجد
مكاناً يجلس فيه .. فتفسحت قليلاً .. وأوسعت لـ
ه مكاناً وقلت :

تفضل يا فلان .. تعال هنا .. لشعر باهتمامك وأد
بك ..

أو لو كنتم في حفل عشاء .. وأقبل يحمل طعامه
يتلفت يبحث عن طاولة فيها مكان فارغ .. فجهرز
ت له كرسياً وقلت : حياك اله يا فلان .. تفضل
هنا .. لشعر باهتمامك أيضاً ..

عموماً أشعر الناس بقيمتهم .. يحبوك ..
كان رسول الله ﷺ يحرص على ذلك أيما حرص

ص ..

انظر إليه وقد قام يخطب على منبره يوم ج
معة ..

وفجأة فإذا بأعرابي يدخل إلى المسجد ويت
خطي الصفوف .. وينظر إلى رسول الله

e .. ويصيح قائلاً : يا رسول الله .. رجل

لا يدري ما دينه ! فعلمه دينه ..

فنزل النبي ﷺ من منبره .. وتوجه إلى الرج

ل وطلب كرسياً فجلس عليه .. ثم جعل يت

حدث مع الرجل ويشرح له الدين إلى أن فهم

م .. ثم عاد إلى منبره ..

قمة الاهتمام بالناس .. ومن يدري ربما لو

أهمله لخرج الرجل وبقي جاهلاً بدينه إلى

أن يموت ..

ولو نظرت في شمائله e .. لوجدت من بين

ها أنه كان إذا صافحه أحد لم ينزع e يده م

ن يد المصافح .. حتى ينزع ذاك يده أو

لاً ..

وكان e إذا كلمه أحد التفت إليه جميعاً .. أ

ي التفت بوجهه وجسمه إليه يستمع وينص

ت ..

تجربة ..

الناس كلما أشعرتهم بقيمتهم وأظهرت الاله
تمام بهم .. ملكت قلوبهم .. وأحبوك ..

25. أشعرهم أنك تحب الخير لهم ..

كلما كان قلبك مملوءاً بالمحبة والنصح لـ
خرين .. كلما صرت صادقاً في مهارتك فـ

ي التعامل معهم ..

وكلما أحس الناس بحبك لهم .. ازدادوا هم

أيضاً لك محبة وقبولاً ..

كانت إحدى الطبيبات تمتلئ عيادتها الخاص

ة دائماً بالمراجعات ..

وكانت المريضات يرغبن في المجيء إليها

دائماً وكل واحدة تشعر أنها صديقة خاصة

لهذه الطبيبة ..

كانت هذه الطبيبة تمارس مهارات متعددة تـ

سحر بها قلوب الآخرين ..

أرسلتها إلى الأسماء المخزنة في ذاكرة الهاتف .. كانت خمسمائة اسم ..
لم أكن أتصور التأثير العجيب لهذه الرسالة في قلوب الآخرين ..
منهم من أرسل إليّ : والله إنني أبكي وأنا أقرأ رسالتك .. أشكرك أنك ذكرتني بدعائك ..

وآخر كتب : والله يا أبا عبد الرحمن ما أدرى بـم أرد عليك ! ولكن جزاك الله خيراً ..
والثالث كتب : أسأل الله أن يستجيب دعائك .. ونحن والله لا ننساك ..
نحن في الحقيقة نحتاج بين الفينة والأخرى أن نذكر الناس بأننا نحبهم .. وأن كثرة مشاغل الدنيا لم تنسنا إياهم ..
ولا بأس أن يكون ذلك بمثل هذه الرسائل ..

يمكن أن تكتب إلى أحبائك : دعوت لكم بين الأذان والإقامة .. أو في ساعة الجمعة الأخيرة ..
وإذا كانت نيتك صالحة فلن يكون في هذا إظهار للعمل أو رياء .. وإنما زيادة ألفة ومحبّة بين المسلمين ..
أذكر أنني أقيت محاضرة في مخيم دعوي صيفي في مدينة الطائف .. في جبال الشفاة وهي متنزه يجتمع فيه أعداد كبيرة من الشباب ..

كان أكثر الحاضرين هم من الشباب الذين يظهرون عليهم الخير والصلاح .. أما الشباب الآخرون فقد بقوا في أطراف المتنزهات ما بين لهو وطرب ..
انتهت المحاضرة ..

أقبل جمع من الشباب يسلمون ..
كان من بينهم شاب له قصة شعر غريبة ويلبس بنطال جينز ضيق .. أقبل يصافح ويـشكر .. فسلمت عليه بحرارة .. وشكرته على حضوره وهزرت يده وقلت : وجهك وجه داعية .. تبسم وانصرف ..
بعدها بأسبوعين تفاجأت باتصال يقول : هـ ما عرفتني .. يا شيخ أنا الذي قلت لي و

من ذلك .. أنها اتفقت مع السكرتيرة أنها إذا اتصلت إحدى المريضات تريد أن تتحدث مع الطبيبة أو تسألها عن شيء يخص المرض ..
فإن السكرتيرة تسألها عن اسمها .. وترحب بهـا .. ثم تطلب منها التكرم بالاتصال بعد خمس دقائق ..

ثم تأخذ السكرتيرة الملف الخاص بهذه المريضة .. وتناوله للطبيبة .. فتقرأ الطبيبة معلومات المرض .. وتتنظر إلى بطاقتها الخاصة .. ومعلوماتها الكاملة بما فيها وظيفتها وأسماء أولادها .. فإذا اتصلت المريضة .. رحبت بها الطبيبة .. وسألتها عن مرضها .. وعن فلان ولدها الصغير .. وأخبار وظيفتها .. وفتشعر المريضة أن هذه الطبيبة تحبها جداً لدرجة أنها تحفظ أسماء أولادها وتتذكر مرضها .. ولم تنس مكان عملها .. فترغب في المجيء إليها دائماً ..

أرأيت أن امتلاك القلوب وأسرها سهل جداً .. ولا بأس أن تعبر عن محبتك للآخرين بكل صراحة .. سواء كانوا أباً أو أمّاً .. أو زوجة أو ابناً .. أو زملاء وجيران ..
لا تكتم مشاعرك نحوهم .. قل لمن تحبه : أنا أحبك .. أنت غالٍ إلى قلبي ..
حتى لو كان عاصياً قل له : إنك أحب إلي من أنا س كثيرين ..

ولم تكذب فهو أحب إليك من ملايين اليهود .. أليس كذلك .. كن ذكياً ..
أذكر أنني ذهبت مرة لأداء العمرة .. وكنت خلال طوافي وسعيي أدعو للمسلمين جميعاً .. بالحفظ والنصر والتمكين .. وربما قلت : اللهم اغفر لي واغفر لأحبابي وأصحابي ..
وبعد انتهائي من شعائرها .. حمدت الله على التيسير ..

ثم اكتريت فندقاً لأبيت فيه .. فلما وضعت رأسي على وسادتي كتبت رسالة عبر الهاتف الجوال أقول فيها :
"الآن أنهيت العمرة وتذكرت أحبابي وأنت منهم فلم أنسك من الدعاء الله يحفظك ويوفقك " ..
انتهت الرسالة ..

جهدك وجه داعية .. والله لأصبحن داعية إن شاء الله .. ثم صار يشرح لي مشاعره بعد تلك الكلمات ..
أرأيت كيف يتأثر الناس بصدق العبارة .. والمحبّة ..!

أما رسول الله ﷺ فقد كان يأسر قلوب الناس بروعة أخلاقه .. وقدرته على إظهار محبته الصادقة لهم ..

كان أبو بكر وعمر .. أجلّ الصحابة .. وكانا يتنافسان في الخير دوماً .. وكان أبو بكر يسبق غالباً .. فإن بكر عمر للصلاة وجد أبو بكر سبقه .. وإن أطعم مسكيناً وجد أبو بكر سبقه ..

وإن صلى ليلة .. وجد أبو بكر قبله .. وفي يوم أمر النبي ﷺ الناس بالصدقة لسد حاجة نازلة نزلت بالمسلمين ..

وافق ذلك الوقت أن عمر عنده سعة من المال .. فقال : اليوم أسبق أبو بكر .. إن سبقته يوماً .. ذهب عمر فجاء بنصف ماله .. فدفعه إلى رسول الله ﷺ ..

فما أول كلمة قالها لعمر لما رأى المال ؟ هل سأل عن مقدار المال ؟ أم سأل عن نوعه ذهب أم فضة ؟ لا .. بل لما رأى كثرة المال .. تكلم بكلمات يستنتج منها عمر أنه محبوب عند رسول الله ﷺ ..

قال لعمر : (ما أبقيت لأهلك يا عمر ؟) .. قال عمر : يا رسول الله ﷺ أبقيت لهم مثله .. ويجلس عمر عند رسول الله ﷺ منتشياً .. ينتظر أبو بكر ..

فيأتي أبو بكر t بمال كثير فيدفعه إلى رسول الله ﷺ وعمر واقف مكانه .. يرى العطاء ويسمع الدوار ..

فإذا بالنبي ﷺ قبل أن يلتفت إلى ما يحتاجه من مال .. يسأل أبو بكر : (يا أبو بكر .. ما أبقيت لأهلك ؟) ..

نعم فهو يحب أبو بكر .. ويحب أهله .. ولا يرضى بالضرر عليه ..

قال أبو بكر : يا رسول الله ﷺ أبقيت لهم الله ورسوله .. أما المال فقد أتيت به جميعاً ..

لم يأت بنصفه .. ولا بربعه .. وإنما أتى به كله ..

فما كان من عمر t إلا أن قال : " لا جرم .. لا سابقت أبا بكر أبداً " ..

كان الناس يشعرون أنه يحبهم .. فكانوا يهيئون به حباً .. صلى بهم إحدى الصدقات .. فكانه عجل بصلاته قليلاً حتى بدت أقصر من مثيلاتها ..

فلما انقضت الصلاة .. رأى e تعجب أصحابه ..

فقال لهم : لعلمكم عجبتم من تخفيفي للصلاة ؟

قالوا : نعم ! .. فقال : إني سمعت بكاء صبي فرحمت أمه ..!!

أرأيت كيف يحب الآخرين .. ويظهر لهم هذه المحبة من خلال تعامله ..

لست وحدك ..
أظهر عواطفك .. كن صريحاً : أنا أحبك ..
فرحت بلقياك .. أنت غال إلى قلبي ..

26. احفظ الأسماء ..

وهذا من الاهتمام بالناس .. ما أجمل أن تقابل شخصاً ما في موقف عارض .. كلقاء عند بنك .. أو في طائرة .. أو في وليمة عامة ..

فتتعرف على اسمه .. ثم تراه في موقف آخر .. فتقبل عليه قائلاً : مرحباً يا فلان .. لا شك أن ذلك يطبع في قلبه لك محبة وتقديرًا ..

حفظك لاسم الشخص الذي أمامك يشعره باهتمامك به ..

فرق بين المدرس الذي يحفظ أسماء طلابه .. والذي لا يحفظ ..

قولك للطالب : قم يا فلان .. أحسن من : قم يا طالب ..

كاعتقادك بأنك لن تقابله مرة أخرى .. فتقول
ل في نفسك : لا داعي لحفظ الاسم ..
أو كان إنساناً بسيطاً لا يستثير اهتمام
ك ..

أو عندما لا تسمع الاسم جيداً وتشعر بحر
ج من طلب إعادة اسمه ..
فهذه أسباب تجعل الناس لا يحفظون الأسماء
أ ..
أما العلاج لحفظ الأسماء .. فله طرق .. مذ
ها :

الافتناع بأهمية تذكر الاسم واستشعارك أن
ك بسماعك له ستسأل عنه بعد دقائق ..
ومنها .. التركيز على وجه الشخص أثناء
لاستماع إلى اسمه ..
حاول أن تلاحظ الشخص المقابل وطبيعة
ديته وابتسامته لينطبع في ذاكرتك ..
أثناء حديثك معه ناده باسمه مراراً .. صد
يح يا فلان ..؟ سمعت يا فلان ..؟ أنت مع
ي يا فلان ..؟ وكرره أكثر من مرة ..

باختصار ..

أشعري باهتمامك بي .. بحفظك اسمي ..
ونادني به .. لأحبك ..

27. كن لماحاً

قسم كبير من الأشياء التي نمارسها في ال
حياة .. نفعلها لأجل الناس لا لأجل أنفسنا
أ ..

عندما تدعى لوليمة عرس .. فتلبس أحس
ن ثيابك .. إنما تفعل ذلك لأجل لفت انتباه ال
ناس وجذب إعجابهم .. لا لأجل لفت انتباه
نفسك ..

وتفرح إذا لاحظت أنهم أعجبوا بجمال هين
ك .. أو رونق ثيابك ..
وعندما تؤثث مجلس ضيوفك .. وتتكلف ف
ي تزويقه والعناية به .. إنما تفعل ذلك أيض
أ لأجل نظر الناس .. لا لأجل نظر نفسك ..
بدليل أنك تعتني بغرفة استقبال الضيوف أك
ثر من عنايتك بالصالة الداخلية .. أو بحما

حتى في الرد على الهاتف .. أيهما أحب إليك .. أ
ن يجيبك من تتصل به بقوله : نعم .. أو ألو ..
أو يقول محتفياً : مرحباً يا خالد .. هلا أبو عبد
الله ..

بلا شك ان استماعك لاسمك له في القلب رنة قب
ل الأذن ..

جرت العادة بعد المحاضرات العامة أن يزدحم عل
ي بعض الشباب يصافحون ويشكرون ..
كنت أحرص على ترديد كلمة : الاسم الكريم ؟ ح
ياك الله من الأخ ؟ .. أقولها لكل واحد أسلم عليه
لأبدي له اهتمامي به .. فكان كل واحد يجيبني م
ستبشراً : أخوك زياد .. ابنك ياسر ..

وأذكر يوماً أنه بعدما سلم عدد كبير منهم ومض
وا .. عاد أحدهم ليسأل .. فأول ما أقبل عليّ قد
ت له : حياك الله يا خالد .. فابتهج وقال : ما شا
ء الله !! تعرف اسمي !!

الناس عموماً يحبون مناداتهم بأسمائهم ..
من المعروف أن الموظف العسكري يعلق لوحة
صغيرة على صدره فيها اسمه ..
فأذكر أنني أقيت محاضرة في إحدى المناطق الع
سكرية .. فازدحم أكثرهم مسلماً بعد المحاضر
ة ..

كان أحدهم يقترب ويبتعد .. وكأنه يريد السلام لك
نه يخجل من مزاحمة الآخرين ..
التفت إليه ولمحت لوحة اسمه .. فمددت يدي إليه
ه وقلت : مرحباً فلان !! فتغير وجهه وتعجب ..
ومد يده مصافحاً وهو يتبسم ويقول : هاه !! كي
ف عرفت اسمي ؟

فقلت : يا أخي الذين نحبههم .. لازم نعرف أسماء
هم ..

فكان لهذا تأثير كبير عليه ..
كثير من الناس يفتنع بهذا ويتمنى لو استطاع ح
فظ أسماء الآخرين ..

أما أسباب عدم حفظ الأسماء .. فهي كثيرة ..
منها .. عدم الاهتمام بالأشخاص أثناء مقابلته
م ..

ومنها .. التشاغل وقت التعارف وعدم التركيز أث
ناء استماع الاسم ..
ومنها .. موقفك تجاه الشخص المقابل ..

م أطفالك !!

عندما تدعو أصحابك إلى طعام .. ألا ترى أن زو
جتك - وربما أنت - تعتنى بترتيب الطعام وتنويه
به أكثر من العادة .. بلى .. وكلما زادت أهمية ه
ؤلاء الأصحاب .. زادت العناية بالطعام ..
وكم تكون سعادتنا غامرة عندما يثني أحد على ل
باسنا أو ديكورات بيوتنا .. أو لذة طعامنا ..
وقد قال ع : " وليأت إلى الناس الذي يحب أن يأ
توا إليه " أي عامل الناس بما تحب أن يعاملوك
به ..

كيف ..؟!

رأيت على صاحبك ثوباً جميلاً .. انتبه له .. أثن
عليه .. أسمعه كلمات رنانة .. ما شاء الله !! ما
هذا الجمال !! اليوم كائنك عريس !!
زارك يوماً فشممت من ثيابه عطراً فواحاً جمي
لاً .. أثن عليه .. تفاعل معه .. كن لمأحاً .. فه
و ما وضع الطيب إلا لأجلك ..
ردد عبارات جميلة :.. ما هذه الروائح .. ما أح
سن ذوقك ..

دعاك شخص لطعام .. أثن على طعامه .. فإنك ت
علم أن أمه أو زوجته أو أخته وقفت ساعات في
المطبخ لأجلك .. أو لأجل المدعويين عموماً ..
وأنت منهم ..

أو أنه على الأقل تعب في إحضاره من المطعم و
محل الحلويات .. و .. فأسمعه كلمات تجعله يشع
ر أنك ممتن له بما قدم لك .. وأن تعبته لم يذهب
سُدَى ..

دخلت بيت أحد أصدقائك - أو دخلت بيت إحدى
صديقاتك - فرأيت أثاثاً جميلاً .. فأثن على الأثا
ث .. والذوق الرفيع .. (لكن انتبه لا تبالغ حتى
لا يشعر أنه استهزاء) ..

حضرت في مجلس عام .. فسمعت حمد يتكلم مع
الحاضرين بانطلاق .. وقد أحيا المجلس .. وأسع
د الحاضرين .. أثن عليه .. خذ بيده إذا قمت .. ق
ل له : ما شاء الله ..!! ما هذه القدرات !! بصرا
حة ما ملج المجلس إلا حضورك ..
جرب افعل ذلك .. فسوف يحبك ..

رأيت موقفاً جميلاً لولد مع أبيه .. قبل يده .. ق
رَبِّ إليه نعليه .. أثن على الولد .. كن لمأحاً ..

لبس ثوباً جديداً .. أثن عليه .. كن لمأح
أ ..

زرت أختك .. رأيت عنايتها بأولادها .. كن
لمأحاً .. أثن عليها ..
رأيت عناية صاحبك بأولاده .. أو روعة تر
حيبه بضيوفه .. كن جريئاً .. لمأحاً .. أثن
عليه .. أخرج ما في صدرك من الإعجاب بـ
ه ..

ركبت مع شخص في سيارته .. أو استأجر
ت تاكسي .. لاحظت نظافة سيارته .. دُ
ن قيادته .. كن لمأحاً .. أثن عليه ..
قد تقول : هذه أمور عادية .. صحيح لكنها
مؤثرة ..

لقد جربت ذلك بنفسى .. ومارست هذه الم
هارة مع أعداد من الناس .. كباراً وصغار
أ .. وعملاً بسطاء .. ومدرسين .. بل ما
رستها مع أشخاص يشغلون مناصب علي
أ .. ورأيت من تأثرهم أعاجيب ..
خاصة في الأشياء التي ينتظرها الناس من
ك .. كيف ؟

عريس .. رأيت بعد زواجه بأسبوع ..
رجل حصل على شهادة عليا ..
شخص سكن بيتاً جديداً ..
كلهم بلا شك ينتظرون منك كلمات .. كن د
ما يتوقعون ..

كان عبد المجيد - ابن عمي - شاباً في الم
رحلة الثانوية .. بعد تخرجه طلب مني الذه
اب معه للجامعة لتسجيله فيها .. اتصلت بـ
ه ذات صباح ومررت على بيته بسيارتي لي
رافقتي للجامعة ..

كانت المشاعر تتزاحم في قلبه .. فهو ينتق
ل إلى مرحلة جديدة .. ويفكر في الكلية الت
ي ستقبله ..

أول ما ركب سيارتي شممت رائحة عطر
ه .. كانت رائحة نفائثة جداً .. ويبدو أنه قد
أفرغ العلبه كلها ذلك اليوم على ملابسه ..
بصراحة خنفتي بالرائحة .. فتحت النوافذ
لأتنفس .. شعرت أن المسكين تكلف في تز
ويق ثيابه .. وتطيببها ..

ثم التفت إليه وابتسمت وقلت :
 ماااا شaaaaاا الله !!!.. إيش هالروائح الحلوة !! أ
 خاف عميد الكلية أول ما يشم هالرائحة الحلوة ي
 صرخ بأعلى صوته يقول : مقبوووووول ..
 لا تتصور مدى السرور الذي غطى على قلبه ..
 والبشر الذي طفح على وجهه ..
 التفت إلي .. وقال بحماس : أشكرك يا أبا عبد ا
 لرحمن .. أشكرك .. والله إنه عطر غاال .. وأض
 عه دائماً والناس ما يلاحظونه .. ثم بدأ يشمه م
 ن طرف غترته ويقول : بالله عليك : ذوقي ح
 و ..؟!

آآه .. مر على هذا الموقف أكثر من عشر سنوا
 ت .. فقد تخرج عبد المجيد من الجامعة وتعين ف
 ي وظيفة منذ سنوات .. إلا أن ذلك الموقف لا يز
 ال عالقاً في أذنه .. ربما ذكرني به مازحاً في ب
 عض اللقاءات ..

نعم .. كن لماحاً .. التحكم بعواطف الناس وكس
 ب محبتهم سهل جداً .. لكننا في أحيان كثيرة نغ
 قل عن ممارسة مهارات عادية نكسبهم بها ..
 ولا تعجب إن قلت إن صاحب الخلق العظيم ك
 ان يمارس هذه المهارات .. وأحسن منها ..
 في أول سنين الإسلام .. لما ضيق على المسلمي
 ن في دينهم بمكة .. هاجروا إلى المدينة ..
 تركوا ديارهم وأموالهم ..

قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة مهاجراً .. وك
 ان في مكة تاجراً ممكناً .. لكنه جاء المدينة فقيد
 راً معدماً ..

كحل سريع للمشكلة .. آخى النبي بين المها
 جرين والأنصار ..

آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن ا
 ربيع الأنصاري ..

كانت نفوسهم سليمة .. وقلوبهم صافية ..
 فقال سعد لعبد الرحمن : أي أخي .. أنا أكثر أه
 ل المدينة مالاً ..
 فأقسم مالي نصفين .. فخذ نصفه وأبق لي نصف
 ه ..

ثم خشي سعد أن عبد الرحمن يريد أن يتزوج ..
 ولا يجد زوجة ..
 فعرض عليه أن يزوجه ..

فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك
 ومالك .. دُلّني على السوق !!..
 صحيح .. عبد الرحمن ترك ماله في مكة و
 استولى عليه الكفار ..
 لكنه كان ذا عقل راجح .. وخبرة تجارية و
 اسعة ..

دله سعد على السوق .. فذهب فاشترى وبا
 ع فربح ..

يعني اشترى بضاعة بالآجل ثم باعها حال
 ة .. فصار عنده رأس مال تاجر فيه ..
 وكان يتقن فن البيع والشراء والمماكسة ..
 حتى جمع مالاً فتزوج ..

ثم جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام ..
 وعليه ودع زعفران .. أي أثر طيب نسا
 ع ..!!

ليس غريباً فهو (عريس) ..

النبي طبيب النفوس .. كان لماحاً .. يت
 رقب الفرص لاصطياد القلوب .. أول ما رآ
 ه .. انتبه لهذا التغير .. وجعل ينظر إلى أ
 ر الطيب ويقول لعبد الرحمن : " مهيم ؟
 " .. أي ما الخبر ؟

ابتهج عبد الرحمن .. وقال : يا رسول ا
 لله .. تزوجت امرأة من الأنصار ..

عجب النبي e .. كيف استطاع أن يتزوج و
 هو حديث عهد بهجرة ..!!

فقال : " فما أصدقتها ؟"
 فقال : وزن نواة من ذهب ..

فأراد r أن يزيد من فرحته .. فقال " أولم
 ولو بشاة " ..

ثم دعا له النبي e .. بالبركة في ماله وتجا
 رته ..

فحلت البركة عليه ..
 قال عبد الرحمن وهو يصف كسبه وتجارت

ه : فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أ
 ن أصيب ذهباً وفضة ..

وكان e لماحاً حتى مع الضعفاء والمساكين
 ن ..

يشعرهم بقيمتهم .. يجعلهم يحسون أنه منت
 به لهم .. وأنهم مهمون عنده .. وأنه يقدر

الطور ما غلا ثمنه وزكا ريحه .. ليختار
من بينها ما يناسبه ..
فلما امتلأت ثياب صاحبنا طيباً .. قال للبا
ع بلطف : أشكرك .. وإن أعجبنى شيء من
ها فقد أعود إليك ..
ذهب سريعاً إلى الوليمة متداركاً رائحة ال
عطر قبل أن تزول ..
جلس على العشاء بجانب صديقه خالد .. ل
م يلاحظ خالد الرائحة .. ولم يعلق بكلمة ..
فقال له صاحبنا باستغراب : ما تشم رائحة
عطر جميلة ؟!
قال خالد : لا ..
فقال صاحبنا : أكيد أنفك مسدود ...!!
فأجاب خالد فوراً : .. لو كان أنفي مسدود
أ .. ما شممت رائحة عرقك ...!!

اعتراف ..

مهما بلغ الشخص من النجاح .. إلا أنه يب
قى بشراً يطرب للثناء ..

28. انتبه : كن لـمـاًحاً للجمال فقط ..
بعض الناس يتحمس كثيراً لأن يكون لـمـاد
أ .. فلا يكاد يسكت عن الملاحظة والثناء
ع ..
لكنهم قالوا قديماً : الشيء إذا زاد عن حد
ه .. انقلب إلى ضده ..
ومن تعجل الشيء قبل أوانه .. عوقب بحر
مانه ..
فكن لـمـاحاً للأشياء الجميلة الرائعة .. التي
يفرح الشخص برؤية الناس لها .. وينتظر
ثناءهم عليها .. ويطرب لسماع ألفاظ الإء
جاب بها ..
أما الأشياء التي يستحي من رؤيتها .. أو ي
خجل من ملاحظتها فحاول أن تتعامى عنه
أ ..
مثلاً :
دخلت بيت صاحبك فرأيت الكراسي قديم
ة ..
فانتبه من أن تكون من الثقلاء الذي لا يكف

استمتع بحدياتك ..
لهم أعمالهم التي يقومون بها مهما كانت متواض
عة ..
فإذا افتقدهم .. ذكّرهم بالخير .. وتلمّح أعماله
م .. فتشجع الآخرون أن يفعلوا كفعالهم ..
كان في المدينة امرأة سوداء .. مؤمنة صالح
ة .. كانت تكنس المسجد ..
كان يراها أحياناً .. فيعجب بحرصها ..
مرت أيام .. ففقدوها رسول الله r .. فسأل عنها ؟
فقالوا : ماتت يا رسول الله ..
فقال : أفلا كنتم أدنتموني ..
فصغّروا أمرها .. وأنها مسكينة مغمورة لا تست
حق أن يخبر عنها رسول الله .. وقالوا أيضاً
أ : ماتت بليل .. فكرهنا أن نوقظك ..
فحرص على أن يصلي عليها .. فعملها وإن
رأه الناس صغيراً فهو عند الله كبير .. ولكن كي
ف يصلي عليها وقد ماتت ودفنت ؟!
قال r : دلوني على قبرها ..
فمشوا معه حتى أوقفوه على قبرها .. دلوه فصل
ى عليها ..
ثم قال : إن هذه القبور .. مملوءة ظلمة عد
ى أهلها .. وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي
عليهم ..
فبالله عليك .. ما هو شعور من رأوه ينتبه إل
ى هذا العمل الصغير من امرأة ضعيفة .. كيف س
يكون حماسهم للقيام بمثل فعلها وأعظم ..
دعني أهمس في أذنك :
نحن في مجتمع لا يقدر أحياناً مثل هذه المهارا
ت .. فانتبه !! لا يطفئ حماسك فريق من الثقلا
ء الغلاظ الذين مهما لمحت ما عندهم من لطائ
ف .. وأثيت عليهم بالكلمات الرقيقة الرنانة .. ل
م يتأثروا .. أو ردوا على تلطفك بكلمات سامجة
ممجوجة .. لا طعم لها .. بل ولا لون ولا رائح
ة !!
ومن لطائف هؤلاء ..
أن شاباً - أعرفه - دُعي إلى وليمة كبيرة .. ف
يها أشخاص مهمون .. مر على السوق في طري
قه .. ودخل محل عطور وأظهر أنه سيشتري فج
عل الموظف يحتفي به .. ويرش عليه من أنواع

ذكروا أن رجلاً زار مريضاً .. فجلس عند
ه قليلاً .. ثم سألته عن علته .. فأخبره المر
يض بها .. وكانت علة خطيرة ..
فصرخ الزائر :

آآآ .. هذه العلة أصابت فلاناً صاحبي فما
ت منها .. وأصابت فلاناً صديق أخي ولا ي
زال مقعداً منها شهراً ثم مات .. وأصابت
فلاناً جار زوج أختي ومات ..
والمريض يستمع إليه ويكاد أن ينفجر ..
فلما أنهى الزائر كلامه وأراد الخروج التفت
ت إلى المريض وقال : هاه .. توصيني بش
يء ؟

قال المريض : نعم .. إذا خرجت فلا ترجع
إلي .. وإذا زرت مريضاً فلا تذكر عنده ال
موتى ..

وذكروا كذلك أن امرأة عجوزاً مرضت عجز
وز صديقة لها ..

فجعلت هذه العجوز تلتمس من أبنائها واحد
داً واحداً أن يذهبوا بها لتلك المريضة لزي
ارتها وهم يتعللون ويعتذرون ..

حتى رضي أحد أبنائها على مضض .. وذه
ب بها بسيارته ..

فلما وصل بيت العجوز المريضة نزلت أمه
وجعل ينتظرها في سيارته ..

دخلت الأم على المريضة فإذا هي قد تمكّن
منها المرض .. فسلمت عليها ودعت له

ا ..

فلما مشت خارجة مرت ببنات المريضة وه
ن يبكين في صالة البيت ..

فقالت بكل براءة : أنا لا يتيسر لي المجيء
أليكن كلما أردت .. وأمكم مريضة ويبدو ل

ي أنها ستموت .. فأحسن الله عزاءكم من
الآن !!

فانتبه يا لبيب .. كن لماحاً لما يفرح ويس
ر .. لا لما يحزن ..

ون عن تقديم اقتراحات لم تطلب منهم ..
انتبه من أن يفرط لسانك بقول : لماذا ما تغير ال
كراسي ؟!

الثريات نصفها ما يشغل !!
لماذا لا تشتري ثريات جديدة !!
دهان الجدار قدييييم .. لماذا ما تدهنه بألوان ج
ديدة !!

يا أخي هو لم يطلب منك اقتراحات .. ولست مهذ
دس ديكور اتفق معك على أن يستفيد من آراء
ك .. ابق ساكناً ..

لعله لا يستطيع تغييرها ..
لعله يمر بضائقة مالية ..
لعله ..

ليس أثقل على الناس ممن يخرجهم بالنظر إلى
ما يستحون منه .. ثم يثيره ويبدأ في التعليق عل
يه ..

ومثل ذلك .. لو كان ثوبه قديماً .. أو مكيف سيا
رته متعطّل .. قل خيراً أو اصمت ..

ذكروا أن رجلاً زار صاحباً له فوضع له خبزاً
وزيتاً ..

فقال الضيف : لو كان مع هذا الخبز زعتر !!
فدخل صاحب الدار وطلب من أهله زعترأ للضيف
ف فلم يجد ..

فخرج ليشتري ولم يكن معه مال .. فأبى صاح
ب الدكان أن يبيعه بالآجل .. فرجع وأخذ وأخذ م
طهرته (وهي الإناء الذي يضع فيه الماء ليتوضد

أ منه) فخرج بها ودفعها إلى صاحب الدكان -
رهنأ - حتى إذا لم يسدد له قيمة الزعتر يبيع

صاحب الدكان المطهرة ويستوفي الثمن لنفسه
ه ..

ثم أخذ الزعتر ورجع به إلى ضيفه .. فأكل ..
فلما انتهى الضيف من الطعام قال : الحمد لله الذ

ي أطعمنا وسقانا .. وقتعنا بما آتانا ..
فتأوه صاحب الدار تأوه الحزين وقال : لو قدّ

ك الله بما آتاك .. لما كانت مطهرتي مرهونة !!
وكذلك لو زرت مريضاً فلا تردد عليه :

أوووه .. وجهك أصفر .. عيناك زائغتان .. جلد
ك يابس ..

عجباً !! هل أنت طبيبه ؟ قل خيراً أو اصمت ..

مشكلة :

إذا اضطرت للمح سيء .. كوسخ ثوبه ..
أو رائحة سيئة .. فأحسن التنبيه .. كن لطيف

ت أنه يفعل ذلك لكيلا يخرج نفسه ..
 انتهت مكالمته .. جعلت ألتفت إلى الحاضري
 ن وأتخيل أن واحداً منهم سأل :
 من كلمك ؟ وماذا يريد منك ؟ ولماذا تغير
 وجهك بعد المكالمة !!؟
 لكن الله رحمه لأن أحداً لم يتدخل فيما لا
 يعنيه ..

ومثله لو زرت مريضاً .. فسألته عن مرض
 ه .. فأجابك بكلمات عامة : الحمد لله .. ش
 يء بسيط .. مرض صغير وانتهى .. أو ند
 رها من العبارات التي لا تحمل جواباً صري
 حاً .. فلا تخرجه بالتدقيق عليه : عفواً ..
 يعني ما هو المرض بالضبط ؟ وضح أكثر
 ر ..!! ماذا تعني ..!! ونحو ذلك ..

عجباً !! ما الداعي لإحراجه ..؟ من حسن
 إسلام المرء تركه ما يعنيه .. يعني .. تنتظ
 ر أن يقول لك : أنا مريض بالبواسير .. أو
 مصاب بجرح في .. أو ..
 ما دام أنه أجاب إجابة عامة فلا داعي للتط
 ويل معه ..
 ولا أعني بهذا عدم سؤال المريض عن مر
 ضه ؟ إنما أعني عدم التدقيق في الأسئ
 ة ..

ومثله .. الذي ينادي طالباً أمام الناس في
 مجلس عام .. ويسأله بصوت عالٍ :
 هاه يا أحمد .. نجحت ..
 فيقول : نعم ..
 فيسأله : كم نسبتك ؟ كم ترتيبك في الفصل
 ؟

إن كنت صادقاً في اهتمامك به فأسأله على
 انفراد بينك وبينه ..
 ثم لا داعي للتدقيق .. كم نسبتك .. لماذا لم
 تذكر .. لماذا لم تقبل في الجامعة .. إن كذ
 ت مستعداً لإعاقته فقف معه جانباً وحدثه
 بما تريد .. أما نشر غسيله أمام الناس .. ف
 لا ..
 قال e : من حسن إسلام المرء تركه ما لا ي
 عنيه ..

لكن انتبه !! لا تعط الموضوع أكبر من حج

29. لا تتدخل فيما لا يعنيك ..

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ..
 ما أجمل هذه العبارة وأنت تسمعها من الفم الزك
 ي الطاهر .. فم رسول الله ..
 صحيح .. تركه ما لا يعنيه ..

كم هم ثقلاء أولئك الذين يزجونك بالتدخل فيما
 لا يعنيهم ..
 يشغلك إذا رأى ساعتك .. بكم اشتريتها ..
 فتقول : جاءني هديه ..
 فيقول : هدية !! ممن ؟
 فتجيب : من أحد الأصدقاء ..
 فيقول : صديقك في الجامعة .. أم في الحارة .. أ
 م أين ؟!

فتقول : والله .. آآ .. صديقي في الجامعة ..
 فيقول : طيب .. ما المناسبة ؟!
 فتقول : يعني .. مناسبة أيام الجامعة ..
 فيقول : مناسبة إيش ؟!! نجاح .. أم كنتم في ر
 حلة .. أو يمكن .. أأ ..
 ويستمر في استجوابه لك على قضية تافهة ..!!
 بالله عليك ألا تحدثك نفسك أن تصرخ به : لاااا
 تتدخل فيما لا يعنيك ..

وقد يزداد الأمر سوءاً لو أخرجك بالسؤال في م
 جلس عام فسبب لك إحراجاً ..
 أذكر أنني كنت في مجلس مع عدد من الزملاء ..
 بعد المغرب ..
 رن هاتف أحدهم .. كان جالساً بجانبني ..
 أجاب : نعم ؟

زوجته : ألو .. وينك يا حمار ؟!
 كان صوتها عالياً لدرجة أنني سمعت حوارهما ..
 قال : بخير .. الله يسلمك (!!!) ..
 (يبدو أنه كان قد وعدا أن يذهب بها بعد المغر
 ب لبيت أهلها وانشغل بنا) ..
 غضبت الزوجة : الله لا يسلمك .. أنت مبسوط أذ
 لك مع أصحابك وأنا أنتظر .. والله انك ثور
 (!!) ..

قال : الله يرضى عليك .. أمرُّك بعد العشاء ..
 لاحظت أن كلامه لا يتوافق مع كلامها .. فأدر

30. كيف تتعامل مع "الملاقيف" (33) ؟

أحياناً يتناول بعض الناس هاتفك الجوال -
بدون استئذان - ويقرأ الرسائل التي فيه ..
كان صاحبي في دعوة عامة .. وليمة عشا
ء عند أحد القضاة .. كل من في المجلس م
شايع فضلاء ..

جلس صاحبی بینہم .. يتجاذب اطراف الد
لیث معہم ..

ضايقه وجود هاتفه الجوال في جيبه فأخبره
 به ووضعها على الطاولة التي بجانبه ..
 كان الشيخ الذي بجانبه متفاعلاً في الحديث
 معه ..

من باب العادة أخذ الشيخ الهاتف الجوال ..
رفع إليه .. فلما نظر إلى الشاشة تغير وج
هه .. وأرجعه مكانه ..

كتم صاحبی ضحكة مدویه ..

لما خرج ركبت معه في سيارته .. وقد وضعت هاتفه الجوال بجانبه .. فرفعته إليّ - كم فعل الشيخ - فلما نظرت إلى الشاشة ضحكتم .. بل غرقت في الضحك ..

تدري لماذا؟

جرت عادة بعضهم أن يكتب عبارات على شاشة الهاتف .. يكتب اسمه .. أو "أذكر الله" .. أو غيرها ..

أما صاحبي فقد كتب : " أرجع الجهاز يا م
لقوف " ..

كثير من الناس من هذا النوع يتدخلون في أمور الآخرين الشخصية ..

فمن الطبيعي أن يركب معك في سيارتك ثم يفتح الدرج الذي أمامه .. وينظر ما بداخله

وامرأة تفتح حقيبة امرأة أخرى لتأخذ أحم
ر الشفاه أو ظل العينين ..

وقد يتصل بك فيسألك أين أنت فتقول " طالع مشوار " فيقول : أين ..؟ من معك ؟
مجموعة من الناس نخالطهم يعاملوننا بمثل

سافرت إلى المدينة النبوية قبل مدة .. كنت مشغ
ولاً بعدد من المحاضرات ..

فاتفقت مع شاب فاضل أن يأخذ ولدي عبد الرحمن وأخاه بعد العصر إلى حلقة تحفيظ أو مركز صيفي ترفيهي .. ويعيدهم بعد العشاء ..

كان عبد الرحمن في العاشرة من عمره .. خشي
ت أن يسأله ذلك الشاب من باب الفضول أسئلة
لا داعي لها .. ما اسم أمك ؟ أين بيتكم ؟ كم عدد
إخوانك ؟ كم يعطيك أبوك من المال ؟

فنبهت عبد الرحمن قائلاً : إذا سألك سؤالا غير مناسب .. فقل له : قال e : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .. وكررت عليه الحديث حتى حفظه ..

ركب عبد الرحمن وأخوه .. مع الشاب .. كان عبد
د الرحمن مشدوداً متهيأ ..

قال الشباب متلفاً : حياك الله يا عبد الرحمن ..
فأجابه بحزم : الله يحييك ..

أراد الشاب المسكين أن يلطف الجو .. فقال : الـ
شيخ عنده محاضرة اليوم ؟!

حاول الولد أن يتذكر الحديث فلم تسعفه ذاكرته
هـ .. فصرخ قائلاً : لا تتدخل فيما لا يعينك !!

قال الشاب : لا .. أقصد .. بل حتى أحضر وأستفيد ..

ب : لا تتدخل فيما لا يعنك ..

قال الشاب : عفواً عبد الرحمن أعني ..

فصرخ عبد الرحمن : لاااااا تدخل فيما لا يعنيد

ك !!

ولم يزل هذا حالهما حتى رجعا !!
أخبرني عبد الرحمن بالقصة مفئخرأ .. فضحك
وفهمته الأمر مرة أخرى ..

ورشة عمل

مجاهدة النفس على التحرر من التدخل في شئ
ن الآخرين .. متعبة في البداية .. لكنها مريحة ف
ي النهاية ..

(33) ملاقيف : لفظ عامية ، جمع " ملقوف " وهو المتدخل فيما لا يعنيه .. ويسميه بعضهم " حشري " متطفل ..

ه .. أحسن الخروج من الموقف من غير أن تجرحه ..

31. لا تنتقد !!

ركب سيارة صاحبه .. فكانت أول كلمة قال لها : يااه !! ما أقدم سيارتك !! ولما دخل بيته .. رأى الأثاث فقال : أوووو ه .. ما غيرت أثاثك ؟!

ولما رأى أولاده .. قال : ما شاء الله .. حظ وين .. لكن لماذا ما تلبسهم ملابس أحسن من هذه !!

ولما قدّمت له زوجته طعامه .. وقد وقفت المسكينة في المطبخ ساعات .. رأى أنواع ه فقال : ياااا الله .. لماذا ما طبختي رز ؟ أووو ه .. الملح قليل ! لم أكن أشتهي هذا النوع !!

دخل محلاً لبيع الفاكهة .. فإذا المحل مليء بأصناف الفواكه .. فقال : عندك مانجو ؟ قال صاحب المحل : لا .. هذه في الصيف فقط ..

فقال : عندك بطيخ ؟ قال : لا .. فتغير وجهه وقال : ما عندك شيء .. ليش فاتح المحل ! وخرج .. ونسي أن في المحل أكثر من أربعين نوعاً من الفواكه .. نعم ..

بعض الناس يزعجك بكثرة انتقاده .. ولا يكاد أن يعجبه شيء .. فلا يرى في الطعام اللذيذ إلا الشعرة التي سقطت فيه سهواً .. ولا في الثوب النظيف إلا نقطة الحبر التي سالت عليه خطأً .. ولا في الكتاب المفيد إلا خطأً مطبعياً وقع سهواً ..

فلا يكاد يسلم أحد من انتقاده .. دائم الملاحظات .. يدقق على الكبيرة والصغيرة .. أعرف أحد الناس .. زاملته طويلاً في أيام الثانوية والجامعة .. ولا تزال علاقتنا مست

ل هذا الأسلوب .. فكيف نتعامل معهم ؟ أهم شيء أن لا تفقده .. حاول أن تتجنب المصادمة معه ..

حاول أن لا (يزعل) منك أحد .. كن ذكياً في الخروج من الموقف .. دون أن يحد ث بينك وبينه مشكلة .. لا تتساهل بكسب الأعداء أو فقدان الأصدقاء .. مهما كانت الأسباب ..

ومن أحسن الأساليب للتعامل مع الطفيليين .. ه وإجابة السؤال بسؤال .. أو الانتقال إلى موضوع آخر تماماً لينسى سؤاله الأول .. فلو سألك مثلاً : كم مرتبك الشهري ؟ قل له بلطف وتبسم : لماذا هل وجدت لي وظيفة مغرية ..

سيقول : لا .. لكن أريد أن أعرف .. قل : المرتبات هذه الأيام مشاكل .. ويبدو أن ذلك بسبب ارتفاع أسعار البترول !! سيقول : ما دخل البترول .. فقل : البترول هو الذي يتحكم فغي الأسعار .. ألا تلاحظ أن الحروب تقوم لأجله .. سيقول : لا .. ليس صحيحاً .. فالحروب لها أسباب أخرى .. والهالمم اليوم ملء بالهروب .. و .. وينسى سؤاله الأول .. (هاه .. ما رأيك ألم تخرج من الموقف بذكاء ؟) ..

وكذلك لو سألك عن وظيفتك .. أو أين ستسافر .. أسأله : لماذا .. هل ستسافر معي .. سيقول : لا أدري !! أول شيء أخبرني .. قل : لكن إن سافرت معي .. فالتذاكر عليك .. عندها سيدخل في موضوع التذاكر وينسى الموضوع الأصلي .. وهكذا .. نستطيع الخروج من مثل هذه المواقف من غير وقوع مشاكل بيننا وبين الآخرين ..

وقفة ..

إذا ابتليت بمتدخل فيما لا يعنيه .. فكن خيراً من

ه .. إلا تركه .. (34) .. نعم ما كان يصنع م
شكلة من كل شيء ..
وقال أنس t : والله لقد خدمت رسول الله
r تسع سنين .. ما علمته قال لشيء صنعت
ه : لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب عليّ شيء
أ قط .. والله ما قال لي أف قط ..
هكذا كان .. وهكذا ينبغي أن نكون ..
وأنا بذلك لا أدعو إلى ترك النصيحة أو السد
كوت عن الأخطاء .. ولكن لا تكن مدققاً ف
ي كل شيء .. خاصة في الأمور الدنيوي
ة .. تعود أن تمشي الأمور ..
لو طرق بابك ضيف فرحبت به وأدخلته غ
رفة الضيوف فلما أحضرت الشاي تناول ال
فنجان .. فلما نظر إلى الشاي بداخله قال :
لم لم تملأ الفنجان ؟ فقلت : أزيديك ؟ قا
ل : لا .. لا .. يكفي ..
فطلب ماء فأحضرت له كأس ماء فشكره
وشربه .. فلما انتهى قال : ماؤكم حار ..
ثم التفت إلى المكيف وقال : مكيفكم لا يبر
د !! وجعل يشتكي الحر .. ثم ..
ألا تشعر بثقل هذا الإنسان .. وتتمنى لو يذ
رج من بيتك ولا يعود ..
إذن الناس يكرهون الانتقاد ..
لكن إن احتجت إليه فغلفه بغلاف جميل ثم
قدمه للآخرين ..
قدمه في صورة اقتراح .. أو بأسلوب غير
مباشر .. أو بألفاظ عامة ..
كان رسول الله ع إذا لاحظ خطأً على أحد
لم يواجهه به وإنما يقول : ما بال أقوام يف
علون كذا وكذا ..
يعني : إياك أعني واسمعي يا جارة ..
في يوم من الدهر أقبل ثلاثة شباب متحمسي
ن .. إلى المدينة النبوية ..
كانوا يريدون معرفة كيفية عبادة النبي
وصلاته ..
سألوا أزواج النبي r عن عمله في السر ..
فأخبرتهم زوجات النبي r أنه يصوم أحياناً

مرة .. إلا أنني لا ذكر أنه أثنى على شيء ..
أسأله عن كتاب ألفته وقد أثنى عليه أناس كثيراً
وطبع منه مئات الآلاف فيقول ببرود : والله جي
د .. ولكن فيه قصة غير مناسبة .. وحجم الخط
ما أعجبني .. ونوعية الطباعة أيضاً سيئة ..
و ..
وأسأله يوماً عن أداء فلان في خطبته .. فلا يكا
د يذكر جانباً مشرقاً ..
حتى صار أثقل علي من الجبل .. وصرت لا أسأل
ه أبداً عن رأيه في شيء لأنني أعرفه سلفاً ..
قل مثل ذلك فيمن يفترض المثالية في جميع النوا
س ..
فيريد من زوجته أن يكون بيتها نظيفاً 24 ساعة
100% ..
ويريدها أيضاً أن يبقى أطفالها نظيفين متزيينين
على مدى اليوم ..
وإن زاره ضيوف افترض أن تطبخ أحسن الطعا
م ..
وإن جالسها افترض أن تحدثه بأجمل الأحاديث
ث ..
وكذلك هو مع أولاده .. يريدونهم 100% في كل
شيء ..
ومع زملائه .. ومع كل من يخالطه في الشارع و
السوق .. و ..
وإن قصر أحد من هؤلاء أكله بلسانه وأكثر علي
ه الانتقاد وكرر الملاحظات .. حتى يمل الناس م
نه .. لأنه لا يرى في الصفحة البيضاء إلا الأسو
د ..
من كان هذا حاله عذب نفسه في الحقيقة .. وكر
هه أقرب الناس إليه واستثقلوا مجالسته ..
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذا
ظمنت , وأي الناس تصفو
مشاربه؟!
إذا كنت في كل الأمور معاتباً
رفيقك لن تلق الذي ستعاتب
ه
قالت أمنا عائشة t وهي تصف حال تعامله م
عهم :
ما عاب رسول الله r طعاماً قط .. إن اشتهاه أكل

فأخبرت الجارية أهلها فأبوا ذلك .. وأرادوا أن يربحوا الأمرين .. ثمن عتقها .. وولاء ها !!

فسألت عائشة النبي r .. فعجب من حر صهم على المال .. ومنعهم للمسكينة من الحرية !!

فقال لعائشة : ابتاعها .. فأعتقها .. فإنما الولاء لمن أعتق ..

أي الولاء لك ما دام أنك دفعت المال .. ولا تلتفتي إلى شروطهم فهي ظالمة ..

ثم قام رسول الله r على المنبر فقال :

ما بال أقوام (ولم يقل آل فلان) .. يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله .. من اشتراط شرطاً ليس في كتاب الله .. فليس له

ه .. وإن اشترط مائة شرط (38) ..

نعم هكذا .. لو ح بالعصا من بعيد ولا تضر ب بها ..

فما أجمل أن تقول لزوجتك المهملة في نظافة بيتها : البارحة تعشينا عند صاحبي فلا ن .. وكان الجميع يثني على نظافة منزله

ه ..

أو تقول لولدك المهمل للصلاة في المسجد

د .. : أنا أعجب من فلان ابن جيراننا ما نكاد نفقده في المسجد أبداً !! ..

يعني .. إياك أعني واسمعي يا جارة !! ويحق لك أن تسأل : لماذا يكره الناس الاندقاد ؟

فاقول : لأنه يشعرهم بالنقص .. فكل الناس

س يحبون الكمال ..

ذكروا أن رجلاً بسيطاً أراد أن يكون له شيء من التحكم ..

فعمد إلى ترمسي ماء أحدهما أخضر والثاني أحمر .. وعبأهما بالماء البارد ..

ثم جلس للناس في طريقهم .. وجعل يصيد

ج : ماء بارد مجاناً ..

فكان العطشان يقبل عليه ويتناول الكأس لي

ويفطر أحياناً .. وينام بعضاً من الليل ويصلي بعضه ..

فقال بعضهم لبعض : هذا رسول الله r قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه ..

ثم اتخذ كل واحد منهم قراراً !! ..

فقال أحدهم : أنا لن أتزوج .. أي سأبقى عزباً .. متفرغاً للعبادة ..

وقال الآخر : وأنا سأصوم دائماً .. كل يوم ..

وقال الثالث : وأنا لا أنام الليل .. أي سأقوم الليل كله ..

فبلغ النبي r ما قالوه ..

فقام على منبره .. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال أقوام !! (هكذا مبهماً ، لم يقل ما بال فلان وفلان) ..

ما بال أقوام قالوا : كذا وكذا .. لكني أصلي وأنا م .. وأصوم وأفطر .. وأتزوج النساء ..

فمن رغب عن سنتي فليس مني (35) .

وفي يوم آخر .. لاحظ النبي r أن رجالاً من المسلمين يرفعون أبصارهم إلى السماء في أثناء صلاتهم ..

وهذا خطأ فالأصل أن ينظر أحدهم إلى موضع سجوده ..

فقال r : ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ..

فلم ينتهوا عن ذلك واستمروا يفعلونه .. فلم يفصحهم أو يسمهم بأسمائهم .. وإنما قال :

لينتهن عن ذلك .. أو لتخطفن أبصارهم (36) .. وكانت بريرة جارية أمة مملوكة في المدينة .. أ

رادت أن تعتق من الرق .. فطلبت ذلك من سيدها .. فاشتراط عليها مالاً تدفعه إليه ..

فجاءت بريرة .. إلى عائشة تلتمس منها أن تعينها بمال ..

فقالت عائشة : إن شئت أعطيت أهلك ثمنك .. فتعتقين .. لكن يكون الولاء لي .. (37)

(35) متفق عليه

(36) رواه البخاري

(37) الولاء : هو إذا أعتق الشخص عبداً مملوكاً صار الولاء للمعتق ، بمعنى أن المعتق يدخل ضمن ورثة ه

ذا العبد المملوك بعد موته ، فيشارك أهل العبد في ورثته .

(38) رواه البخاري

اشتد المخاض بالمرأة حتى انتهت شدتها و
ولدت ..

لكنها ولدت غلاماً أسود !!
نظر الرجل إلى نفسه .. ونظر إلى امرأته ف
إذا هما أبيضان .. فعجب كيف صار الغلام
أسود !!

أوقع الشيطان في نفسه الوسوس ..
لعل هذا الولد من غيرك !!
لعلها زنى بها رجل أسود فحملت منه !!
لعل ..

اضطرب الرجل وذهب إلى المدينة النبوية
حتى دخل على رسول الله ع وعنده أ
صحابه ..

فقال : يا رسول الله .. إن امرأتي ولدت غلاماً
أسود !! وأنا أهل بيت لم
يكن فينا أسود قط !!

نظر النبي ع إليه .. وكان قادراً على أن ي
سمعه موعظة حول حسن الظن بالآخرين

ن .. وعدم اتهام امرأته ..
لكنه أراد أن يمارس معه في الحل أسلوباً
آخر ..

أراد أن يجعل الرجل يحل مشكلته بنفسه ..
فبدأ يضرب له مثلاً يقرب له الجواب ..
فما المثل المناسب له ..؟ هل يضرب له مثلاً
بالأشجار ؟ أم بالنخل ؟ أم بالفؤوس وال
روم ؟

نظر إليه ع فإذا الرجل عليه آثار البادية ..
وإذا هو مضطرب تتراحم الأفكار في رأسه
حول امرأته ..

فقال له ع : هل لك من إبل ؟

قال : نعم ..

قال : فما ألوانها ؟

قال : حمراء ..

قال : فهل فيها أسود ؟

قال : لا ..

قال : فيها أوراق ؟

قال : نعم ..

قال : فأنى كان ذلك ؟!

يعني : ما دام أنها كلها حمراء ذكوراً وإناثاً

صب لنفسه ويشرب .. فإذا رآه صاحبنا قد توجه
للترمس الأخضر ..

قال له : لا .. اشرب من الأحمر .. فيشرب من الأحمر ..

وإذا أقبل آخر .. وأراد أن يشرب من الأحمر .. قال له : لا .. اشرب من الأخضر ..

فإذا اعترض أحدهم .. وقال : ما الفرق ؟!

قال : أنا المسئول عن الماء .. يعجبك هذا النظام
أو دبر لنفسك ماءً ..

إنه شعور الإنسان الدائم بالحاجة إلى اعتباره وإ
لاهتمام به ..

نحلة .. وذباب !!

كن نحلة تقع على الطيب وتتجاوز الخبيث .. ولا
تك كالذباب يتتبع الجروح !!

32. لا تكن أستاذياً !!

قارن بين ثلاثة آباء .. رأى كل واحد ولده جالساً
عند التلفاز في أيام الامتحانات ..

فقال الأول لولده : يا محمد .. ذاكر دروسك ..
وقال الثاني : ماجد .. إذا ما ذاكرت دروسك والله
لأضربك .. وأحرمك من المصروف .. و ..

أما الثالث فقال : صالح .. لو تذاكر دروسك .. أحسن لك من التلفاز .. صح ؟!

أيهم أحسن أسلوباً ؟ ..
لا شك أنه الثالث .. لأنه قدم أمره على شكل اقتراح ..

وكذلك في التعامل مع زوجتك .. سارة لبيتك تعلمي
ن شاي .. هند أتمنى أتغدى مبكراً اليوم ..
وكذلك ..

عندما يخطئ إنسان .. عالج خطأه بأسلوب يجعل
ه يشعر أن الفكرة فكرته هو .. ولدك يغيب عن الصلاة في المسجد ..

قل له - مثلاً - : سعد .. ما تريد تدخل الجنة ..
بلى .. إذن حافظ على صلاتك ..

في يوم من الأيام .. وفي خيمة أعرابي في الصحراء ..
جعلت امرأة تتأوه تله .. وزوجها عند رأسها ينتظر خروج المولود ..

- أ .. وليس فيها أي لون آخر .. فكيف ولدت الناقة
- ة الحمراء ولداً أورق .. يختلف عن لونها ولون
- الأب (الفحل) ..
- فكر الرجل قليلاً .. ثم قال : عسى أن يكون نزع
- ه عرق .. يعني قد يكون من أجداده من هو أور
- ق .. فلا زال الشبه باقياً في السلالة .. فظهر ف
- ي هذا الولد ..
- فقال ع : فلعل ابنك هذا نزع عرق (39) ..
- سمع الرجل هذا الجواب .. فكر قليلاً فإذا هو جو
- ابه هو .. والفكرة فكرته .. فافتنع وأيقن .. وم
- ضى إلى امرأته ..
- وفي يوم آخر ..
- جلس ع مع أصحابه .. فجعل يحدثهم عن أبواب ا
- لخير ..
- وكان مما ذكره .. أن قال : وفي بضع أحدكم صد
- قة ..
- أي وطء أحدكم امرأته له فيه أجر ..
- فعجب الصحابة وقالوا : يا رسول الله .. يأتي أحد
- دنا شهوته .. ويكون له أجر ؟!!
- فأجابهم ع بجواب يشعرون به أن الفكرة فكرته
- م .. فلا يحتاجون لنقاش لإقناعهم بها ..
- فقال ع : أريتم لو وضعها في حرام .. أكان عليه
- وزر ..
- قالوا : نعم ..
- قال : فذلك لو وضعها في حلال كان له أجر ..
- بل حتى أثناء الحوار مع الآخر ..
- تدرج معه عند النصيح في الأشياء التي أنتما متف
- قان عليها ..
- خرج ر إلى مكة معتمراً في ألف وأربعمائة من ا
- صحابه .. فمنعتهم قريش من دخول مكة ..
- ووقعت أحداث قصة الحديبية المشهورة ..
- في آخر الأمر وبعد مشاورات طويلة بين النبي ر
- وقريش .. اتفقوا على صلح ..
- كان الذي تولى الاتفاق على بنود الصلح من جان
- ب قريش هو سهيل بن عمرو ..
- اتفق النبي ر مع سهيل على شروط ..
- منها :

- أن يعود المسلمون أدرأهم
- إلى المدينة من غير عمرة ..
- وأن من دخل في الإسلام من
- أهل مكة وأراد أن يهاجر إلى المدين
- ة فإن المسلمين في المدينة لا يقبلو
- نه ..
- أما من ارتد عن إسلامه وأرا
- د الذهاب إلى المشركين في مكة فإد
- ه يقبل ...!!
- إلى غير ذلك من الشروط التي في ظاهرها
- أنها هزيمة للمسلمين وإذلال لهم ..
- كانت قريش في الواقع خائفة من هذا العدد
- الكبير من المسلمين .. وتعلم أن المسلمين
- لو شاءوا لفتحوا مكة .. ولهذا كانت قريش
- تضطر إلى التلطف والمصانعة ..
- وكأنى بهم .. ما كانوا يحلمون أن يظفروا
- ولا بربح هذه الشروط ..
- كان أكثر الصحابة متضايقاً من شروط العقد
- د ..
- لكن أنى لهم أن يعترضوا .. والذي يكتب ال
- عقد ويمضيه رجل لا ينطق عن الهوى ..
- كان عمر متحفظاً .. ينظر يميناً وشمالاً ..
- يتمنى لو يستطيع عمل شيء ..
- فلم يصبر ..
- وثب عمر فأتى أبا بكر .. وأراد أن يناقش
- ه ..
- فمن حكمته .. لم يبدأ بالاعتراض .. وإنما
- بدأ بالأشياء التي هما متفقان عليها ..
- وجعل يسأل أبا بكر أسئلة جوابها .. بلى ..
- نعم .. صحيح ..
- فقال : يا أبا بكر .. أليس برسول الله ..؟!
- قال : بلى ..
- قال : أولسنا بالمسلمين ؟!
- قال : بلى ..
- قال : أوليسوا بالمشركين ؟!
- قال : بلى ..
- قال : أولسنا على الحق ؟
- قال : بلى ..
- قال : أوليسوا على الباطل ؟

سجيبك حتماً : بلى ..
عندها قدم النصيحة على شكل اقتراح .. :
إذن قلو أنك شاركت في حلقة تحفيظ القرآن
ن ..
وكذلك أنت : لو رأيت امرأة لا تعتني بحج
ابها ..
ابدئي معها بالأشياء التي أنتما متفقتان علي
ها ..
أنا أعلم أنك مسلمة .. وحريصة على الخي
ر ..
ستقول : صحيح .. الحمد لله ..
وامرأة عفيفة .. وتحبين الله ..
ستقول : إي والله .. الحمد لله ..
عندها قدمي النصيحة على شكل اقتراح : ف
لو أنك اعتنيت بحجابك أكثر .. وحرصت ع
لى الستر ..
هكذا يمكننا أن نحصل على ما نريد من النا
س من غير أن يشعروا ..

بارقة ..
تستطيع أن تأكل العسل دون تحطيم الخلي
ة ..

33. أمسك العصا من النصف !!
أشكرك على اختيارك مهنة التدريس .. وقد
آتاك الله أسلوباً حسناً .. وطلابك يحبونك
كثيراً .. و ..
ولكن : ليتك ما تتأخر على الدوام في الصب
اح ..
أنت جميلة .. والبيت مرتب .. ولا أنكر أن
الأولاد متعبون .. و ..
ولكن : أتمنى أن تهتمي بملابسهم أكثر ..
هكذا كان أسلوب صالح مع الناس .. يذكر
الجوانب المشرقة عند المخطئ ثم ينبهه عا
لى أخطائه .. ليكون عادلاً ..
عندما تنتقد حاول أن تذكر جوانب الصواب
في المخطئ .. قبل غيرها ..
حاول دائماً أن تشعر الذي أمامك أن نظرت
ك إليه مشرقة .. وأنت عندما تنبهه على أ

قال : بلى ..
قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟!
فقال أبو بكر : يا عمر .. أليس هو رسول الله ؟
قال : بلى ..
قال : فالزم غرزه .. فإني أشهد أنه رسول الله ..
أي كن وراءه تابعاً لا تخالفه أبداً .. كما أن غر
زات الخيط في الثوب تكون متتابعة ..
قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ..
مضى عمر .. حاول أن يصبر .. فلم يستطع ..
فذهب إلى رسول الله r ..
فقال : يا رسول الله .. ألسنت برسول الله ؟!
قال : بلى ..
قال : أولسنا بالمسلمين .. ؟
قال : بلى ..
قال : أوليسوا بالمشركين .. ؟!
قال : بلى ..
قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟!
فقال : أنا عبد الله ورسوله .. لن أخالف أمر
ه .. ولن يضيعني ..
سكت عمر .. ومضى الكتاب .. ورجع المسلمون
إلى المدينة ..
ومضت الأيام .. ونقضت قريش العهد .. وأقبل ر
سول الله r فاتحاً مكة .. مطهراً البيت الحرام م
ن الأصنام ..
وأدرك عمر أنه كان في اعتراضه حينذاك على
غير السبيل ..
فكان يقول :
ما زلت أصوم .. وأتصدق .. وأصلي .. وأعت
ق .. من الذي صنعت يومئذ .. مخافة كلامي الذ
ي تكلمته يومئذ .. حتى رجوت أن يكون خير
اً ..
فلله در عمر .. ودر رسول الله r قبله ..
كيف نستفيد أكثر من هذه المهارة ؟
لو كان ولدك لا يعتني بحفظ القرآن .. وتريده أن
يزداد حرصاً ..
ابداً بالأشياء التي أنتما متفقتان عليها .. ألا تريد
أن يحبك الله .. ألا تريد أن ترتقي في درجات الج
نة ..

خطائه لا يعني ذلك أنه سقط من عينك .. أو أنك نسيت حسناته ولا تذكر إلا سيئاته .. لا .. بل أشعره أن ملاحظتك عليه تغوص في بحر حسناته ..

كان النبي e محبوباً بين أصحابه .. وكان يمارس أساليب رائعة في التعامل معهم .. وقف مرة بينهم .. فشخص ببصره إلى السماء .. كأنه يفكر أو يترقب شيئاً .. ثم قال : هذا أوانٌ يختلس العلم من الناس .. حتى لا يقدروا منه على شيء .. أي : يعرض الناس عن القرآن وتعلمه .. وعن العلم الشرعي .. فلا يحرصون عليه ولا يفهمونه ..

فيختلس منهم .. أي : يرفع عنهم .. فقام صحابي جليل .. هو زياد بن لبيد الأنصاري وقال بكل حماس :

يا رسول الله ، وكيف يختلس منا ؟! وقد قرأنا القرآن ! فوالله لنقرأنه ، ولنقرننه نساءنا وأبنائنا ..

فنظر إليه النبي e .. فإذا شاب يتفجر حماساً وغيرة على الدين .. فأراد أن ينبهه على فهمه .. فقال :

تكتك أمك يا زياد ، إنني كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة ..

وهذا ثناء على زياد .. أن يقول له رسول الله e أمام الناس إنه من فقهاء المدينة .. هذا ذكر لجواب الصواب والصفحات المشرقة لزياد ..

ثم قال e : هذا التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم ؟! (40) ..

أي ليست العبرة يا زياد بوجود القرآن .. وإنما العبرة بقراءته ومعرفة معانيه والعمل بأحكامه .. هكذا كان تعامله رائعاً ..

وفي يوم آخر .. يمر e ببعض قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام .. وكان يختار أحسن العبارات لاجل ترغيبهم في الاستجابة له والدخول في الإسلام ..

فمر بقبيلة منهم .. اسمهم : بنو عبد الله .. فدعا

هم إلى الله .. وعرض عليهم نفسه .. وجعل ل يقول لهم : يا بني عبد الله .. إن الله قد أحسن اسم أبيك ..

يعني لستم ببني عبد العزى .. أو بني عبد اللات .. وإنما أنتم بنو عبد الله .. فليس في اسمكم شرك فادخلوا في الإسلام ..

بل كان من براعته r أنه كان يرسل رسائل غير مباشرة إلى الناس .. يذكر فيها إعجابهم بهم .. ومحبة الخير لهم .. فإذا بلغتهم هذه الرسائل .. عملت فيهم من التأثير أكثر مما تعمله - ربما - الدعوة المباشرة .. كان خالد بن الوليد بطلاً .. ولم يكن بطلاً عادياً .. بل كان بطلاً مغواراً .. يضر ب له ألف حساب ..

وكان النبي r يتشوق لإسلامه .. لكن أنى له ذلك .. وخالد ما ترك حرباً ضد المسلمي ن إلا خاضها .. بل كان هو من أكبر أسباب هزيمة المسلمين في معركة أحد .. قال فيه النبي r يوماً .. لو جاءنا لأكرمنا ه .. وقدمناه على غيره ..

فكيف كان تأثير ذلك ؟ خذ القصة من أولها ..

كان خالد من أشداء الكفار وقادتهم .. لا يكاد يفوت فرصة إلا حارب فيها رسول الله أو ترصد له ..

فلما أقبل رسول الله r مع المسلمين إلى أحد حديبية .. وأرادوا العمرة ..

خرج خالد في خيل من المشركين .. فلقوا لنبي وأصحابه بموضع يقال له : عسفا ن ..

فقام خالد قريباً منهم يتحين الفرصة ليصيب رسول الله برمية سهم أو ضربة سي ف ..

جعل يترصد ويتربص ..

فصلى النبي بأصحابه صلاة الظهر أما مهم .. فهموا أن يهجموا عليهم .. فلم يتي سر لهم ..

ل نكايته و حَدَّه مع المسلمين .. كان خير
أله ..

ثم قال : ولو جاءنا لأكرمناه .. وقدمناه على
غيره ..

استبشر الوليد .. وجعل يطلب خالداً ويبد
ث عنه في مكة .. فلم يجده ..

فلما عزموا على الرجوع للمدينة ..
كتب الوليد كتاباً إلى أخيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .. أما بعد .. فإني
لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ..

وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام يجهله أحد ؟
وقد سألتني رسول الله r عنك وقال : أين خ

الد ؟ فقلت : يأتي الله به ..

فقال : " مثله جهل الإسلام !! ولو كان جع
ل نكايته و حَدَّه مع المسلمين .. كان خير

أله .. ولو جاءنا لأكرمناه .. وقدمناه على
غيره ..

فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صا
لحة ..

قال خالد : فلما جاءني كتابه .. نشطت للذ
رج .. وزادني رغبة في الإسلام ..

وسرني سؤال رسول الله r عني ..

وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجذب
ة .. فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة ..

فقلت : إن هذه لرؤيا حق ..

فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله r قل

ت :

من أصحاب إلى رسول الله r ؟!

فلقيت صفوان بن أمية .. فقلت :

يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه ؟ إنما نحن
كأضراس يطحن بعضها بعضاً ..

وقد ظهر محمد على العرب والعجم ..

فلو قدمنا على محمد واتبعناه .. فإن شرف
محمد لنا شرف ؟

فأبى أشد الإباء .. وقال : لو لم يبق غيري
ما اتبعته أبداً ..

فافترقنا .. وقلت في نفسي :

هذا رجل مصاب .. قتل أخوه وأبوه بمعركة
بدر ..

فكان النبي علم بهم .. فصلى بأصحابه صلاة
العصر صلاة الخوف ..

أي قسم أصحابه إلى فريقين .. فريق يصلي معه
وفريق يحرس ..

فوقع ذلك من خالد وأصحابه موقعاً .. وقال في
نفسه : الرجل ممنوع عنا .. أي هناك من يحميه

ويمنع عنه الأذى !!

ثم ارتحل وأصحابه .. وسلخوا طريقاً ذات ال
يمين .. لنلا يمرنا بخالد وأصحابه ..

وصل إلى الحديبية .. صالح قريشاً على أن
يعتمر في العام القادم .. ورجع إلى المدينة ..

رأى خالد أن قريشاً لا يزال شأنها ينخفض في ا
لعرب يوماً بعد يوم ..

فقال في نفسه : أي شيء بقي ؟ أين أذهب ؟

إلى النجاشي ؟ .. لا .. فقد اتبع محمداً وأصحابه
عنده آمنون ..

فأخرج إلى هرقل ؟ .. لا .. أخرج من ديني إلى ذ
صرانية ؟ .. أو يهودية ؟ وأقيم في عجم ؟ ..

فبما خالد يفكر في شأنه .. ويتردد .. والأيام وال
شهور تمضي عليه ..

إذ جاء موعد عمرة المسلمين .. فأقبلوا إلى المد
ينة ..

دخل مكة معتمراً ..

فلم يحتمل خالد رؤية المسلمين محرمين .. فخر
ج من مكة .. وغاب أياماً أربعة وهي الأيام التي

قضاها النبي في مكة ..

قضى النبي عمرته .. وجعل ينظر في طرقات
مكة وبيوتها .. ويستعيد الذكريات ..

تذكر البطل خالد بن الوليد ..

فالتفت إلى الوليد بن الوليد .. وهو أخو خالد ..
وكان الوليد مسلماً قد دخل مع النبي r معتمر

اً ..

وأراد أن يبعث إلى خالد رسالة غير مباشر
ة .. يرغب فيها بالدخول في الإسلام ..

قال للوليد : أين خالد ؟

فوجئ الوليد بالسؤال .. وقال : يأتي الله به يا ر
سول الله ..

فقال : " مثله يجهل الإسلام !! ولو كان جع

أسرع .. فإن رسول الله r .. قد أخبر بك ف
سُرَّ بقدمك وهو ينتظركم ..
فأسرعنا السير .. فأقبلت إلى رسول الله أ
مشي .. فلما رأي من بعيد تبسم .. فما ز
ل يتبسم إليَّ حتى وقفت عليه ..
فسلمت عليه بالنبوة .. فرد على السلام بو
جه طلاق ..
فقلت : إني أشهد أن لا إله إلا الله .. وأنتك
رسول الله ..
فقال : " الحمد لله الذي هداك .. قد كنت أر
ى لك عقلاً .. رجوت ألا يسلمك إلا إلى خي
ر " ..
قلت : يا رسول الله .. إني قد رأيت ما كنت
أشهد من تلك المواطن عليك .. معانداً للحد
ق .. فادع الله أن يغفرها لي ..
فقال r : " الإسلام يجب ما كان قبله " ..
قلت : يا رسول الله .. على ذلك .. فاستغفر
لي ..
قال : " اللهم اغفر لخالد بن الوليد .. كل م
ا أَوْضَع فيه .. من صد عن سبيل الله " ..
ومن بعدها كان خالد رأساً من رؤوس هذا
الدين ..
أما إسلامه فكان برسالة غير مباشرة وصل
ت إليه من رسول الله ..
فما أحلمه وأحكمه ..
فلنتبع مثل هذه المهارات في التأثير في النا
س ..
فلو رأيت شخصاً يبيع دخاناً في بقالة فأر
دت تنبيهه ..
فأئن أولاً على بقالته ونظافتها .. وادعُ له
بالبركة في الربح .. ثم نبهه على أهمية الك
سب الحلال .. ليشعر أنك لم تنظر إليه بمنز
ظار أسود .. بل أمسكت العصا من النص
ف ..
كن ذكياً .. ابحث عن أي حسنات فيمن أما
مك تغمر فيها سيئاته .. أحسن الظن بالآخ
رين .. ليشعروا بعدلك معهم فيحبوك ..

فلقيت عكرمة بن أبي جهل .. فقلت له مثل ما قل
ت لصفوان بن أمية ..
فقال لي مثل ما قال لي صفوان بن أمية ..
قلت : فاكتم علي خروجي إلى محمد ..
قال : لا أذكره لأحد ..
فخرجت إلى منزلي .. فأمرت براحلي فخرجت ب
ها ..
إلى أن لقيت عثمان بن طلحة .. فقلت :
إن هذا لي صديق .. فلو ذكرت له ما أرجو ..
ثم ذكرت من قتل من آبائه في حربنا مع المسلمي
ن .. فكرهت أن أذكره ..
ثم قلت : وما علي أن أخبره .. وأنا راحل في سا
عتي هذه !..
فذكرت له ما صار أمر قريش إليه .. وقلت :
إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر .. لو صُب عليه
ذنوب من ماء لخرج ..
وقلت له نحواً مما قلت لصاحبِي .. فأسرع إلا
ستجابة وعزم على الخروج معي للمدينة !..
فقلت له : إني خرجت هذا اليوم .. وأنا أريد أن أ
مضي للمدينة ..
وهذه راحلي مجهزة لي على الطريق ..
قال : فتواعدنا أنا وهو في موضع يقال له "يأج
ج " .. إن سبقتي أقام ينتظرني .. وإن سبقتة أق
مت أنتظره ..
فخرجت من بيتي آخر الليل سحراً .. خوفاً من
أن تعلم قريش بخروجنا ..
فلم يطلع الفجر حتى التقينا في "يأجج" .. فغدود
ا حتى انتهينا إلى الهدة ..
فوجدنا عمرو بن العاص على بعيره ..
قال : مرحباً بالقوم .. إلى أين مسيركم ؟
فقلنا : وما أخرجك ؟
فقال : وما أخرجكم ؟
قلنا : الدخول في الإسلام .. واتباع محمد r ..
قال : وذاك الذي أقدمني ..
فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة ..
فأنخنا بظهر الحرة ركابنا ..
فأخبر بنا رسول الله r فسر بنا ..
فلبست من صالح ثيابي .. ثم توجهت إلى رسول
الله r .. فلقيني أخي فقال :

عندما يقتنع الناس أننا نلاحظ حسناتهم .. كما نلحظ سيئاتهم .. يقبلون منا التوجيه ..

ين نسائه .. فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ..

فلما أراد الخروج إلى غزوة بني المصطلق ق .. أقرع بينهن فخرج سهم عائشة ..

فخرجت مع رسول الله r .. وذلك بعدما أنزل الحجاب .. وكانت تحمل في هودج .. فإذا نزلوا نزلت من هودجها .. وقضت حاجاتها .. فإذا أرادوا الارتحال ركبت فيه ..

فلما فرغ رسول الله r من غزوته .. توجه قافلاً إلى المدينة .. حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل .. ثم آذن الناس بالرحيل .. فبدأ الناس يجمعون متاعهم للرحيل .. فخرجت عائشة لبعض حاجتها .. وفي عنقها عقد لها فيه جزع ظفار ..

فلما فرغت من حاجتها .. انسل العقد من عنقها وهي لا تدري ..

فلما رجعت العسكر .. وأرادت الدخول في هودجها .. لمست عنقها فلم تجد العقد .. وقد بدأ الناس في الرحيل ..

فرجعت سريعاً إلى مكانها الذي قضت فيه حاجتها .. فأخذت تبحث عنه .. وأبطأت .. وجاء القوم فحملوا هودجها وهم يظنون أنها فيه .. فاحتملوه .. فشدوه على البعير .. ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به .. وسار الجيش .. أما عائشة فبعد بحث طويل .. وجدت العقد .. فعادت إلى مكان الجيش ..

* * * * *

قالت عائشة :

. فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ..

ب .. قد انطلق الناس ..

فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي ..

فتلففت بجلبابي .. فبينما أنا جالسة في منزلي إذ غلبتني عيني فنامت ..

فوالله إني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل ..

وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته

34. اجعل معالجة الخطأ سهلة ..

تتنوع الأخطاء التي تقع من الناس كبراً وصغراً ..

ومهما كان حجم الخطأ فإنه يمكن علاجه .. نعم قد لا يفيد العلاج في إصلاح ما أفسده الخطأ 100% .. لكنه على الأقل يصلح أكثر الفاسد .. عدد غير قليل من الناس لا يسعى إلى إصلاح أخطائه لشكه في قدرته أصلاً على علاجها .. وأحياناً تكون طريقتنا في التعامل مع الأخطاء هي جزء من الخطأ نفسه ..

يقع ولدي في خطأ فألومه وأحقره وأعظم عليه الخطأ حتى يشعر بأنه سقط في بئر ليس له قاع !! فيأس من الإصلاح .. ويبقى على ما هو عليه ..

وقد تقع في الخطأ زوجتي أو يقع فيه صديقي .. فإذا أشعرته أنه أخطأ ولكن الطريق لم ينقطع بعد فمعالجة الخطأ سهلة .. والرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل ..

جاء رجل إلى النبي r يبأيه على الهجرة .. وقال : إني جئت أبايعك على الهجرة .. وتركت أبو يبيكان ..

فلم يعنفه .. أو يحقر فعله .. أو يصغر عقله .. فالرجل جاء بنية صالحة ويرى أنه فعل الصالح ..

أشعره أن معالجة الخطأ سهلة فقال له بكل بساطة : ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما

ل .. (41)

وانتهى الأمر ..

كان e يتعامل مع الناس بأساليب تربوية فيهم الرغبة في الخير وتشعرهم أنهم إلى الخير أقرب .. حتى وإن وقعوا في أخطاء ..

وبين يدي حادثة مروعة .. الشاهد منها آخره .. لكنني سأوردها من أولها رغبة في الفائدة ..

كان رسول الله r إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع به

ه .. فلم يبت مع الناس ..
 فرأى سواد إنسان نائم .. فأتاني فعرفني حين رأ
 ني .. وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي
 نا ..
 فلما رأي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .. طعين
 ة رسول الله r ؟
 فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخرمت وجه
 ي بجلبابي ..
 ووالله ما كلمني كلمة .. ولا سمعت منه غير است
 رجاعه ..
 حتى أناخ راحلته .. فوطئ على يديها .. فركبت
 وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب النا
 س ..
 فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدوني حتى أصبح
 ا .. فوجدناهم نازلين .. فبينما هم كذلك .. إذ ط
 ع الرجل يقود بي البعير ..
 فقال أهل الإفك ما قالوا .. وارتج العسكر .. ووا
 لله ما أعلم بشيء من ذلك ..

* * * * *

ثم قدمنا المدينة .. فلم ألبث أن مرضت واشتكت
 شكوى شديدة .. وأنا لا يبلغني من كلام الناس ش
 يء ..
 وقد انتهى الحديث إلى رسول الله r وإلى أبو
 ي .. وهم لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ..
 إلا أنني قد أنكرت من رسول الله r بعض لطفه ب
 ي ..

كنت إذا اشتكت رحمني ولطف بي .. فلم يفعل ذ
 لك بي في شكواي تلك ..
 بل كان إذا دخل علي وعندي أمي تمرضني قال :
 كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك ..
 حتى وجدت في نفسي .. فلما رأيت جفائه لي قد
 ت :
 يا رسول الله .. لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمر
 ضتني ..
 قال : لا عليك ..

* * * * *

فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان ..
 حتى نقيت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ..
 فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت

خالة أبي بكر t ..
 فوالله إنها لتمشي معي إذ تعثرت في مرط
 ها .. وسقطت أو كادت ..
 فقالت : تعس مسطح ..
 قلت : بئس لعمر الله ما قلت .. تسبين رج
 لاً قد شهد بدراً ؟
 فقالت : أي هنتاه .. أولم تسمعي ما قال ؟ أ
 وما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ..
 قلت : وما الخبر ؟
 فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ..
 قلت : أوقد كان هذا ؟
 قالت : نعم والله لقد كان ..
 فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورج
 عت .. فازددت مرضاً إلى مرضي ..
 فوالله ما زلت أبكي .. حتى ظننت أن البكاء
 سيصدع كبدي ..
 وقلت لأمي : يغفر الله لك .. تحدث الناس ب
 ما تحدثوا به .. ولا تذكرين لي من ذلك شيء
 ناً ..

قالت : أي بنية خففي عليك الشأن .. فوالله
 لقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبه
 ا .. ولها ضرائر إلا كثرن .. وكثر الناس
 عليها ..
 قلت : سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا ؟
 فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت .. لا يرقأ ل
 ي دمع .. ولا أكتحل بنوم ..
 ثم أصبحت أبكي ..

* * * * *

هذا حال عائشة .. تتهم بذلك وهي الفتاة ال
 تي لم يتجاوز عمرها خمس عشرة سنة ..
 تتهم بالزنا .. وهي العفيفة الشريفة .. زو
 جة أظهر الناس .. التي ما كشفت ستره
 ا .. ولا هتكت عرضها .. هذا حالها تبكي ف
 ي بيت أبيوها ..
 أما حال رسول الله r .. فلا يبعد حزناً وهم
 ا .. عن عائشة ..

فلا جبريل يرسل .. ولا القرآن ينزل .. ويبق
 ي r متحيراً في أمره .. وقد كبر عليه اتها
 م المنافقين .. وكلام الناس في عرضه زو

فقال : أي بريرة .. هل رأيت من شيء يري
بك من عائشة ؟

فقالت بريرة : لا .. والذي بعثك بالحق نبيا
أ ..

والله ما أعلم إلا خيراً .. وما كنت أعيب ع
لى عائشة شيئاً .. إلا أنها جارية حديثة الـ
سن .. فكنت أعجن عجيني .. فأمرها أن تـ
حفظه فتنام عنه .. فتأتي الشاة فتأكله ..

نعم .. كيف ترى الجارية على عائشة ريب
ة .. وهي الفتاة الصالحة التي رباها صديـ
ق الأمة أبو بكر .. وتزوجها سيد ولد آد

م ..
بل كيف تقع في ريبة .. وهي أحب الناس إـ
لى رسول الله .. ولم يكن ر يحب إلا طيبـ
اً ..

فهي البرينة المبرأة .. ولكن الله يبتليها ليعـ
ظم أجرها .. ويرفع ذكرها ..
* * * * *

وتمضي على عائشة الأيام .. والآلام تلد اـ
لآلام .. وهي تتقلب على فراش مرضها ..
لا تهناً بطعام ولا شراب ..

وقد حاول رسول الله ر أن يحل المشكلة ..
بخطبة على رؤوس الناس فكادت أن تقع الـ
حرب بين المسلمين .. وحاول أن يحلها في
بيته ويسأل علماً وزيداً .. فلم يخرج بشيـ

٤ ..
فلما رأى ذلك .. أراد أن ينهي الأمر من جـ
هة عائشة ..

قالت رضي الله عنها :
وبكيت يومي ذلك لا ترقأ لي دمعته .. ولا اكـ
تحل بنوم ..
ثم بكيت ليلتي المقبلة لا ترقأ لي دمعته ولا
أكتحل بنوم ..

وأبوي يظنان أن البكاء فالق كبدي ..
* * * * *

فأقبل يحث الخطى إلى بيت أبي بكر ..
فاستأذن .. ودخل عليها وعندها أبوها وأمـ
ها .. وامرأة من الأنصار ..
وهي أول مرة يدخل فيها بيت أبي بكر .. مـ

* * * * *

فلما طال الأمر عليه .. قام ر في الناس فخطبهـ
م .. فحمد الله .. وأثنى عليه .. ثم قال :

أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي .. ويـ
قولون عليهم غير الحق .. والله ما علمت عليهم
إلا خيراً .. ويقولون ذلك لرجل .. والله ما علمت
منه إلا خيراً .. ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهـ
و معي ..

فلما قال رسول الله ر تلك المقالة ..
قام أمير الأوس سعد بن معاذ فقال :

يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفك إياهم ..
وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا أمرك
فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ..

فلما سمع ذلك أمير الخزرج سعد بن عبادة قام ..
وكان رجلاً صالحاً .. لكن أخذته الحمية ..

قام فقال : كذبت لعمر الله .. ما تضرب أعناقهم
م .. أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفـ
ت أنهم من الخزرج ؟ ولو كانوا من قومك ما قلـ
ت هذا ..

فقال أسيد بن حضير : كذبت لعمر الله .. والله لنـ
قتلنه .. ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ..
ثم ثار الناس بعضهم إلى بعض .. حتى كادوا أن
يقتتلوا ..

ورسول الله ر قائم على المنبر .. فلم يزل يخفض
هم حتى سكتوا .. وسكت ..

فلما رأى ر ذلك .. نزل فدخل بيته ..

* * * * *

ولما رأى أن الأمر لا يمكن حله من جهة عموم اـ
لناس ..

أراد أن يجد حلاً من جهة أهل بيته .. وأخص الـ
ناس به ..

فدعا علماً وأسامة بن زيد .. فاستشارهما ..
فأما أسامة فأثنى على عائشة خيراً وقال : يا ر
سول الله .. أهلك وما نعلم منهم إلا خيراً .. وهذـ
ا الكذب والباطل ..

وأما علي فإنه قال : يا رسول الله إن النساء لكثيـ
ر .. وإنك لقادر على أن تستخلف .. وسل الجاريـ
ة فإنها ستصدقك .. فدعا رسول الله ر بريرة ..

نذ قال الناس ما قالوا .. وما رأى عائشة منذ قرا
بة الشهر .. وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في ش
يء في شأن عائشة ..
دخل r على عائشة ..

فإذا طريحة الفراش .. وكأنها فرخ منتوف من
شدة البكاء والهم ..

وإذا هي تبكي .. والمرأة تبكي معها .. لا يملكان
من الأمر شيئاً ..

فجلس رسول الله r .. فحمد الله وأثنى عليه .. ث
م قال :

أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ..
وذكر e خبر الإفك .. وما أشيع من وقوعها في
خطأ كبير .. ثم أراد e أن يبين لها أن الإنسان مه
ما وقع في خطأ فإن معالجة هذا الخطأ ليست ص
عبة .. فقال لها :

فإن كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجل ..

وإن كنت ألممت بذنب .. فاستغفري الله عز وجل
وتوبي إليه .. فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تا
ب .. تاب الله عليه ..

هكذا .. حل سهل للخطأ - إن كان قد وقع - دو
ن تعقيد وتطويل ..

قالت عائشة :

فلما قضى رسول الله r مقالته .. قلص دمعي ح
ى ما أحس منه قطرة ..

وانتظرت أبويَّ أن يجيبا عني رسول الله r فلم ي
تكلم ..

فقلت لأبي : أجب عني رسول الله r فيما قال ..

فقال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله r ! ..

فقلت لأمي : أجيبني عني رسول الله r ..

فقلت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله r !

ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على
آل أبي بكر في تلك الأيام ..

فلما استعجما علي .. استعبرت فبكيت ؟

ثم قلت : لا .. والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أب
داً ..

إني والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى است
قر في أنفسكم وصدقتم به .. ولئن قلت لكم إني ب
ريئة - والله عز وجل يعلم إني بريئة - لا تصدقو

ني ..

وإن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنني منه
بريئة - تصدقوني ..

وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال
أبو يوسف : [فصبر جميل والله المستعان

على ما تصفون] ..

قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراش

ي ..

وأنا والله أعلم أنني بريئة وأن الله مبرئني بب
راعتي ..

ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأن
ي وحي يتلى ..

ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم ا
لله في بأمر يتلى ..

ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله r في ا
لنوم رؤيا يبرئني الله عز وجل بها ..

* * * * *

فوالله ما برح رسول الله r مجلسه .. ولا خ
رج من أهل البيت أحد ..

حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه .. وأنزل
الله على نبيه ..

فأما أنا حين رأيته يوحى إليه .. فوالله ما ف
زعت .. وما باليت .. قد عرفت أنني بريئ
ة .. وأن الله غير ظالمي ..

وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده .. ما
سُرِّي عن رسول الله r حتى ظننت لتخرج

ن أنفسهما .. فرقاً من أن يأتي من الله تح
قيق ما قال الناس ..

فلما سُرِّي عنه r .. فإذا هو يضحك .. فج
عل يمسح العرق عن وجهه ..

وكان أول كلمة تكلم بها أن قال :

أبشري يا عائشة قد أنزل الله عز وجل برا
عتك ..

فقلت : الحمد لله ..

وأنزل الله تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِ
الْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَئاً

بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِ
ئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالْ

بأريحية قدر المستطاع ..
فلو حاولت إصلاح خطأ عند أحد زملائك فلو
م يستجب .. فلا تقلب الصداقة عداوة .. وإ
نما استمر في التلطف فلعله أن يبقى على
خطئه ولا يزيد ..

وقد قيل : حنانك بعض الشر أهون من بع
ض ..

إذا تعاملت مع الناس بهذه الأريحية .. فلم
تغضب على كل صغيرة وكبيرة .. عشت سد
عيداً ..

قالت عائشة :

ما انتقم رسول الله r لنفسه

قط ..

وما ضرب شيئاً قط بيده ..
ولا امرأة .. ولا خادماً .. إلا أن يجا
هد في سبيل الله ..

وما نيل منه شيء قط .. فينت

قم من صاحبه .. إلا أن ينتهك شيء

من محارم الله فينتقم لله .. (42)

إذن .. كان r يغضب .. لكنه غضبه لله .. لا

يغضب لنفسه .. وحتى نفهم الفرق بين الغ
ضبين :

افرض أن ولدك الصغير جاءك ذات صباح
وطلب ريالاً أو ريالين مصروفاً للمدرسة
ة .. فبحثت في محفظة نقودك .. فلم تجد إ
لا فئة الخمسمائة ريال .. فأعطيتها له .. و
قلت :

هذه خمسمائة ريال .. اصرف منها ريال

ن .. وأرجع الباقي .. وأكدت عليه وكرر

ت ..

فلما رجع بعد الظهر فإذا المال كله قد صرف

ه ..

فماذا ستفعل ؟ .. وكيف سيكون غضبك .. ؟

قد تضرب وتعنف وتمنعه من مصروفه أيا

ماً ..

ولكن لو رجعت مرة من صلاة العصر ووج

دته يلعب بالكمبيوتر .. أو عند التلفاز .. ول

استمتع بحياتك
ذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ *
لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِ
فْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِ
كَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ] ..

وتوعده الله أولئك بقوله : [إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّو
نَ أَنْ تَشْرَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَ
هُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] ..

ثم خرج رسول الله r إلى الناس .. فخطبهم .. وت
لا عليهم ما أنزل الله من القرآن في ذلك .. ثم أقا
م حد القذف على من قذف ..

• إذن .. ينبغي أن تتعامل مع المخطئ على أنه مر
يض يحتاج إلى علاج .. لا أن تبالغ في كفته وتع
نيفه .. لأنه قد يصل إلى درجة يشعر معها أنك ف
رح بهذا الخطأ ..

• والطبيب الناصح هو الذي يهتم بصحة مرضاه أك
ثر من اهتمامهم هم بأنفسهم ..

قال r :

إنما مثلي ومثل الناس .. كمثل رجل استوقد نار
اً ..

فلما أضاعت ما حوله .. جعل الفرّاشُ وهذه الد
واب التي تقع في النار يقعن فيها ..

فجعل ينزعهن .. ويغلبنه فيقتحمّن فيها !!

فأنا آخذٌ بحجزكم عن النار .. وأنتم تقحمون ف
يها ..

رأي ..

أحياناً تكون طريقتنا في التعامل مع الأخطاء أك
بر من الخطأ نفسه ..

35.

كما أن الناس يختلفون في طباعهم وأشكالهم ..
كذلك هم يختلفون في وجهات نظرهم .. وفي قنا
عاتهم وتصرفاتهم ..

فإذا شعرت أن أحداً خالف الصواب .. ونصحته
وحاولت إصلاح خطئه ولم يقتنع ..

فلا تصنف اسمه من بين أعدائك .. وخذ الأمور

كان هرقل يعلم أن النبي هو الرسول الذي بشر به عيسى ..

فأراد أن يتأكد من ذلك ..

دعا هرقل رجلاً من عرب قبيلة "تجيب

" .. كان من نصارى العرب ..

وقال له :

ادع لي رجلاً حافظاً للحديث .. عربيّ الله

سان .. أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتاب

ه ..

مضى ذاك التجيبي .. وجاء برجل من بني

تنوخ .. من نصارى العرب ..

دفع هرقل كتاباً لهذا التنوخي ليوصله لرسول

ول الله .. وقال له : اذهب بكتابي إلى

هذا الرجل ..

فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث

خصال :

• انظر هل يذكر صحيفته إلى ا

لتي كتب بشيء ..؟

• وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذك

ر الليل ؟

• وانظر في ظهره هل به شيء

ع يريبك ؟

مضى التنوخي كفارقاً للشام .. حتى وصل

إلى تبوك ..

فإذا رسول الله جالس بين ظهرائي أص

حابه .. محتبياً على الماء ..

فوقف التنوخي عليهم .. وقال : أين صاحب

كم ؟

قيل : ها هو ذا ..

فأقبل يمشي حتى جلس بين يديه ..

فناولته كتاب هرقل ..

فأخذه .. فوضعه في حجره .. ثم قا

ل : " ممن أنت " .. ؟

قال : أنا أخو تنوخ ..

فقال : " هل لك إلى الإسلام .. الحنيفي

ة .. ملة أبيك إبراهيم ؟

كان راغباً في دخول هذا الرجل في الإ

سلام ..

م يصل في المسجد .. فهل ستغضب كغضبك الأو

ل ؟

أظننا نتفق أن غضبنا أول سيكون أشد وأطول و

أكثر تأثيراً من غضبنا الثاني ..

أما رسول الله r فكان غضبه لله ..

وكان يعرض النصيحة أحياناً ولا تقبل .. فيأخذ ا

لأمر بهدوء .. فالهداية بيد الله ..

قدم رسول الله إلى تبوك على حدود الشام ..

اقترب من مملكة الروم .. فبعث دحية الكلبي

رسولاً إلى هرقل ملك الروم ..

وصل دحية إلى هرقل .. دخل عليه .. ناوله

كتاب رسول الله ..

فلما أن رأى هرقل الكتاب دعا قسيسي الروم وب

طارقتها .. ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقال :

" قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم .. وقد أرسل إل

ي أن يدعوني إلى ثلاث خصال .. يدعوني :

• أن أتبعه على دينه ..

• أو على أن نعطيه مالنا على أرض

ا والأرض أرضنا ..

• أو نلقي إليه الحرب ..

ثم قال هرقل :

والله لقد عرفتكم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن أر

ضنا .. فهلم فلنتبعه على دينه .. أو نعطيه مالنا

على أرضنا ..

فلما سمع القساوسة ذلك .. ورأوا أنه يدعوهم لت

رك دينهم ! غضبوا .. ونخروا نخرة رجل واحد

حتى خرجوا من برانسهم .. أي سقطت أرديتهم

من شدة الغضب والانتفاض !!

وقالوا : تدعونا إلى أن نذر النصرانية .. أو نكو

ن عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز !!

أسقط في يد هرقل .. وأيقن أنه تورط بعرضه عل

يهم ..

وكان هؤلاء القساوية لهم سطوة وجمهور قو

ي ..

فعلم هرقل أنهم إن خرجوا من عنده .. أفسدوا ع

ليه الروم ..

فجعل يهدئهم .. ويقول : إنما قلت ذلك لأعلم ص

لابتكم على أمركم ..

في الحقيقة لم يكن هناك ما يمنع التنوخي من اتباع الحق .. إلا التعصب لدين قومه .. فحسب !! فقال التنوخي بكل صراحة : إني رسول قوم .. وعلى دين قومي .. لا أرجع عنه حتى أرجع إليها

م ..

فما رأى هذا التعصب .. لم يغضب .. ولم يع مل مشكلة .. وإنما ضحك وقال : " إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين " .. ثم قال بكل هدوء :

يا أختنوخ ..

• إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه والله ممزقه وممزق ملكه ..

• وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخر قها والله مخرق ملكه ..

• وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها .. فلن يزال الناس يجدون منه بأساً

ما دام في العيش خير " ..

تذكر التنوخي وصية هرقل .. وقال في نفسه : ه ذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي .. فخشي أن ينساها .. فأخذ سهماً من جعبته فكتبها في جنب سيفه ..

ثم إن رسول الله ناول الصحيفة رجلاً عن ي ساره ..

فقال التنوخي : من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم ؟

قالوا : معاوية ..

بدأ معاوية يقرأ .. فإذا هرقل قد كتب إلى النب

ي :

تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين !! فأين النار ؟

فقال r : " سبحان الله ! أين الليل إذا جاء النهار " ..

فانتبه التنوخي أن هذه الثانية التي أمره هرقل بت رقبها .. فأخذ سهماً من جعبته فكتبه في جلد سي

فه ..

فلما أن فرغ معاوية من قراءة الكتاب ..

التفت إلى التنوخي .. الذي لم يقبل النصيح ..

ولم يدخل في الدين .. وقال له متلطفاً : إن لك حقاً وإنك لرسول .. فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها .. إنا سرفر مرمولو

ن ..

يعني أتمنى أن أعطيك هدية .. لكننا كما ترانا مسافرين جالسين على الرمال !! فقال عثمان :

أنا أجوزه يا رسول الله ..

ثم قام عثمان ففتح رحله .. فأتى بحلة ولباس فوضعهما في حجر التنوخي ..

ثم قال r الكريم : " أيكم ينزل هذا الرجل ؟ " .. يعني يقوم بحق ضيافته !!

فقال فتى من الأنصار : أنا ..

فقام الأنصاري وقام التنوخي يمشي معه .. وباله مشغول بالأمر الثالث الذي أمره هرقل أن يتأكد له منه .. وهو خاتم النبوة بين كتفي النبي ..

مشى التنوخي خطوات .. وفجأة .. إذا برسول الله يصيح به :

" تعال يا أختنوخ " !!!

فأقبل التنوخي يهوي مسرعاً .. حتى قام بين يدي النبي ..

فحل حبوته .. ثم أسقط رداءه عن ظهره ه .. فأنكشف ظهره للتنوخي .. فقال :

" ها هنا امض لما أمرت به " ..

قال التنوخي : فنظرت في ظهره .. فإذا أنا بخاتم في موضع غصون الكتف مثل الحجمة الضخمة (43) ..

فكرة ..

المقصود أن يدرك الناس أخطاءهم .. وليس شرطاً أن يصححوها أمامك .. فلا تغضب ب ..

36. قابل الإساءة بالإحسان ..

عندما تتعامل مع الناس فإنهم يعاملونك في

(43) في مسند أحمد .. بإسناد قال فيه ابن كثير لا بأس به .. سيرة ابن كثير 27/4 .

الغالب على ما يريدون هُم .. لا على ما تريد أنت
ت ..

فليس كل من قابلته ببشاشة بادلِكَ بشاشة مثله
١ .. فبعضهم قد يغضب ويسيء الظن ويسألك :
مم تضحك ؟!

ولا كل من أهديت له هدية .. رد لك مثلها .. فبعضهم قد تهدي إليه ثم يغتابك في المجالس ويتهمك بالسفَه وتضييع المال ..!!

ولا كل من تفاعلت معه في كلامه .. أو أثنت على يه وتلطفت معه في عباراتك قابلك بمثلها ..
فإن الله قسم الأخلاق كما قسم الأرزاق ..

والمنهج الرباني هو : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ..

وبعض الناس لا حل له ولا إصلاح إلا أن تتعامل معه بما هو عليه .. فتصبر عليه أو تفارقه ..

ذكر أن أشعب سافر مع رجل من التجار .. وكان هذا الرجل يقوم بكل شيء من خدمة وإنزال متاع وسقي دواب .. حتى تعب وضجر ..

وفي طريق رجوعهما .. نزلا للغداء .. فأناخا بعيريهما ونزلا .. فأما أشعب فتمدد على الأرض ..

وأما صاحبه فوضع الفرش .. وأنزل المتاع .. ثم التفت إلى أشعب وقال : قم اجمع الحطب وأنا أقطع اللحم ..

فقال أشعب : أنا والله متعب من طول ركوب الدابة .. فقام الرجل وجمع الحطب ..

ثم قال : يا أشعب ! قم أشعل الحطب .. فقال : يؤذيني الدخان في صدري إن اقتربت منه .. فأشعلها الرجل ..

ثم قال : يا أشعب ! قم أمسك علي لأقطع اللحم .. فقال : أخشى أن تصيب السكين يدي .. فقطع الرجل اللحم وحده ..

ثم قال : يا أشعب ! قم ضع اللحم في القدر واطبخ الطعام .. فقال : يتعبني كثرة النظر إلى الطعام قبل نضوجه ..

فتولى الرجل الطبخ والنفخ .. حتى جهز الطعام وقد تعب .. فاضجع على الأرض .. وقال : يا أشعب ! قم جهز سفرة الطعام .. وضع الطعام في الد

صحن ..

فقال أشعب : جسمي ثقيل ولا أنشط لهذا
ك ..

فقام الرجل وجهاز الطعام ووضعها على السدة ..

ثم قال : يا أشعب ! قم شاركني في أكل الطعام ..

فقال أشعب : قد استحييت والله من كثرة اعتذاري وها أنا أطيعك الآن .. ثم قام وأكد ل !!

فقد تلاقي من الناس من هو مثل أشعب .. فلا تحزن .. وكن جبلاً ..

كان المربي الأول e يتعامل مع الناس بعقد ه لا بعاطفته .. كان يتحمل أخطاء الآخرين ويرفق بهم ..

وانظر إليه r وقد جلس في مجلس مبارك يحيط به أصحابه ..

فيأتيه أعرابي يستعينه في دية قتيل .. قد قتله هو أو غيره - رجلاً .. فأقبل يريد من النبي أن يعينه بمال .. يؤديه إلى أولياء المقتول ..

فأعطاه رسول الله e شيئاً .. ثم قال تلطفاً معه : أحسنت إليك ؟

قال الأعرابي : لا .. لا أحسنت ولا أجمل ..

ت .. فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه .. فأشار النبي e إليهم أن كفوا ..

ثم قام e إلى منزله .. ودعا الأعرابي إلى الدار بيت فقال له :

إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك .. فقلت ما قلته .. ثم زاده r شيئاً من مال وجده في بيته ..

فقال : أحسنت إليك ؟

فقال الأعرابي : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ..

فأعجبه r هذا الرضى منه .. لكنه خشي أن يبقى في قلوب أصحابه على الرجل شيء .. فيراه أحدهم في طريق أو سوق .. فلا

ة .. ليقتله !!
 فلما دنا من النبي ..
 انتبه إليه .. فالتفت إليه وقال : أفضال
 ة !!
 قال : نعم .. فضالة يا رسول الله ..
 قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟
 قال : لاشيء .. كنت أذكر الله !!
 فضحك النبي r .. ثم قال : أستغفر الله ..
 قال فضالة .. : ثم وضع رسول الله r يده
 على صدري .. فسكن قلبي ..
 فوالله ما رفع رسول الله r يده عن صدر
 ي ..
 حتى ما خلق الله شيء أحب إلي منه ..
 ثم رجع فضالة إلى أهله .. فمر بامرأة كان
 يجالسها .. ويتحدث إليها ..
 فلما رآته .. قالت : هلم إلى الحديث ..
 فقال : لا .. ثم قال ..
 قالت هلم إلى الحديث فقلت لا ** يأبى علي
 ك الله و الإسلام
 لو ما رأيت محمداً وقبيله ** بالفتح يوم تك
 سر الأصنام
 لرأيت دين الضحى بينا ** والشرك يغشى
 وجهه الإظلام
 وكان فضالة بعدها من صالحى المسلمي
 ن ..
 كان يملك قلوب الناس بالعفو عنهم ..
 يتحمل الأذى في سبيل التأثير فيهم .. وجر
 هم إلى الخير ..
 كان أبو طالب يكف عن النبي كثيراً م
 ن أذى قريش ..
 فلما مات أبو طالب .. ضيقت قريش كثيراً
 على النبي في مكة ..
 ونالت من الأذى ما لم تكن نالته منه في ح
 ياة عمه أبي طالب ..
 فجعل يفكر في مكان آخر يلجأ إليه .. ي
 جد فيه النصرة والتأييد ..
 فخرج إلى الطائف يلتمس من قبيلة ثقيف ا
 لنصرة والمنعة ..

يزال حاقداً عليه ..
 فأراد أن يسلم ما في صدورهم ..
 فقال له e : إنك كنت جنتنا فأعطيناك .. فقلت ما
 قلت .. وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء
 ع .. فإذا جنت فقل بين أيديهم ما قلت بين يد
 ي .. حتى يذهب عن صدورهم ..
 فلما جاء الأعرابي .. قال e : إن صاحبكم كان ج
 اعنا فسألنا فأعطيناك فقال ما قال .. وإنا قد دعونا
 اه فأعطيناك .. فزعم أنه قد رضي ..
 ثم التفت إلى الأعرابي وقال : أكذاك ؟
 قال الأعرابي : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة
 خيراً ..
 فلما هم الأعرابي أن يخرج إلى أهله ..
 أراد r أن يعطي أصحابه درساً في كسب القلوب
 ب .. فقال لهم :
 إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثّل رجل كانت له
 ناقة فشردت عليه .. فاتبعتها الناس .. يعني يرك
 ضون وراءها ليمسكوها .. وهي تهرب منهم فز
 عاً .. ولم يزيدها إلا نفوراً .. فقال صاحب الننا
 قة :
 خلوا بيني وبين ناقتي .. فأنا أرفق بها وأعلم به
 ل ..
 فتوجه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من قشام الأ
 رض .. ودعاها ..
 حتى جاءت واستجابت .. وشد عليها رحلها .. و
 استوى عليها ..
 ولو أني أطعتم حيث قال ما قال .. دخل النار ..
 يعني لو طردتموه .. لعله يرتد عن الدين .. فيد
 خل النار .. (44)
 وما كان الرفق في شيء إلا زانه .. وما نزع من
 شيء إلا شانه .
 (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي
 أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميد
 م) ..
 ذكر أنه r لما فتح مكة .. جعل يطوف بالببيت ..
 فأقبل فضالة بن عمير .. رجل يظهر الإسلام ..
 فجعل يطوف خلف النبي .. ينتظر منه غداً

فرّج طرفه إلى السماء وقال :
 اللهم اليك أشكو ضعف قوتي .. وقلة حيلتي
 ي .. وهواني على الناس ..
 يا أرحم الراحمين ..
 أنت رب المستضعفين .. وأنت ربي .. إلى
 من تكلني ! إلى بعيد يتجهمني .. أم إلى عدو
 وملكته أمري !
 إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي .. ولك
 ن عافيتك هي أوسع لي ..
 أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات
 .. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ..
 من أن تنزل بي غضبك .. أو تحل عليّ سخطك ..
 لك العتبى حتى ترضى .. ولا حول ولا قوة
 الا بك ..
 فبينما هو كذلك .. فإذ بسمحة تظله ..
 وإذا فيها جبريل عليه السلام .. فناده :
 يا محمد .. إن الله قد سمع قول قومك لـ
 ك .. وما ردوا عليك .. وقد بعث لك ملك الـ
 جبال لتأمره بما شئت فيهم ..
 وقبل أن ينطق بكلمة ..
 ناداه ملك الجبال .. السلام عليك يا رسول الله ..
 يا محمد .. إن الله قد سمع قول قومك لـ
 ك .. وأنا ملك الجبال .. قد بعثي اليك ربي
 لتأمرني ما شئت ..
 ثم قبل أن ينطق أو يختار ..
 جعل ملك الجبال يعرض عليه .. ويقول :
 إن شئت تطبق عليهم الأخشبين .. وهما جـ
 بلان عظيمان في جانبي مكة ..
 وجعل ملك الجبال ينتظر الأمر ..
 فإذا به يطأ على حظوظ النفس .. وشهـ
 وة الانتقام .. ويقول :
 بل .. أستأني بهم .. فإني أرجو أن يخرج الـ
 لله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شـ
 يئاً ..

استمتع بحياتك ..
 فتوجه إلى ثلاثة رجال هم سادة ثقيف وأشرافهـ
 م ..
 وهم أخوة ثلاثة :
 عبد ياليل بن عمرو ..
 وأخوه مسعود ..
 وحبيب ..
 جلس اليهم .. دعاهم إلى الله .. كلمهم لما جاءهـ
 م له من نصرته على الإسلام .. والقيام معه على
 من خالفه من قومه ..
 فكان ردهم بذيناً !!
 أما أحدهم فقال : أنا أمرط ثياب الكعبة .. إن كان
 الله أرسلك !!
 وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟!
 وجعل الثالث يبحث متحذلقاً عن عبارة يرد بهـ
 ا .. حرص على أن تكون أبلغ من كلام صاحبيـ
 ه ..
 فقال : والله لا أرد عليك أبداً .. لئن كنت رسولاً
 من الله كما تقول .. لأنت أعظم خطراً من أن أرد
 عليك الكلام .. ولئن كنت تكذب على الله .. فما يند
 بغي لي أن أكلمك ..
 فقام من عندهم وقد ينس من خير ثقيف ..
 وخشي أن تعلم قريش أنهم ردوه .. فيزدادون أذـ
 ي له ..
 فقال لهم : إن فعلتم ما فعلتم .. فاكنتموا عليّ ..
 فلم يفعلوا .. بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم ..
 فجعلوا يركضون وراء رسول الله .. يسبونـ
 ويصيحون به ..
 وقد اصطفوا صفين .. وهو يسرع الخطى بينهماـ
 م .. وكلما رفع رجلاً رضخوها بالحجارة ..
 وهو يحاول .. أن يسرع فيخطاه ليتقي ما ير
 مونه به من حجارة ..
 وجعلت قدماه الشريفتان تسيلان بالدماء ..
 وهو الكهل الذي جاوز الأربعين ..
 فأبعد عنهم .. ومشى .. ومشى ..
 حتى جلس في موضع آمن يستريح .. تحت ظل نـ
 خلة ..
 وهو منشغل البال .. كيف ستستقبله قريش .. كيـ
 ف سيدخل مكة ..

كن بطلاً ..
 وإن الذي بيني وبين بني أبي

وبين بني عمي لمختلف جداً
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
وليسوا إلى نصري سراعاً وإن هم
دعوني إلى نصر أتيتهم شداً
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقد

لا ..
وأحياناً .. المنصوح لا يشعر أنه مخطئ ف
لا بد أن تكون حجتك قوية عند نصحه ..
جلس أعرابي صلف مع قوم صالحين .. فت
كلموا حول بر الوالدين .. والأعرابي يسم
ع ..
فالتفت إليه أحدهم وقال : يا فلان .. كيف ب
رك بأمرك ..

فقال الأعرابي : أنا بها بار ..
قال : ما بلغ من برك بها ؟
قال : والله ما قرعتها بسوط قط !!
يعني إن احتاج إلى ضربها .. ضربها بيده
أو عمامته .. أما السوط فلا يضربها به ..
من شدة البر !!

فالمسكين ما كان ميزان الخطأ والصواب ع
نده مستقيماً ..
فكن رفيقاً لطيفاً .. حتى يقتنع الذي أمامك
بخطئه ..

كان في عهده e امرأة من بني مخزوم تست
لف المتاع من النساء .. وتتغافل عن رده ف
إذا سألوها عنه جحدته .. وأنكرت أنها أخذ
ت شيئاً ..

حتى زاد أذاها في الجحد والسرقة فرفع أم
رها إلى رسول الله e .. فقضى فيها أن تقط
ع يدها ..

فشق على قريش أن تقطع يدها وهي من ق
بيلة من كبار قبائل قريش ..

فأرادوا أن يكلموا النبي e ليخفف هذا الحك
م إلى حكم آخر .. كجلد أو غرامة مال .. أ
و نحو ذلك ..

وكلما توجه رجل منهم لنقاش النبي e في
هذا الأمر .. تردد ورجع ..

فقالوا لن يجترئ على رسول الله e إلا أسا
مة بن زيد .. حرب رسول الله e وابن حرب

ه .. تربى هو وأبوه في بيت النبي e حتى
صار كولده ..

فكلموا أسامة ..
أقبل أسامة إلى رسول الله e .. فرحب به و

37. أقنعه بخطئه ليقبل النصح ..

بعض الناس يشغل الآخرين بكثرة التوجيهات وال
ملاحظات حتى يوصلهم إلى مرحلة الملل والاستث
قال ..

خاصة إذا كانت النصائح والتوجيهات مبنية على
آراء وأمزجة شخصية ..

كمن ينصحك بعد وليمة دعوت الناس إليها وتعبد
ت في إعدادها وتعبد معك أهلك ومالك ! ثم يقول
لك هذا الناصح : يا أخي الوليمة ما كانت مناسبة
ة .. وتعبدك ذهب هدرأ .. وكنت أظن أنها ستكو
ن بمستوى أعلى من هذا .. فتقول لماذا ؟ فيقول
ل : يا أخي أكثر اللحم كان مشوياً .. وأنا أحب ا
للحم المسلوق !!

والسلطات كانت حامضة بسبب اللليمون .. وأنا
لا أحب ذلك ..

وكذلك الحلويات كانت مزينة بالكريمة .. وهذا ي
جعل طعامها غير مقبول ..

ثم يقول لك : وعموماً أكثر الناس أيضاً تضايقو
ا .. وما أكلوا إلا مجاملة .. أو لأنهم اضطروا إليه
ه ..

فقطعاً .. أنت هنا ستنظر إلى هذا الناصح نظرة ا
زدرأ وإعراض .. ولن تقبل منه نصيحته ؛ لأنه
ا مبنية على آراء وأمزجة شخصية !!

قل مثل ذلك فيمن ينصح آخر حول طريقة تعامله
مع أولاده .. أو مع زوجته .. أو طريقة بنائه لبيد
ته .. أو نوع سيارته .. بناء على ذوقه الخا

ص ..
انتبه دائماً أن تكون هذه النصائح والانتقادات مب
نية على مجرد أمزجة شخصية ..

نعم لو طلب رأيك .. أبده له واعرضه عليه .. أم
ا أن تتكلم معه وتنصح كما تنصح المخطئ .. ف

ه إلا الله ..
 فأما صاحبي الأنصاري فخفض سيفه ..
 وأما أنا فظننت أنه يقولها فرقاً من السلا
 ح .. فحملت عليه فقتلته ..
 فعرض في نفسي من أمره شيء .. فأتيت ا
 لنبي ..
 فأخبرته ..
 فقال لي : أقال لا إله إلا الله .. ثم قتلته ؟!
 قلت : إنه لم يقلها من قبل نفسه .. إنما ق
 الها فرقاً من السلاح ..
 فأعاد علي : أقال لا إله إلا الله .. ثم قتلته
 ؟!
 فهلا شققت عن قلبه .. حتى تعلم أنه إنما ق
 الها فرقاً من السلاح ..
 سكت أسامة .. فهو لم يشق عن قلب الرج
 ل فعلاً ..!! لكنه كان في ساحة حرب .. وا
 لرجل مقاتل !!
 فأعاد عليه السؤال مستكراً : أقال لا إ
 له إلا الله .. ثم قتلته ؟!
 يا أسامة قتلت رجلاً بعد أن قال لا إله إلا ا
 لله !! كيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة
 ؟!
 فما زال يقول ذلك حتى وددت إنني لم أكن أ
 سلمت إلا يومئذ (46) ..
 فتأمل كيف تدرج معه ببيان الخطأ وإقناعه
 به .. ثم وعظه ونصحه ..
 ولأجل أن يقتنع المنصوح بما تقول .. ناقش
 ه بأفكاره ومبادئه هو قدر المستطاع ..
 نعم فكر من وجهة نظره ..
 بينما رسول الله في مجلسه المبارك ..
 يحيط به أصحابه الأطهار ..
 إذ دخل شاب إلى المسجد وجعل يتلفت يمي
 ناً وشمالاً كأنه يبحث عن أحد ..
 وقعت عيناه على رسول الله .. فأقبل ي
 مشي إليه ..
 كان المتوقع أن يجلس الشاب في الحلقة و
 يستمع إلى الذكر .. لكنه لم يفعل !!

أجلسه عنده ..
 جعل أسامة يكلم النبي ع ليخفف الحكم .. ويبين أ
 ن هذه المرأة من أشراف الناس ..
 وأسامة يواصل الكلام والنبي يستمع .. كان
 أسامة يحاول إقناع النبي ع برأيه ..
 نظر النبي ع إلى أسامة .. فإذا هو يحاول ويناق
 ش .. بكل قناعة .. ولا يدري أنه يطلب منه ما لا
 يجوز ..!!
 فتغير النبي وغضب ع وكان أول كلمة قالها أن ب
 ين له خطاه فقال :
 أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟
 فكأنه يبين سبب غضبه لأسامة .. وأن حدود الله
 تعالى التي أوجب على عباده إقامتها لا تجوز ال
 شفاعه فيها ..
 فانتبه أسامة .. وقال فوراً : استغفر لي يا رسو
 ل الله ..
 فلما كان الليل .. قام فخطب في الناس وأثنى
 على الله بما هو أهله .. ثم قال :
 " أما بعد .. فإنما أهلك الذين من قبلكم :
 أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه .. وإذا
 سرق فيهم الضعيف .. أقاموا عليه الحد ..
 وإنني والذي نفسي بيده .. لو أن فاطمة بنت محم
 د سرت لقطع يدها .."
 ثم أمر بتلك المرأة التي سرت فقطع يدها ..
 قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد .. وتزوج
 ت ..
 وكانت تأتيني بعد ذلك .. فأرفع حاجتها إلى رسو
 ل الله (45) ..
 أسامة له مواقف متعددة مع رسول الله
 .. كلها تفيض بالرحمة والتعامل الراقي ..
 قال أسامة بن زيد : بعثنا رسول الله إلى الحد
 رقات من جهينة ..
 فهزمناهم وخرجنا في آثارهم .. فلحقنا أنا ورج
 ل من الأنصار رجلاً منهم ..
 فلاذ منا بشجرة ..
 فلما أدركناه .. ورفعنا عليه السيف .. قال : لا إل

يده على صدره .. دعا له ..
يعني استعمل جميع الأساليب لإصلاح من أمامه .. بعدما جعله يقتنع بشناعة الفعل ليت ركه عن قناعة .. فلا يفعله أبداً .. لا أمامه ولا خلفه ..

قاعدة ..
إذا شعر المخطئ ببشاعة خطئه اقتنع بحاجته للنصيحة .. وصار قبوله أكثر .. وقناعته به أكبر ..

38. لا تلمني !! انتهى الأمر .. ؟
يظن بعض الناس أنه عندما يلوم الآخرين على أخطائهم التي ربما تكون لا ترى إلا با لمجهر ..
يظن أنه يتقرب منهم أكثر .. أو أنه يقوي شخصيته بذلك ..
والحق أنه ليس الذكاء والفتنة أن تستطيع اللوم .. وإنما هو أن تتجنبه قدر المستطاع .. وتسعى إلى إصلاح الأشخاص بأساليب لا تجرح .. ولا تخرج ..
أحياناً تحتاج في بعض الأمور أن تتعامى .. خاصة الأشياء الدنيوية .. والحقوق الخاصة ..
ليس الغبي بسيد في قومه 00 لكن سيد قومه المتغابي ..
والمعلوم يعتبر اللوم سهماً حاداً يوجه إليه .. لأنه يشعره بنقصه ..
هذا أولاً ..
ثانياً : تجنب النصيح في الملأ قدر المستطاع ..

تغمدني بنصحك في انفرادي ..
وجنبني النصيحة في الجماعة ..
فإن النصيح بين الناس نوع ..
من التوبييح لا أرضى استماعه ..
بل .. إذا انتشر خطأ معين .. واضطرت إلى النصيح العام .. فاعمل بقاعدة : ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا .. كما تقدم معنا ..
إن .. اللوم كالسوط الذي يجلد به اللائم ظ

إنما نظر الشاب إلى رسول الله وأصحابه حوله .. ثم قال بكل جرأة :
يا رسول الله .. ائذن لي بـ .. بطلب العلم ؟!
لا .. لم يقلها .. ويا ليتة قالها ..
ائذن لي بالجهاد .. لا .. ويا ليتة قالها ..
أتدري ماذا قال ؟

قال : يا رسول الله .. ائذن لي بالزنا ..
عجباً !! هكذا بكل صراحة ؟!!
نعم .. هكذا : ائذن لي بالزنا ..
نظر النبي إلى الشاب .. كان يستطيع أن يعظه بآيات يقرؤها عليه .. أو نصيحة مختصرة يدرك بها الإيمان في قلبه .. لكنه سلك أسلوباً آخر ..

قال له بكل هدوء : أترضاه لأمك ؟
فانتفض الشاب وقد مرّ في خاطره أن أمه تزني .. فقال : لا .. لا أرضاه لأمي ..
فقال له بكل هدوء : كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم ..
ثم فاجأه سائلاً : أترضاه لأختك ؟!
فانتفض الشاب أخرى .. وقد تخيل أخته العفيفة تزني .. وقال مبادراً : لا .. لا أرضاه لأختي ..
فقال : كذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم ..
ثم سأله : أترضاه لعمتك ؟!
أترضاه لخالتك ؟!

والشاب يردد : لا .. لا ..
فقال : فأحب للناس ما تحب لنفسك .. واکره للناس ما تكره لنفسك ..
أدرك الشاب عند ذلك أنه كان مخطئاً .. فقال بك ل خضوع :
يا رسول الله .. ادعُ الله أن يطهر قلبي ..
فدعاه .. فجعل الشاب يقترب .. ويقترب .. حتى جلس بين يديه .. ثم وضع يده على صدره .. وقال :

اللهم اهد قلبه .. واغفر ذنبه .. وحصن فرجه ..
فخرج الشاب وهو يقول : والله لقد دخلت على رسول الله .. وما شيء أحب إليّ من الزنا ..
وخرجت من عنده وما شيء أبغض إليّ من الزنا ..
ثم انظر إلى استعمال العواطف .. دعاه .. وضع

وجهة نظره ..
فأحياناً لو كنت مكانه قد تقع في خطأ أكبر
من خطئه ..
كان رسول الله ﷺ يراعي ذلك كثيراً ..
لما انصرف r من خيبر.. أطالوا المسير حت
ى تعبوا ..
فلما أقبل الليل .. نزلوا في موضع في الطر
يق ليناموا ..
فقال r : من رجل يحفظ علينا الفجر لعنا
نام ؟
كان بلال متحمساً فقال : أنا يا رسول
الله أحفظه عليك ؟
فاضطجع رسول الله ﷺ .. ونزل الناس فنام
وا ..
وقام بلال يصلي حتى تعب .. وقد كان متعب
اً من طول الطريق قبل ذلك ..
فقعد واستند إلى بغيره مستريحاً .. واستقب
ل الفجر يرمقه .. فغلبته عينه .. فنام ..
كان الجميع في تعب شديد .. فطال نومه و
ومهم .. ومضى الليل .. وطلع لاصبح .. و
الكل نيام .. ولم يوقظهم إلا حر الشمس ..
استيقظ رسول الله ﷺ .. وهبَّ الناس من نو
مهم .. فلما رأوا الشمس اضطربوا .. وكثر
لغطهم ..
الكل ينظر إلى بلال ..
التفت r إلى بلال وقال : ماذا صنعت بنا يا
بلال ؟
فأجاب بلال بجواب مختصر .. لكنه موضح
للواقع تماماً ..
قال : يا رسول الله .. أخذ بنفسي الذي أخذ
بنفسي ..
يعني أنا بشر .. حاولت أن أقاوم النوم .. ف
لم أستطع .. غلبني النوم كما غلبكم !!
فقال : صدقت .. وسكت عنه ..
نعم فما فائدة اللوم هنا ..
فلما رأى r اضطراب الناس .. قال r : ارت
حلوا ..
فارتحلوا .. فمشى شيئاً يسيراً ..

هر الملوم ..
وبعض الناس ينفر الآخرين إما بكثرة لومه .. أو
بلومه على أمور انتهت ولا يقدم اللوم أو يؤخر
فيها شيئاً ..
أذكر أن رجلاً فقيراً .. تغرب عن أهله إلى بلد آ
خر .. واشتغل سائق شاحنة .. كان في أحد الأيا
م متعباً لكنه ركب الشاحنة ومضى بها في طري
ق طويل بين مدينتين ..
غلبه النوم أثناء الطريق .. فجعل يصارعه وأسر
ع قليلاً .. فتجاوز سيارة أمامه دون أن ينتبه إل
ى الطريق فإذا أمامه سيارة صغيرة فيها ثلاثة أش
خاص .. حاول أن يتفادها .. لم يستطع .. فاصط
دم بها وجهاً لوجه ..
ثار الغبار .. وجعل المارة يوقفون سياراتهم ويتف
رجون على الحادث ..
نزل سائق الشاحنة .. ونظر إلى السيارة المصدو
مة .. وإلى من بداخلها فإذا هم موتى ..
أنزلهم الناس واتصلوا بالإسعاف ..
قعد سائق الشاحنة ينتظر ووصول الإسعاف .. و
يفكر فيما سيحصل له بعد الحادث من سجن ودي
ة .. ويفكر في أولاده الصغار .. وزوجته ..
مسكين .. هموم انهدت عليه كالجبال !!
جعل الناس يمرون به ويلومونه ..
عجباً !!.. أهذا وقت اللوم .. ألا يمكن أن يؤجل
قليلاً ؟
قال أحدهم : لماذا تسرع ؟ هذه عواقب السرعة
ة ..
وقال آخر : أكيد أنك كنت نعسان ومع ذلك استم
ريت في القيادة !!.. لم توقف سيارتك وتنام ..؟
وقال ثالث : المفروض أن مثلك لا تصرف لهم ر
خص قيادة !!
كانوا يقولون هذه العبارات بأسلوب حاد .. فيه ت
عنيف وصراخ ..
كان الرجل واجماً .. جالساً على صخرة ساكت
اً .. متكئاً برأسه على يديه ..
وفجأة هوى على جنبه .. و .. و .. ماالت ..
قتلوه بلومهم .. ولو صبروا قليلاً لكان خيراً له
ولهم ..
ضع نفسك موضع الملوم ..المخطئ .. وفكر من

ثم نزل ونزلوا .. فتوضأ وتوضئوا ..
ثم صلى بالناس ..

فلما سلم .. أقبل على الناس فقال :
إذا نسيتم الصلاة .. فصلوها إذا ذكرتموها ..
فلله دره ما أعقله وأحكمه ..

كان مدرسة لكل قائد ..

ليس مثل بعض الرؤساء اليوم لا تكاد عصا اللو
م والتفريع تنزل من يده ..

بل كان يضع نفسه مكان من تحته ويفكر بعق
ولهم .. ويتعامل مع القلوب قبل الأجساد ..

يعلم أنهم بشر .. وليسوا آلات !!
في السنة الثامنة من الهجرة ..

جمع الروم جيشاً .. وأقبل من جهة الشام .. لقتنا
ل النبي r وأصحابه ..

وقيل إنه r جمع جيشاً لغزوهم ابتداءً ..

بدأ r يجهز جيشاً لإرساله إليهم .. فلم يزل يحث
الناس حتى جمع ثلاثة آلاف ..

فزودهم بما وجد من سلاح وعتاد ..

قال لهم : أميركم زيد بن حارثة ..

فإن أصيب زيد .. فجعفر بن أبي طالب على النا
س ..

فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ..

وخرج معهم r يودعهم ..

وخرج الناس يودعون الجيش ..

ويقولون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا
صالحين ..

كان عبد الله بن رواحة مشتاقاً إلى الشهادة .. ف
قال :

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فرغ
تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأح
شاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثي يأرشد الله من غا
زو قد رشدا

ثم مضى الجيش حتى نزلوا "معان" من أرض ال
شام ..

فبلغهم أن هرقل ملك الروم قد نزل من أرض الب
قاء في مائة ألف من الروم ..

وانضم إليه من القبائل حوله مائة ألف .. فصار

جيش الروم مائتي ألف ..

فلما تيقن المسلمون من ذلك .. أقاموا في
"معان" ليلتين ينظرون في أمرهم ..

فقال بعضهم : نكتب إلى رسول الله r نخب
ره بعدد عدونا ..

فأما أن يمدنا بالرجال ..

أو يأمرنا بما يشاء فنمضي له .. وكثر كلام
الناس في ذلك ..

فقام عبد الله بن رواحة .. ثم صاح بالناس
وقال :

يا قوم .. والله إن التي تكرهون هي التي خ
رجتم تطلبون .. الشهادة في سبيل الله .. ت
فرون منها !!

وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ..

ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به
ه .. فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين ..

إما ظهور وإما شهادة ..
فمضى الناس .. يسرون ..

حتى إذا دنوا من جيش الروم .. في موقعة
"مؤتة" فإذا أعداد عظيمة لا قبل لأحد به
ل ..

قال أبو هريرة t : شهدت يوم مؤتة .. فلما
دنا منا المشركون .. رأينا ما لا قبل لأحد به
ه من العدة .. والسلاح .. والكراع .. والدي
باج .. والحريز .. والذهب ..

فبرق بصري ..

فقال لي ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة .. كأ
ك ترى جموعاً كثيرة ؟

قلت : نعم ..

قال : إنك لم تشهد بداراً معنا .. إنا لم ننص
ر بالكثرة ..

ثم التقى الناس فاقتتلوا ..

فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله r حت
ي كثرت عليه الرماح وسقط صريعاً شهيداً
أ ..

فأخذ الراية جعفر بكل بطولة .. فاقتحم عن
فرس له شقراء فجعل يقاتل القوم .. وهو ي
قول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد ش

فأقبل البطل ثابت بن أرقم ..
 ثم رفعها .. وصاح ..
 يا معاشر المسلمين .. هذه الراية .. فاصطد
 حوا على رجل منكم ..
 فتصايح من سمعه وقالوا : أنت .. أنت ..
 قال : ما أنا بفاعل ..
 فأشاروا إلى خالد بن الوليد ..
 فلما أخذ الراية .. قاتل بقوة .. حتى إنه كا
 ن يقول :
 لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف
 ، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية ..
 ثم انحاز خالد بالجيش .. وانحاز الروم إلى
 معسكرهم ..
 خشي خالد أن يرجع بالجيش إلى المدينة م
 ن ليلته .. فيتبعهم الروم ..
 فلما أصبحوا .. غير خالد مواقع الجيش ..
 فجعل مقدمة الجيش .. في المؤخرة ..
 وجعل مؤخرة الجيش مقدمة ..
 ومن كانوا يقاتلون في يمين الجيش .. أمر
 هم بالانتقال إلى يساره ..
 وأمر من في الميسرة أن يذهبوا للميمنة ..
 فلما ابتدأ القتال .. وأقبل الروم ..
 فإذا كل سرية منهم ترى رايات جديدة .. و
 وجوهاً جديدة ..
 فاضطرب الروم .. وقالوا : قد جاءهم في ا
 لليل مدد .. فرعبوا في القتال ..
 فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة .. ولم
 يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً ..
 وانسحب خالد بالجيش .. آخر النهار من س
 احة القتال .. ثم واصل مسيره نحو المدين
 ة ..
 فلما أقبلوا إلى المدينة ..
 لقيهم الصبيان يتراکضون إليهم .. ولقيتهم
 النساء ..
 فجعلوا يحثون التراب في وجوه الجيش ..
 ويقولون :
 يا فرار .. فررتم في سبيل الله ..
 فلما سمع النبي r ذلك ..
 علم أنهم لم يكن أمامهم إلا ذلك ..

رأبها
 والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
 علي إن لاقيتها ضرابها
 أن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت ..
 فأخذ اللواء بشماله فقطعت ..
 فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثي
 ن سنة ..
 قال ابن عمر : وقفت على جعفر يومئذ .. وهو ق
 تيل .. فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس
 منها شيء في دبره ..
 فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حي
 ث يشاء ..
 إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعته ن
 صفين ..
 فلما قتل جعفر .. أخذ عبد الله بن رواحة الراي
 ة ..
 ثم تقدم بها وهو على فرسه ..
 فجعل يستنزل نفسه .. ويتردد بعض التردد .. وي
 قول :
 أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلن أو لتكرهنه
 إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكر
 هين الجنة
 ثم قال :
 يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت ق
 د صليت
 وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما ه
 ديت
 ثم نزل .. فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لد
 م ..
 شد بهذا صلبك .. فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما
 لقيت ..
 فأخذه من يده فانتهش منه نهشة .. ثم سمع الح
 طمة في ناحية الناس ..
 فقال : وأنت في الدنيا ! فألقاه من يده .. ثم أخذ
 سيفه ثم تقدم ..
 فقاتل حتى قتل t ..
 فوقعت الراية .. واضطرب المسلمون .. وابتهج
 الكافرون ..
 والراية تطوها الخيل .. ويغلوها الغبار ..

فما هو إلا أن لقيهم المسلمون .. يتقدمهم سيف الله خالد بن الوليد .. فابتدأ القتال .. وصال الأبطال .. فقتل في لحظة واحدة .. أكثر من اثني عشر ر أو ثلاثة عشر .. من الكفار .. فلما رأى حماس بن قيس ذلك .. التفت إلى صفوان وعكرمة .. فإذا هما يفرا ن إلى بيوتهما .. فانهزم معهم .. وذهب يعدو إلى بيته .. فدخله سريعا .. وأخذ يصيح بامرأته فزعا : أغلقي علي بابي .. فإنهم يقولون من دخل داره وأغلق بابيه فهو آمن !!.. فقالت : فأين ما كنت تقول ؟ أن تهزمهم .. وتخدمني بعضهم !!.. فقال : إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وافر عكرمة وأبو يزيد قائم كالمؤتمة واستقبلتهم با لسيوف المسلمة يقطعن كل ساعد وجمجمة ضربا فلا يسم ع إلا غممة لهم نهيت خلفنا وهممة لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة صحيح .. لو رأيت امرأته ما رأى من شدة القتال .. ما نطقت في لومه كلمة .. وفي موقف آخر .. لما دخل النبي .. مكة فاتحا .. فقد كان يعلم عظمة البلد الحرام .. فقاتل قتالا يسيرا .. ثم قال : إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض .. وإنما حل لي ساعة من نهار " .. فقيل له : يا رسول الله .. أنت تنهى عن القتال .. وهذا خالد بن الوليد في كتيبته .. يقتل من لقيه من المشركين ؟ فقال r : " قم يا فلان .. فأت خالد بن الوليد .. فقل له : فليرفع يده من القتال " .. هذا الرجل يعلم أنهم الآن يعيشون حالة حر

وأنهم فعلوا ما بوسعهم .. فقال r مدافعا عنهم : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار .. إن شاء الله عز وجل " .. نعم انتهى الأمر .. وهم أبطال ما قصرُوا .. لكنهم بشر والأمر كان فوق طاقتهم .. إذن الصلاة على الميت الحاضر .. أحيانا انتهى الأمر فلا فائدة من اللوم .. كان هذا منهجه دائما .. لما سمع الكفار برسول الله r قادما بجيشه إلى مكة فاتحا .. دخلهم الرعب .. فأرسل إليهم رسول الله r من يقول لهم : من دخل داره وأغلق عليه بابيه فهو آمن .. ومن دخل المسجد فعو آمن .. ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .. نبدأ الناس يفرون من بين يديه r .. فاجتمع بعض فرسان قريش .. وأردوا أن يحاربوا .. فأبى عليهم قومهم .. فاجتمع نفر منهم في مكان يقال له الخندمة .. اجتمع صفوان بن أمية .. وعكرمة بن أبي جهل .. وسهيل بن عمرو .. وجمعوا ناسا معهم بالخندمة ليقاتلوا .. وكان حماس بن قيس .. يعد سلاحا قبل قدوم النبي .. ويصلحه .. فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه !!.. كانت امرأته تعلم بقوة المسلمين .. فقالت : والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء ! قال : والله إنني لأرجو أن أخدمك بعضهم .. يعين ياسر بعضهم ويجيء بهم إليها خدما .. ثم قال مفتخرا : إن يقبلوا اليوم فما لي علة هذا سلاح كام ل وأله وذو غرارين سريع السلة ثم خرج من عندها .. إلى موقع "الخندمة" .. حيث اجتمع أصحابه ..

ب .. وأن النبي أمرهم قريشاً بالبقاء في بيوتهم لنلا يقتلوا .. فمن كان في غير بيته استحق المقاتلة ..

ففهم من قول النبي r : يرفع يده من القتل .. أي يقتل كل من وقف أمامه .. حتى يرفع يده بالسيوف لأنه لا يجد من يقتل !!
فأتى الرجل خالدًا فصاح به : يا خالد .. إن رسول الله r يقول : اقتل من قدرت عليه ! فقتل خالد سبعين إنساناً ..

فأتى رجل النبي r .. قال : يا رسول الله .. هذا خالد يقتل ..

فعجب النبي r .. كيف يقتل وقد نهاه ..؟!

فأرسل إلى خالد ليأتيه .. فأتاه .. فقال : " ألا مأنهك عن القتل ؟ "

فعجب خالد وقال : يا رسول الله .. جاعني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه ..
فأرسل النبي r إلى ذلك الرجل .. فجاء ورأى خالدًا .. فقال له : " ألم أقل يرفع يده من القتل ؟ "

فأدرك الرجل خطأه .. لكن الأمر انتهى .. فقال : يا رسول الله .. أردتُ أمراً .. وأراد الله أمراً .. فكان أمرُ الله فوق أمرِك .. وما استطعتُ إلا الذي كان ..
فسكت عنه النبي r وما ردَّ عليه شيئاً ..

من تأمل في مسيرة الحياة .. وجد هذا الأمر ظاهرًا ..
أحياناً يكون الشخص قد فعل أحسن ما يستطيع

مع ..
ركبت مع أحد الشباب في سيارته .. فإذا قيادته جيدة ..

وكنيت أعلم أنه وقع له حادث تصادم قبل أسبوع ..

فسألته : ألاحظ أن قيادتك جيدة .. فلماذا صدمت قبل أسبوع ؟!

قال : كان لا بد أن أصدم !!

قلت عجباً !!

قال : نعم .. كان لا بد أن أصدم .. أتدري لماذا ؟ قلت : لماذا ؟!

قال :

أقبلت بسيارتي على جسر .. وكنيت مسرعاً ..

فلما نزلت منه فإذا السيارات أمامي متوقفة صفوفاً ..

لا أدري ما السبب .. حادث في الأمام .. أو نقطة تفتيش .. لا أدري .. المهم أنني تفاجأت بها ..

كان أمامي أربعة مسارات كلها مليئة بالسيارات .. وكنيت مخيراً بين أن أنحرف عنها كلها وأسقط من فوق الجسر .. أو أمسك في رامل بأقوى ما أستطيع وعندها ستلعب بي السيارة في الطريق ..

أو الاختيار الثالث .. وهو أهونها .. قلت : وما هو ؟!

قال : أن أصدم إحدى السيارات الأربع الواقفة أمامي ..

ضحكت .. وقلت .. هاه وماذا فعلت ؟

قال : خففت سرعتي قدر استطاعتي .. واخذت أرخص السيارات التي أمامي .. و .. و .. صدمتها ..

فكرت فيما قال .. فرأيت أنه لا يستحق اللوم كثيراً .. وذلك أن الاختيارات التي كانت أمامه محدودة ..

يعني بعض المشاكل ليس لها حل .. شذو ص أبوه عصبي .. نصحه بجميع الأساليب ب .. ما نفع .. ماذا يفعل ؟

لفتة ..

ضع نفسك موضع المعلوم وفكر من وجهة نظره .. ثم احكم عليه ..

39. تأكد من الخطأ قبل النصيحة ..

كان واضحاً من نبرة صوته لما اتصل بي .. أنه كن غضباناً يكتم غيظه قدر المستطاع ..

ليست هذه هي النبرة التي تعودت عليها من فهد ..

شعرت أن عنده شيئاً ..

بدأ كلامه .. متحدثاً عن الفتن وتعرض الناس لها ..

ثم احتدت النبوة .. وجعل يكرر : أنت داعية .. و طالب علم .. وأفعالك محسوبة عليك .. قلت : أبا عبد الله ليتك تدخل في الموضوع مباشرة ..

قال : المحاضرة لتي أقيتها في .. وقلت .. تعجبت .. قلت : متى كان ذلك ؟

قال : قبل ثلاثة أسابيع ..

قلت : لم أذهب لتلك المنطقة منذ سنة ..

قال : بلى .. وتحدثت عن كذا ..

ثم تبين لي أن صاحبي .. بلغته إشاعة فصدقه .. وبنى على أساسها مناصحته .. وموقفه .. وكلامه ..

صحيح أنني لا أزال أحبه .. لكن نظرتي إليه قصرت .. لأنني اكتشفت أنه متسرع .. ومثل ما يقولون (يطير في العجة) !! .. كم هم أولئك الذين يبنون مواقفهم ونظراتهم على إشاعات ..

قليل منهم من يأتيك مناصحاً .. ليكتشف بعدها أنه كان يجري وراء إشاعة ..

وكثير منهم من تنطبع هذه الإشاعة في قلبه .. ويكون على أساسه تصوره عنك .. وهي كذبة .. أحياناً يشاع أن فلاناً فعل كذا وكذا ..

فلأجل أن تحتفظ بقدرك عنده .. تأكد من الخبر قبل الكلام عنه ..

وهذا منهج النبي ..

أتى رجل إلى النبي r .. فنظر النبي إليه .. فإذا رجل رث الهيئة .. مغبر الشعر .. فأراد r أن ينصحه ليصلح من هيئته .. لكنه خشي أن يكون الرجل فقيراً أصلاً .. ليس ذا مال .. فقال له : هل لك من مال ؟

قلت : نعم ..

قال : من أي المال ؟

قال : من كل المال .. من الإبل .. والرقيق .. والخيول .. والغنم ..

قال : فإذا آتاك الله مالاً .. فليُر عليك ..

ثم قال : تنتج إبل قومك صحاح آذانها .. فتعتمد إلى موسى .. فتقطع آذانها ..

فتقول : هذه بحيرة .. وتشقها .. أو تشق جلودها ..

وتقول : هذه صرم .. فتحرمها عليك وعلى أهلِكَ ..

قال : نعم ..

قال : فإن ما أعطاك الله لك حل .. موسى الله أحد .. (47)

وفي عام الوفود .. كان بعض الناس يأتي مسلماً .. ويبايع النبي r .. وبعضهم يأتي كافراً .. ويسلم أو يعاهد ..

فبينما رسول الله r مع أصحابه يوماً .. إذ جاء وفد الصّدف .. وهم بضعة عشر راكباً .. فأقبلوا إلى مجلس النبي r .. فجلسوا .. ولم يسلموا ..

فسألهم : " أمسلمون أنتم ؟ " قالوا : نعم .. قال : " فهلا سلمتم ؟ " ..

فقاموا قياماً فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ..

فقال : " وعليكم السلام .. اجلسوا " .. فجلسوا ثم سألوهُ r عن أوقات الصلوات ..

وفي عهد عمر .. توسعت بلاد الإسلام ..

م ..

فعين عمر سعد بن أبي وقاص أميراً على الكوفة ..

كان أهل الكوفة حينذاك مشاغبين على ولاتهم ..

أرسل نفر منهم رسالة إلى الخليفة عمر ..

يشتكون إليه من سعد ..

وذكروا عيوباً كثيرة .. حتى إنهم قالوا : ولا يحسن أن يصلي !!

فلما قرأ عمر الكتاب .. لم يتسرع باتخاذ قرار .. ولا كتابة نصيحة ..

وإنما أرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة معه كتاب إلى سعد ..

وأمره أن يسير مع سعد ويسأل الناس عن ..

ه ..

جعل محمد بن مسلمة يصلي مع سعد في المساجد .. ويسأل الناس عن سعد .. ولم يدع مسجد إلا سأل عنه .. ولا يذكرون عن سعد إلا معروفاً ..

حتى دخلا مسجداً لبني عبس .. فقام محمد بن مسلمة .. وسأل الناس عن أميره م سعد؟؟ فأتوا عليه خيراً .. فقال محمد : أنشدكم بالله .. هل تعلمون منه غير ذلك ؟

قالوا : لا نعلم إلا خيراً .. فكرر عليهم السؤال .. عندها قام رجل في آخر المسجد .. اسمه أسامة بن قتادة .. فقال : أما إذ نشدتنا بالله .. فاسمع : إن سعداً كان لا يسير بالسوية .. ولا يعدل في القضية .. فعجب سعد وقال : أنا كذلك ؟

قال الرجل نعم .. فقال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً .. وقد قام رياء وسمعة .. اللهم ف :

- أطل عمره ..
- وأطل فقره ..
- وعرضه للفتن ..

ثم خرج سعد من المسجد .. ومضى إلى لمدينة ومات بعدها بسنوات .. أما ذلك الرجل فلا زالت دعوة سعد تلاحقه .. حتى كبرت سنه .. ورق عظمه .. واحدودب ظهره ..

وطال عمره حتى مل من حياته .. واشتد فقره .. فكان يجلس وسط الطريق يسأل الناس .. وقد سقط حاجباه على عينيه من شدة الكبر .. فإذا مر ت به النساء مد يده يغمزهن ويتعرض لهن .. فكان الناس يصيحون به .. ويسبونونه .. فيقول : وماذا أفعل !! شيخ كبير مفتون .. أصابتني دعوة الرجل الصالح سعد بن أبي وقاص ..

حديث ..

بنس مطية الرجل زعموا .. وكفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع ..

40. اجلدني برفق !!

لا يعني ما تقدم من كلام عدم اللوم أبداً .. بل .. فقد تحتاج في أحيان متكررة أن تلو م الآخرين .. ولدك .. زوجتك .. صديقك .. لكن يمكن تأجيله قليلاً .. أو استخدام أساليب أخف ..

دع الملووم يحتفظ بماء وجهه .. بعدما فتح مكة .. وقد قوي شأنه عند العرب ..

وكثر الداخلون في الإسلام .. غزا بالناس حيناً .. فجاء المشركون بأحسن صفوف .. فصفت الخيل .. ثم صفت المقاتلة .. ثم صفت النساء من وراء ذلك ..

ثم صفت الغنم .. ثم النعم .. والمسلمون بشر كثير .. قد بلغوا اثني عشر ألفاً ..

وكان المشركون قد سبقوا إلى وادي حنيفة .. واختبأت كتائب منهم في جانيبه بين الصخور .. فما هو إلا أن ابتدأ القتال .. ودخلت جموع المسلمين في الوادي ..

حتى تفجر عليهم الكفار من كل جانب .. واضطرب الناس .. وجعلت خيل المسلمين .. تلوذ خلف ظهورهم .. فلم يلبثوا أن انكشفت خيلهم .. وكان أول من فرَّ الأعراب .. وتسلب الكفار وظهوروا ..

فالتفت رسول الله ﷺ .. فإذا الجموع تفر .. والدماء تسيل .. والخيل يضرب بعضها في بعض .. فجعل يأمر العباس بأن ينادي : يا للمهاجرين يا للأنصار ؟

فرجعوا حتى ثبتت في ثمانين أو مائة رجلاً ..

ثم نصر الله المسلمين .. وانتهى القتال ..
وجمعت الغنائم بين يدي النبي ..

فإذا الذين فروا من القتال .. وخافوا من الرماح
والنبال ..

هم أول من اجتمع على رسول الله r .. يريد الغنا
ثم ..

تعلقت الأعراب .. برسول الله r يقولون له :

اقسم علينا فينا .. اقسم علينا فينا .. يريدون الـ
غنائم ..

عجباً !! يقسم فيكم .. متى صار فيؤكم وأنتم
لم تقاتلوا ..

كيف تطلبون من الغنيمة .. وهو الذي كان يصر
خ بكم لتعودوا وأنتم لا تستجيبون !!

لكنه r لم يكن يدقق على مثل هذا .. فالدنيا لا تـ
ساوي عنده شيئاً ..

جعلوا يتبعونه ويرددون : اقسم علينا فينا ..

حتى تراحموا عليه .. وضيقوا الطريق بين يدي
ه ..

واضطروه إلى شجرة .. فمرّ من شدة الزحام مـ
لاصقاً لها ..

فتعلق رداؤه بأغصانها .. حتى سقط عن منكبي
ه .. وصار بطنه وظهره مكشوفاً ..

فلم يغضب .. وإنما التفت إليهم وقال .. بكل هدو
ووو :

أيها الناس .. ردوا علي رداي .. فوالذي نفسي
بيده لو كان لي عدد شجر تهامة .. نَعَمًا لقسمت
ه عليكم ..

ثم لا تجدوني بخيلاً .. ولا جباناً .. ولا كذاباً ..
نعم .. لأنه لو كان بخيلاً لأمسك الأموال لنفسه
ه ..

ولو كان جباناً لفرّ مع الفارين ..

ولو كان كذاباً لما نصره رب العالمين ..
مواقفه الرائعة كثيرة ..

كان يمشي مع بعض أصحابه .. فمر بامرأة
تبكي عند قبر .. على صبي لها ..

فقال لها : اتقي الله واصبري ..

وكانت المرأة باكية مهمومة .. فلم تعرف النبي
.. فقالت : إليك عني .. وما تبالي أنت بمصدي

بتي ..؟!

فسكت النبي .. وذهب وتركها .. فقد أد
ى ما عليه ..

وأدرك أن المرأة الآن في وضع نفسي قد
لا يناسب أن يزداد عليها في النصيح أكثر مم
ا سمعت ..

التفت بعض الصحابة إليها وقالوا : هذا ر
سول الله !! ..

فندمت المرأة على ما قالت .. وقامت تحاو
ل أن تلحق بالنبي .. حتى وصلت بيته

ه ..

فلم تجد على بابه بوابين ..

فقالت معذرة : يا رسول الله .. لم أعرف
ك .. الآن أصبر ..

فقال إنما الصبر عند الصدمة الأولى ..
(48)

اقتل برفق ..

إن الله كتب الإحسان على كل شيء .. فإذا
قتلتم فأحسنوا القتل .. وإذا **ذبحتم** فأحسنوا
الذبح .. وليحد أحدكم شفرته .. وليرح ذبي
حته .. حديث رواه مسلم

41. فِرٌّ من المشاكل !!

أظنه لو أجرى تحليلاً في مستشفى بدائي
لاكتشف في جسمه عشرة أنواع من الأما
ض .. أهونها الضغط والسكر ..

كان المسكين يعذب نفسه كثيراً لأنه يطالب
الناس بالمثالية التامة .. دائماً تجده متضاي
قاً من زوجته ..

كسرت الصحن الجديد ..

نسيت كنس الصالة ..

أحرقت ثوبي الجديد بالمكواة ..

وأولاده .. خالد إلى الآن لم يحفظ جدول الـ
ضرب ..

وسعد .. لم يظفر بتقدير ممتاز ..

وسارة .. وهند ..

هذا حاله في بيته ..
 أما بين زملائه .. فأعظم .. أبو عبد الله قصدي
 لما ذكر قصة البخيل !!
 والبارحة أبو أحمد يعني لما تكلم عن السيارات
 القديمة .. نعم يقصد سيارتي .. نعم .. كان ينظر
 إلي ..
 إلى آخر مواقف وتفكيرات هذا الرجل المسكين ..
 قديماً قالوا في المثل : إن أطاعك الزمان وإلا فأ
 طعه ..
 أذكر أن أعرابياً - من أصدقائي - كان يردد مثلاً
 حفظه من جده .. كان يسمعي إياه كثيراً إذا بدأ
 أتفلسف عليه ببعض المعلومات .. فكان يخر
 ج زفيراً طويلاً من صدره ثم يقول : يااااا شيد
 خ .. اليد اللي ما تقدر تلويها صافحها !!!
 وإذا تفكرت في هذا وجدته صحيحاً .. فنحن إذا
 لم نعود أنفسنا على التسامح وتمشية الأمور .. أ
 و بمعنى آخر التغابي .. وعدم الإغراق في التفسد
 يرات والظنون .. وإلا فسوف نتعب كثيراً ..
 ليس الغبي بسيد في قومه .. لكن سيد قومه المت
 غابي
 وأذكر أن شاباً متحمساً أقبل إلى شيخه يريد أن
 ن يساعده في اختيار زوجة تكون رفيقة دربه د
 تى الممات .. فقال الشيخ : ما هي الصفات التي
 ترغب وجودها في زوجتك ؟
 فقال : منظرها جميل .. وقوامها طويل .. وشعر
 ها حرير .. ورائحتها عبير .. لذیذة الطعام .. عذب
 ة الكلام .. إن نظرت إليها سررتني .. وإن غبت
 عنها حفظتني .. لا تخالف لي أمراً .. ولا أخشى
 منها شراً .. لها دين يرفعها .. وحكمة تنفعها ..
 وراح يسرد من صفات الكمال المتفرقة في النسا
 ء ويجمعها في امرأة واحدة ..
 فلما أكثر على الشيخ .. قال له : يا ولدي .. عند
 ي طلبك ..
 قال : أين ؟ قال : في الجنة بإذن الله .. أما في الد
 دنيا فعود نفسك التسامح ..
 نعم في الدنيا عود نفسك التسامح .. لا تعذب نف
 سك بالبحث عن مشاكل لإثارته .. والنقاش حول
 ها ..
 فيوماً تصرخ في وجه جليس : أنت تقصدي بك

لامك ؟
 ويوماً في وجه ولدك : أنت تريد أن تحزنند
 ي بكسلك ؟
 ويوماً في وجه زوجتك : أنت تتعمدين إهم
 ال بيتك ؟ ...
 وقد كان منهج النبي r .. التسامح عموم
 ١ .. فكان يستمتع بحياته ..
 كان يدخل على أهله أحياناً .. في الض
 حى .. وهو جائع .. فيسألهم : هل عندكم م
 ن شيء .. عندكم طعام ..
 فيقولون : لا ..
 فيقول : إني إذا صائم ..
 ولم يكن يصنع لأجل ذلك مشاكل .. ما كان
 يقول : لم لم تصنعوا طعاماً .. لم لم تخب
 روني لأشتري .. إني إذا صائم .. وانتهى ا
 لأمر .. (49)
 وكان في تعامله مع الناس .. يتعامل بكل
 سماحة ..
 قال كلثوم بن الحصين .. كان من خيار الص
 حابة ..
 قال : غزوت مع رسول الله r غزوة تبو
 ك .. فسرت ذات ليلة معه ونحن بوادي "ا
 لأخضر" ..
 أطلوا المشي .. فجعل يغلبه النعاس ..
 وجعلت ناقته تقترب من ناقه النبي ..
 ويستيقظ فجأة .. فيبعدها .. خوفاً من أن ي
 صيب راحل ناقته رجل النبي ..
 حتى غلبته عينه في بعض الطريق .. فزاد
 مت راحلته راحلة النبي .. وضرب راح
 له رجل النبي .. فألمه ..
 فقال النبي من حر ما يجد : " حس " ..
 فاستيقظ كلثوم .. فاضطرب وقال :
 يا رسول الله .. استغفر لي ..
 فقال بكل سماحة : سر .. سر ..
 نعم : سر .. ولم يعمل قضية .. لماذا تض
 يقني ؟ الطريق واسع ! ما الذي جاء بك بج

ثم لبث قليلاً .. فبرقت برقّة من السماء ..
فقال لهما : الحقاً بأمكما .. فقاما فدخلتا
على أمهما .. (51)

وفي يوم آخر ..
خرج النبي عليه .. على أصحابه في إحدى صلاتي الظهر أو العصر ..
وهو حامل الحسن أو الحسين ..
فتقدم إلى موضع صلاته .. فوضعه .. ثم دبر مصلياً بالناس ..
فسجد رسول الله سجدة .. أطالها .. حتى خشي عليه أصحابه أن يكون قد أصابه شيء ..

ثم رفع من سجوده ..
وبعد انتهاء الصلاة .. سأله أصحابه .. قالوا : يا رسول الله .. لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها ..!! شيء أمرت به ؟ أو كان يوحى إليك ؟
فقال : كل ذلك لم يكن .. ولكن ابني ارتد حنلي .. فكرهت أن أعجله .. حتى يقضي حاجته .. (52)

ودخل يوماً على أم هانئ بنت أبي طالب .. وكان جائعاً ..
فقال : هل عندك من طعام تأكله ؟
ف قالت : ليس عندي إلا كسر يابسة .. وإني لأستحي أن أقدمها إليك ..
فقال : هلمي بهن ..
فأنته بهن .. فكسرن في ماء .. وجاءت بهن ملح فذرت عليه ..
فجعل .. يأكل هذا الخبز مخلوطاً بالما

ع ..
فالتفت إلى أم هانئ وقال : هل من إدام ؟
ف قالت : ما عندي يا رسول الله إلا شيء من لبن ..
فقال : هلميه ..
فجاءته به .. فصبه على طعامه .. فأكل منه .. 4

استمتع بحياتك .. لم يتعب نفسه .. ضربة رجل .. وانهت ..

كان هذا أسلوبه دائماً ..
جلس يوماً بين أصحابه ..
فأقبلت إليه امرأة ببردة .. قطعة قماش ..
ف قالت : يا رسول الله .. إني نسجت هذه بيدي .. أكسوكها ..
فأخذها النبي .. وكان محتاجاً إليها ..
وقام ودخل بيته .. فلبسها .. ثم خرج إلى أصحابه وهي إزاره ..
فقال رجل من القوم : يا رسول الله .. اكسنيها ..
فقال : نعم ..
ثم رجع .. فخلعها وطواها .. ولبس إزاراً قد يماً ..

ثم أرسل بها إلى الرجل ..
فقال الناس للرجل : ما أحسنت .. سألتته إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلاً ؟!
فقال الرجل : والله ما سألتته .. إلا لتكون كفني يوم أموت ..
فلما مات الرجل .. كفنه أهله فيها (50) ..
ما أجمل احتواء الناس بهذه التعاملات ..
قام يوماً يوم أصحابه في صلاة العشاء ..
فدخل إلى المسجد طفلان .. الحسن والحسين ..
ابنا فاطمة ..

فأقبلوا إلى جدتهما رسول الله .. وهو يصلي ..
فكان إذا سجد .. وثب الحسن والحسين على ظهره ..
فإذا أراد أن يرفع رأسه .. تناولهما بيديه من خلفه تناولاً رقيقاً ..

ووضعهما عن ظهره .. فجلسا جانباً ..
فإذا عاد لسجوده .. عادا فوثبا على ظهره .. حتى قضى صلاته ..
فأخذهما بكل رفق .. وأقعدهما على فخذه ..
فقام أبو هريرة .. فقال : يا رسول الله .. أريد أن أعيد لهما ..
فلم يعجل عليهما ..

(51) رواه أحمد وقال الهيثمي : رجاله ثقات

(52) الحاكم في المستدرک

(50) رواه البخاري

ثم حمد الله عز وجل .. ثم قال : نعم الإدام الخل (53) ..

نعم .. كان يعيش حياته كما هي .. يتقبل الأمور بحسب ما هي عليه .. وفي رحلة الحج ..

خرج مع أصحابه .. فنزلوا منزلاً .. فذهب النبي فقضى حاجته ..

ثم جاء إلى حوض ماء فتوضأ منه .. ثم قام ليصلي ..

جاء جابر بن عبد الله .. فوقف عن يسار رسول الله .. وكبر مصلياً معه ..

فأخذ النبي بيده .. فأداره حتى أقامه عن يمينه ..

ومضيا في صلاتهما ..

فجاء جبار بن صخر .. فتوضأ ..

ثم أقبل فقام عن يسار رسول الله ..

فأخذ بأيديهما جميعاً — بكل هدوء - فدفعهما حتى أقامهما خلفه (54) ..

وفي يوم كان جالساً ..

فأقبلت إليه أم قيس بنت محسن بابن لها حديث الولادة .. ليحنكه ويدعو له ..

فأخذه فجعله في حجره .. فلم يلبث الصغير أن بال في حجر النبي .. وبلل ثيابه بالبول ..

فلم يزد النبي على أن دعا بماء فنضحه على أثر البول (55) ..

وانتهى الأمر .. لم يغضب .. ولم يعبس ..

فلماذا نعذب نحن أنفسنا ونصنع من الحبة قبة .. ليس شرطاً أن يكون كل ما يقع حولك مرضياً لك 100% ..

وإن تجد عيباً فسدَّ الخلا .. جل من لا عيب فيه ه وعلا

بعض الناس يحرق أعصابه .. ويكبر القضايا .. وبعض الآباء والأمهات كذلك .. وربما بعض الم

(53) رواه الطبراني في الأوسط ، وأصله في الصحيح

حين

(54) رواه مسلم

(55)

درسين والمدرسات كذلك ..

ولا تفتش عن الأخطاء الخفية ..

وكن سمحاً في قبول أذار الآخرين .. خا صة من يعتذرون إليك حفاظاً على محبتهم

معك .. لا لأجل مصالح شخصية ..

اقبل معاذير من يأتيك معذراً

إن برَّ عندك فيما قال أ

و فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره

وقد أجلك من يعصيك

مستتراً

وانظر إلى رسول الله .. وقد رقى منبر

ه يوماً ..

وخطب بأصحابه فرفع صوته حتى أسمع النساء العواتق في خدورها داخل بيوتهن

ن !!..

فقال : يا معشر من آمن بلسانه ولم يد

خل الإيمان إلى قلبه .. لا تغتابوا المسلمي

ن .. ولا تتبعوا عوراتهم .. فإنه من يتبع ع

ورة أخيه .. يتبع الله عورته .. ومن يتبع الله

عورته .. يفضحه ولو في جوف بيته .. (56)

نعم لا تتصيد الأخطاء .. وتتبع العورات ..

كن سمحاً ..

وكان حريصاً على عدم إثارة المشكلا

ت أصلاً ..

في مجلس هادئ مع بعض أصحابه .. صف

ت فيه النفوس .. واطمأنت القلوب .. قال

لأصحابه :

ألا لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحاب

ي شيئاً .. فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا

سليم الصدر .. (57)

لا تعذب نفسك ..

لا تثر على نفسك الغبار ما دام ساكناً .. وإ

ن ثار فسدَّ أنفك بركمك .. واستمتع بحيات

ك ..

(56) أخرجه أبو يعلى ، صحيح .

(57) أخرجه أبو داود ، صحيح .

هكذا كان الصحابة في حرصهم على إطفاء نار العداوة قبل اشتعالها .. فإن اشتعلت منعوها من الامتداد .. وقعت بين أبي بكر وعمر محاورة .. فأغضب أبو بكر عمر .. فانصرف عنه عمر مغضباً .. فلما رأى أبو بكر ذلك .. ندم .. وخشي أن يتطور الأمر .. فانطلق يتبع عمر .. ويقول : استغفر لي يا عمر .. وعمر لا يلتفت إليه .. وأبو بكر يعتذر .. ويمشي وراءه حتى وصل عمر إلى بيته .. وأغلق بابيه في وجهه .. فمضى أبو بكر إلى رسول الله .. فلما رآه النبي مقبلاً من بعيد .. رآه متغيراً .. فقال : أما صاحبكم هذا فقد غامر .. جلس أبو بكر ساكتاً .. فلم تمض لحظات .. حتى ندم عمر على ما كان منه .. وكانت قلوبهم بيضاء .. فأقبل إلى مجلس رسول الله .. فسلم وجلس بجانب النبي .. وقص عليه الخبر .. وحكى كيف أعرض عن أبي بكر ولم يقبل اعتذاره .. فغضب رسول الله .. فلما رأى أبو بكر غضبه .. جعل يقول : والله يا رسول الله .. لأننا كنت أظلم .. أنا كنت أظلم .. وجعل يدافع عن عمر ويعتذر له .. فقال : هل أنتم تاركون لي صاحبي ؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي ؟ إني قلت : يأبى الله الناس إني رسول الله إليكم جميعاً .. فقد تم : كذبت .. وقال أبو بكر : صدقت (59) .. وانتبه أن تكون ممن يصلح الناس ويفسد نفسه .. يدور بها كما يدور الحمار في الردى ..

42. اعترف بخطئك .. لا تكابر .. كثير من المشاكل التي ربما تستمر العداوة بسببها .. سنة وسنتين .. وربما العمر كله .. يكون حلها أن يقول أحدهما للآخر : أنا أخطأت .. وأءتذر .. موعد أخلفته .. أو مزحة ثقيلة .. أو كلمة نابية .. سارع إلى إطفاء شرارها قبل أن تضطرم النار بسببها .. أنا آسف .. حقك علي .. ما يصير خاطرك إلا طيب .. ما أجمل أن نتواضع ونسمع الناس هذه العبارات .. وقعت خصومة بين أبي ذر وبلال .. رضي الله عنهما .. وهما صحابيَان .. لكنهما بشر .. فغضب أبو ذر .. وقال لبلال : يا ابن السوداء .. فشكاه بلال إلى رسول الله .. فدعاه النبي فقال : أسابيت فلاناً ؟ قال : نعم .. قال : فهل ذكرت أمه ؟ قال : من يسابب الرجال .. ذكر أبوه وأمه يا رسول الله .. فقال : إنك امرؤ فيك جاهلية .. فتغير أبو ذر .. وقال : على ساعتني من الكبر .. قال : نعم .. ثم أعطاه النبي منهجاً يتعامل به مع من هم أقل منه فقال : إنما هم إخوانكم .. جعلهم الله تحت أيديكم .. فمن كان أخوه تحت يده .. فليطعمه من طعامه .. وليلبسه من لباسه .. ولا يكلفه ما يغلبه .. فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه .. فماذا فعل أبو ذر ؟! مضى أبو ذر حتى لقي بلالاً .. ثم اعتذر .. وقعد على الأرض .. بين يدي بلال .. ثم جعل يقرب من الأرض حتى وضع خده على التراب وقال : يا بلال .. طأ برجلك على خدي .. (58)

فبالله عليك قل لي : كيف تريدها أن تقبل م
نه نصحاً بعد ذلك !!
وأخيراً ..

الذكي .. هو الذي يسد الفتحات في جداره
حتى لا يستطيع الناس أن يسترقوا النظر

ر ..

بمعنى : أن لا تفتح مجالاً لشك الناس في
ك ..

أذكر أن إحدى الجمعيات الدعوية استدعت
مجموعة من الدعاة لعقد محاضرات في ألب
انيا ..

كان رئيس المراكز الدعوية في ألبانيا حاضراً
الاجتماع ..
نظرنا إليه .. فإذا ليس في خديه شعرة واحد
دة ..

فنظر بعضنا إلى بعض مستغرباً ...!! فقد جرت
العادة أن يكون الداعية ملتزماً بهدي
رسول الله معفياً لحيته .. ولو بعضها
ا .. فكيف برئيس الدعاة ؟!

فلما ابتدأ الاجتماع قال لنا ضاحكاً : يا جما
عة .. أنا أمرد .. أصلاً لا ينبت لي لحية ..
لا تعملوا لي محاضرة إذا انتهينا ..
تبسمنا وشكرناه ..

وإن شئت فارحل معي إلى المدينة .. وانظروا
ر إلى رسول الله وقد كان معتكفاً في مسجده
في ليالي رمضان ..

فأقبلت إليه زوجه صفية بنت حيي زائدة
رة ..

فمكثت عنده قليلاً ..

ثم قامت لتعود لبيتها ..

فلم يشأ النبي أن تعود في ظلمة الليل وحدها ..

فقام معها ليوصلها ..

فمشى معها في الطريق .. فمر به رجلان من الأنصار ..

فلما رأيا النبي والمرأة معه .. أسرع

ا ..

فقال لهما : على رسلكما إنها صفية بنت

ت حيي ..

فإذا كنت في موضع توجيه أو اقتداء .. كمدرس
مع طلابه .. وأب مع أولاده .. أو أم .. وكذلك ال
زوجان مع بعضهما ..

وزع عمر ثياباً على الناس .. فنال كل واحد
قطعة قماش تكفيه إزاراً أو رداءً ..

ثم قام يخطب الناس يوم الجمعة ..
فقال في أول خطبته : إن الله كتب لي عليكم الس
مع والطاعة ..

فقام رجل من القوم وقال : لا سمع لك ولا طاعة
ة ..

فقال عمر : لمة ؟

قال : لأنك قسمت علينا ثوباً .. ثوباً .. وأنت تلبد
س ثوبين جديدين ..

أي إزارك وردائك .. كلاهما نلحظ أنه جديد ..
فقال عمر : قم يا عبد الله بن عمر .. فقام .. فقام
ل : ألسنت دفعت لي ثوبك لأخطب به ..؟

قال : نعم ..

فقعد الرجل وقال : الآن نسمع ونطيع .. وانتهت
المشكلة ..

عزيزي لا تعجل علي .. أنا معك أن أسلوب الر
جل لما اعترض على عمر .. غير مناسب .. لكن
العجب هو من قدرة عمر على استيعاب الموق
ف .. وإطفاء النار ..

وأخيراً .. إذا أردت أن يقبل الناس منك ملاحظت
ك .. ونصحك .. أياً كانوا .. زوجة .. ولداً .. أ
ختاً ..

فكن أنت متقبلاً للنصح أصلاً .. غير متكبر عند
ه ..

كان كثيراً ما يقول لها : اعتن بأولادك أكثر .. ا
طبخي جيداً .. إلى متى أقول : رتبي غرفة النو
م ..

وكانت تردد دائماً بكل أريحية : أبشر .. إن شاء
الله .. أمرك ..

قالت له يوماً - ناصحة - : الأولاد في أيام اختبا
رات ويحتاجون وجودك بينهم .. فلا تتأخر إذا خ
رجت لأصحابك .. فما كاد يسمع منها ذلك حتى
صاح بها :

لست متفرغاً لهم .. أتأخر أو لا أتأخر .. ليس
شغلك .. ليس لك دخل في ..

فقال : أوقد فعلوها!! قد نافرنا .. وكاثرون
أ في بلادنا .. والله ما أعدنا وجلابيب قري
ش هذه .. إلا كما قال الأول : سَمَنَ كلبك
يأكلك .. وجوَّع كلبك يتبعك !!

ثم قال الخبيث : أما والله لنرجعنا إلى
مدينة .. ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ ..
ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : ه
ذا ما فعلتم بأنفسكم .. أحللتموهم بلادكم ..
وقاسمتموهم أموالكم .. أما والله لو أمسكت
م عنهم ما بأيديكم .. لتحولوا إلى غير دارك
م ..

وجعل الخبيث يهدد ويتوعد .. والذين عنده
من أنصاره المنافقين .. يؤيدونه ويشجعونه
ه ..

كان من بين الجالسين غلام صغير .. اسمه
زيد ابن أرقم ..
فمضى إلى رسول الله فأخبره الخبر ..
وكان عمر بن الخطاب جالسا عند النبي ..

فثار .. كيف يجرو هذا المنافق على رسول
الله بهذا الأسلوب القبيح .. ورأى عمر
أن قتل الأفعى أولى من قطع ذيلها .. ورأى
أن قتل ابن سلول .. يقضي على الفتنة في
مهدا ..

ولكن أن يقتله رجل من قومه الأنصار .. أ
سلم من أن يقتله رجل من المهاجرين ..
ففقال عمر : يا رسول الله ..
من مر به عباد ابن بشر الأنصاري فليقتل
ه ..

لكن رسول الله كان أحكم .. فهم قادمون م
ن حرب .. والناس بسلاحهم .. والنفوس م
شحونة .. وليس من المناسب إثارتهم أكث
ر ..

فقال : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أ
ن محمداً يقتل أصحابه ؟!

لا يا عمر .. ولكن أذن الناس بالرحيل ..
وكان الناس قد نزلوا للتو واستظلوا .. فكيف
ف يأمرهم بالرحيل .. في شدة الحر والشم
س ..

فقالا : سبحان الله يا رسول الله .. أي : أي عقل أ
ن نشك فيك أن يكون معك امرأة أجنبية عن
ك ..!!

فقال : إن الشيطان يجري من الإنسان مجر
ى الدم .. وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شر
أ .. أو قال شيئاً .. (60) ..

شجاعة ..

ليست الشجاعة أن تصر على خطئك .. وإنما أن
تعترف به .. ولا تكرر مرة أخرى ..

43. مفاتيح الأخطاء!

التعامل مع الأخطاء فن .. فكل باب مفتاح .. وللا
قلوب دروب ..
إذا وقع أحد في خطأ كبير .. وانتشر خبره في الذ
اس .. وبدأ الناس يترقبون ماذا تفعل فأشغلهم ب
شيء .. حتى يكون عندك وقت لدراسة الأمر ..
حتى لا يتجرأ أحد على مثل فعله .. أو يتعودوا
على مثل هذا الخطأ ..

خرج مع أصحابه في غزوة بني المصطلق
ق ..

وأثناء رجوعهم .. نزلوا يستريحون ..
فأرسل المهاجرون غلاماً لهم اسمه : جهجاه بن
مسعود .. ليستقي لهم من البئر ماءً ..
وأرسل الأنصار غلاماً لهم اسمه : سنان بن وب
ر الجهني .. ليستقي لهم أيضاً ..

فازدحم الغلامان على الماء .. فكسع أحدهما صا
حبه .. أي ضربه على مؤخرته ..
فصرخ الجهني : يا اااا معشر الأنصار ..

وصرخ جهجاه : يا اااا معشر المهاجرين ..
فثار الأنصار .. وثار المهاجرون ..
واشتد الخلاف .. والقوم قادمون من حرب .. ولا
يزالون بسلاحهم !!

فانطلق .. حتى اطفأ ما بينهم ..
فتحركات الأفاعي ..

غضب عبد الله بن أبي بن سلول .. وعنده رهط
من قومه الأنصار ..

قتال .. ويمرون بقبائل أعداء يتربصون به
م ..

فشعر أن الجيش بدأ ينقسم .. فأراد أن
يشغلهم عن المشكلة .. وعن النقاش فيه
١ .. لأنهم يزدون أوارها .. ويشعلون الفتنة
بين المهاجرين والأنصار ..
وصار الناس يترقبون متى ينزلون حتى يج
تمع بعضهم إلى بعض ويتحدثوا في الأم
ر ..

فمشى بالناس يومهم ذلك والشمس ف
وقهم .. ومشى ومشى حتى غابت الشم
س .. فظن الناس أنهم سينزلون للصلاة وي
رتاحون .. فلم ينزل إلا دقائق معدودات ..
صلوا ثم أمرهم فارتحلوا .. وواصل المشي
ليلتهم حتى أصبح ..
ثم نزل فصلى الفجر .. ثم أمرهم فارتحلوا
١ ..
ومشوا صباحهم حتى تعبوا .. وأذتهم الشم
س ..

فلما شعر أن الإرهاق والتعب سيطر عليه
م .. فليس فيهم جهد للكلام ..
أمرهم فنزلوا .. فما كادت أجسادهم تمس ا
لأرض .. حتى وقعوا نياما ..
وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عما حدث ..
ثم أيقظهم .. وارتحل بهم .. وواصل حتى د
خل المدينة .. وتفرق الناس في بيوتهم عند
د أهلهم ..

وأُنزل الله تعالى سورة المنافقين :
(هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ تَنَفَّقُوا
عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ
يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا
إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا
هَٰذَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
هَٰ لَا يَعْلَمُونَ) ..

فقرأها رسول الله .. ثم أخذ بأذن الغلام
زيد بن أرقم .. وقال : هذا الذي أوفى الله بأ

ولم تكن عادته أن يرتحل في شدة الحر ..
ارتحل الناس ..

وبلغ عبد الله بن سلول أن رسول الله .. أخذ
بره زيد بن أرقم بما سمع منه ..
فأقبل ابن سلول إلى رسول الله .. وجعل يحذ
ف بالله .. ما قلت .. ولا تكلمت به .. كذب عليّ
الغلام ..
وكان ابن سلول رئيساً في قومه .. شريفاً عظيماً
١ ..

فقال الأنصار : يا رسول الله .. عسى أن يكون ال
غلام أوهم في حديثه .. ولم يحفظ ما قال الرج
ل ..
وجعلوا يدافعون عن ابن سلول ..
فأقبل سيد من سادة الأنصار .. أسيد بن حضير
ر .. فحياه بتحية النبوة وسلم عليه .. وقال :
يا رسول الله .. والله لقد رحت في ساعة منكر
ة .. ما كنت تروح في مثلها !!
فالتفت إليه وقال : أو ما بلغك ما قال صاحبك
م ؟

قال : أي صاحب يا رسول الله ؟
قال : عبد الله بن أبي ..
قال : وما قال ؟
قال : زعم أنه ان رجع إلى المدينة أخرج الأعز
منها الأذل ..
فثار أسيد وقال : فأنت والله يا رسول الله تخرجه
إن شئت .. هو والله الذليل .. وأنت العزيز ..
ثم قال أسيد مخففاً على رسول الله :

يا رسول الله .. ارفق .. لقد جاءنا الله بك وإن ق
ومه لينظمون له الخرز ليتوجوه .. فإنه ليرى أذ
ك قد استلبته ملكاً ..
فسكت النبي .. ومضى براحلته .. والناس م
نهم من يجمع متاعه .. ومنهم من يرحل راحلته
ه ..

وجعلت الحادثة تنتشر .. وصارت أحاديث الجي
ش : .. لماذا ارتحلنا في هذا الوقت .. ماذا قال ؟
كيف تعامل معه ؟ صدق ابن سلول .. لا بل كذ
ب ..

وبدأت الشائعات تزيد .. والكلام يزداد فيه وينق
ص .. واضطرب الجيش .. وهم في طريقهم من

ذنه ..

وبدا الناس يسبون ابن سلول .. ويلومونه ..

فالتفت إلى عمر وقال : أرأيت يا عمر .. لو

قتلته يوم ذكرت ذلك .. لأرعدت له أنوف لو أمرت

بها اليوم بقتله لقتلته ..

ثم سكت عنه .. فلم يتعرض له بشيء ..

وأحياناً إذا وقع الخطأ أمام الناس قد تحتاج أن ت

نكر عليه بأسلوب مناسب .. وإن كان أمام النا

س ..

بينما رسول الله جالساً يوماً مع أصحابه ..

وكانوا في أيام قحط .. واحتباس مطر .. وقلة ز

رع ..

إذ أتاه أعرابي فقال :

يا رسول الله جهدت الأنفس .. وضاعت العيال ..

ونهدت الأموال .. وهلكت الأنعام ..

فاستسق الله لنا .. فإننا نستشفع بك على الله .. و

نستشفع بالله عليك ..

فتغير رسول الله .. لما سمعه يقول نستشفع

بالله عليك ..

فالشفاعاة والواسطة تكون من الأدنى إلى الأعلى

ى .. فلا يجوز أن يقال إن الله يشفع عند خلقه ..

بل يأمرهم جل جلاله .. لأنه أعلى وأرفع ..

فقال : ويحك !! أتدري ما تقول ؟!!

ثم جعل يقدس الله .. ويردد .. سبحاان ا

لله .. سبحاان الله ..

فما زال يسبح حتى عُرِف ذلك في وجوه أصحاب

ه ..

ثم قال :

ويحك !! إنه لا يُسْتَشْفَعُ بالله على أحد من خلق

ه .. شأنُ الله أعظم من ذلك ..

ويحك !! أتدري ما الله ؟! إن عرشه على سماوا

ته وهكذا .. وقال بأصابعه مثل القبة عليه .. وإنه

لينط به أطيط الرحل بالراكب .. (61)

ولكن إذا وقع الخطأ من الشخص لوحده قد يكون

هناك شيء من اللين ..

أتى رسول الله r إلى بيت عائشة t في ليلتها ..

فوضع نعليه من رجله .. ووضع رداءه .. واضد

طجع على فراشه ..

فلبث كذلك .. حتى ظن أن عائشة قد رقد

ت ..

فقام من على فراشه .. ولبس رداءه ونعليه

ه .. رويداً ..

ثم فتح الباب رويداً .. وخرج .. وأغلقه ر

ويداً ..

فلما رأت عائشة ذلك .. دخلتها غيرةً الذ

ساء .. وخشيت أنه ذهب إلى بعض نساء

ه ..

فقامت .. ولبست درعها .. وخمارها .. واذ

طلقت في إثره .. تمشي وراءه .. دون أن

يشعر بها ..

فانطلق r .. يمشي في ظلمة الليل .. حتى

جاء مقبرة البقيع ..

فوقف عندها .. ينظر إلى قبور أصحابه ..

الذين عاشوا عابدين .. وماتوا مجاهدين ..

واجتمعوا تحت الثرى .. ليرضى عنهم من

يعلم السرّ وأخفى ..

أخذ r ينظر إلى قبورهم .. ويتذكر أحوالهم

م ..

ثم رفع يديه فدعا لهم .. ثم أخذ ينظر إلى ا

لقبور .. ثم رفع يديه ثانية فدعا لهم ..

ثم لبث ملياً .. ثم رفعها فاستغفر لهم ..

وأطال القيام .. وعائشة تنظر إليه من بعيد

د ..

ثم التفت r وراءه راجعاً ..

فلما رأت ذلك عائشة .. انحرفت إلى ورائهم

ا راجعة .. خشية أن يشعر بها ..

فأسرع r مشيه .. فأسرعت عائشة ..

فهوول .. فهوولت .. فأحضر - أي جرى

مسرعا - فأحضرت وجرت ..

حتى سبقته إلى البيت فدخلت ..

ونزعت درعها وخمارها .. وأقبلت إلى فرا

شها فاضطجعت عليه .. كهينة النائمة .. و

نفَسها يتردد في صدرها ..

فدخل r البيت .. فسمع صوت نفَسها .. ف

قال :

مالك يا عائش .. حشياً رابية ..

تحدث مع أصدقائه - وكانوا ضيوفاً عنده
- ويخططون أن يسافروا إلى بلد كذا .. وه
ذا البلد لا يسلم من يذهب إليه غالباً من الت
عرض للمحرمات الكبار .. كالزنا وشرب ال
خمر ..

أردت أن تنصح ..
من الأساليب أن تدخل عليهم وتنصحهم بكل
متين .. وتخرج .. لكن نتيجة ذلك قد لا تكو
ن ناجحة كثيراً ..
فما رأيك أن تفكك الحزمة .. وتكسر كل ع
ود على حدة ..
كيف ؟!

إذا تفرقوا اجلس مع من تظنه أعقلهم .. و
قل : يا فلان .. بلغني أنكم ستسافرون .. و
أنت أعقلهم .. وتعلم أن هذا البلد لا يسلم ال
مسافر إليه من البلايا والفتن .. وقد يعود
مريضاً أو مبتلى .. فما رأيك أن تكسب أج
رهم .. وتقترح عليهم أن يسافروا إلى بلد آ
خر .. تستمتعون فيه بالأنهار والبحار .. و
اللعب والأنس .. من غير معصية ..
لا شك أنه إذا سمع منك هذا الكلام بالأسلو
ب الحسن .. سيقبل حماسه إلى النصف ..
أذهب إلى آخر .. وقل له مثل ذلك ..
ثم قل للثالث مثله ..

دون أن يشعر كل منهم بحديثك لصاحبه ..
فتجد أنهم إذا اجتمعوا .. وتشجع أحدهم وا
قترح تغيير البلد .. وجد من يعاونه ..
أو لو اكتشفت يوماً أن أولادك يجتمعون ف
ي غرفة أحدهم .. وينظرون إلى شريط فيد
يو خليع .. أو مقاطع (بلوتوث) فيها صو
ر خلية .. أو نحو ذلك ..

فقد يكون من المناسب أن تنصح كلاً منهم
على حدة .. لكيلا تأخذهم العزة بالإثم ..
هل لهذا شاهد من السيرة ؟ نعم ..
لما اشتد الخلاف بين رسول الله r وبين ق
ريش ..

اجتمعت قريش وقاطعت النبي وجميع أقارب
ه من بني هاشم .. وكتبت صحيفة أن بني
هاشم لا يشتري منهم .. ولا يباع عليهم

قالت : لا شيء ..
قال : لتخبرني .. أو ليخبرني اللطيف الخبير ..
فأخبرته بالخبر .. وأنها غارت عليه .. فانطلقت
تنظر أين يذهب ..
فقال r : أنت الذي رأيت أمامي ؟

قالت : نعم ..
فدفعها في صدرها .. دفعة .. ثم قال :
أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ..
فقالت عائشة : مهما يكتم الناس .. يعلمه الله
عز وجل ؟

قال : نعم .. ثم قال r مبيناً لها خبر خروجه :
إن جبريل عليه السلام .. أتاني حين رأيت .. ولم
يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك ..
فناداني .. فأخفى منك فأجبتة وأخفيتك منك .. و
ظننت أنك قد رقدت .. فكرهت أن أوقظك .. وخش
يت أن تستوحشي .. فأمرني أن آتي أهل البقيع ف
أستغفر لهم .. (62)

نعم .. كان r .. سهلاً ليناً لا يكبر الأخطاء ..
بل كان يرددها في الناس ويقول :
كما عند مسلم : لا يفرك مؤمن مؤمنة .. إن كره
منها خلقاً .. رضي منها آخر ..
أي لا يبغضها بغضاً تاماً .. لأجل خلق عندها ..
أو طبع يلزمها ..
بل يغفر سيئتها لحسنيتها .. فإذا رأى خطأها تذك
ر صوابها .. وإذا شاهد سوءها تذكر حسناتها ..
ويتغاضى عما يكرهه من خلقها .. وما لا يرضاه
من تعاملها ..

إضاءة ..
ليس اللوم على من لا يقبل النصيحة .. وإنما عل
ى من يقدمها بأسلوب غير مناسب ..

44. فَكَّكَ الحزمة !!
إذا كان الخطأ واقعاً من مجموعة .. فالأصل أن
تنصحهم وهم مجتمعون ..
ولكن قد تحتاج أحياناً أن تفكك الحزمة .. أعذ
ي .. أن تكلم كل واحد على حدة .. وتنصحه .
مثال : مررت بمجلس منزلكم .. وسمعت أخاك ي

سه ثم ضرب على جنبه فدخل الشعب عليه
م ..

ومضت الأيام ورأى هشام .. أنه لا طاقة له
باطعامهم كل ليلة .. وهم كثير ..

فقرر أن يسعى لنقض الصحيفة الظالمة ..
ولكن أنى له ذلك وقريش قد أجمعت عليه

ا ..

فاتبع أسلوب تفكير الحزمة ..

مشى إلى زهير بن أبي أمية .. وكانت أمه
عاتكة بنت عبد المطلب ..

فقال : يا زهير أَرْضِيَّتْ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ وَتَلْبَسَ
س الثياب وتنكح النساء .. وأخوالك حيث

علمت ؟ لا يباع لهم ولا يبتاع منهم .. ولا
يُنكَحُونَ ولا يُنْكَحُ إِيَّاهُمْ ؟!

أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحَكَمِ
م بن هشام .. - يعني أبا جهل .. وكان أشد

هم عداوة للمؤمنين وتعصباً للمقاطعة ..

- ما تركهم على هذا لاحتلال ..

قال : ويحك يا هشام .. فماذا أصنع ؟

إنما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آ
خر لقمتم في نقضها ..

قال : قد وجدت رجلاً ..

قال : من هو ؟

قال : أنا ..

قال زهير : أبغنا ثالثاً ..

قال هشام : فاكتم عني ..

فذهب إلى المطعم بن عدي .. وكان رجلاً
عاقلاً .. فقال له : يا مطعم .. أَرْضِيَّتْ أَنْ

يهلك بطنان من بني عبد مناف .. وأنت شا
هد على ذلك .. موافق لقريش فيه ؟!

قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل وا

حد ..

قال : وجدت لك ثانياً ..

قال : من ؟ قال : أنا ..

قال : أبغنا ثالثاً ..

قال : قد فعلت .. قال : من هو ؟

قال : زهير بن أبي أمية ..

قال : أبغنا رابعاً ..

قال : فاكتم عني ..

م .. ولا يُزَوَّجُونَ .. ولا يُتَزَوَّجُ مِنْهُمْ ..
وَدُبِسَ النَّبِيُّ مَعِ أَصْحَابِهِ فِي وَادٍ غَيْرِ ذِي

زُرْع ..

واشتدت الكربة على الصحابة حتى أكلوا الشجر

ر ..

بل مضى أحدهم يوماً ليبول .. فسمع صوتاً تحت
ه .. فنظر فإذا قطعة من جلد بعير .. فأخذها .. و

غسلها وشواها بالنار .. ثم فتَّتَتْهَا .. وخلطها بـ
الماء .. وجعل يتموّن بها ثلاثة أيام !!

فقال يوماً لعمه أبي طالب - وكان محبوساً

معه في الشعب - :

يا عم إن الله قد سلط الأَرْضَ على صحيفة قريـ
ش .. فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ..

ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان ..

أي إن دابة الأرضة أكلت صحيفة قریش فلم يـ
ق منها إلا عبارة : باسمك اللهم !!

فعجب أبو طالب وقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قا

ل : نعم ..

قال : فوالله ما يدخل عليك أحد .. حتى أخبر قريـ
شاً بذلك ..

ثم خرج إلى قریش فقال :

يا معشر قریش .. إن ابن أخي قد أخبرني بكذا و
كذا ..

فهلّم صحيفتكم ..

فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا ع
نها ..

وإن كان كاذباً .. دفعت إليكم ابن أخي فافعلوا به
ما شئتم ..

فقال القوم : قد رضينا .. فتعاقدوا على ذلك ..

ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ .. فزاده
م ذلك شراً ..

وظل بنو هاشم وبنو المطلب في واديهم .. حتى
كادوا أن يهلكوا ..

وكان من كفار قریش رجال رحماء ..

منهم : هشام بن عمرو .. وكان ذا شرف في قو
مه ..

فكان يأتي بالبعير قد حمّله طعاماً .. وبنو هاشم
وبنو المطلب في الشعب ليلاً ..

حتى إذا بلغ به قم الشعب .. خلع خطامه من رأ

ن قال غير ذلك .. نبرأ إلى الله منها ومما ك
تب فيها ..

وقام هشام بن عمرو وقال مثل قولهم ..
فتحير أبو جهل .. وسكت هنية ثم قال : هذ
أمر قضي بليل .. تشوور فيه بغير هذا ا
لمكان ..

ثم انطلق المطعم بن عدي إلى الكعبة .. وت
وجه إلى الصحفية ليشقها .. فوجد دابة الأ
رصة قد أكلتها .. إلا باسمك اللهم ..

كن ذكياً ..

الطبيب الحاذق يتلمس أولاً بأصابعه .. في
ختار الموضع المناسب قبل غرز الإبرة ..

45. جلد الذات !!

من الذكريات ..

أنا خرجنا مرة للبر .. وكان معنا أبو خالد
د .. صديق لنا نظره ضعيف جداً ..
كنا نخدمه .. نقرب إليه الماء .. التمر .. إل
قهوة .. وهو يردد : لا بد أن أساعدكم .. أ
ريد أن أشتغل معكم .. كلفوني بأي عمل ..
ونحن ننهاء عن ذلك ..
ذبحنا شاة معنا .. وقطعناها ووضعناها في
القدر .. تمهيداً لطبخها .. ولم نشعل النار
بعد ..

وانشغلنا بنصب الخيمة .. وترتيب الأغرا
ض ..

تحركت الشهامة في أبي خالد - ويا ليتها ل
م تفعل - فقام وتوجه إلى القدر .. فرأى الل
حم .. فأدرك أن أول شيء سنفعله هو أن ن
صب الماء على اللحم .. فتوجه إلى الأغرا
ض في السيارة .. وجعل يتلمس الأغرا
ض .. مولد كهرباء .. أسلاك .. مصابيح ..
أربع مطارات بلاستيك فيها ماء .. وبنزي
ن .. وأغراض أخرى ..
فالتقط أقرب مطارة إليه .. وأقبل بها مبته
جاً إلى القدر .. وأفرغ نصفها فيه ..
لمحه أحدنا .. فصرخ به .. لا .. لا .. أبو
خالد ..

استمتع برحلاتك ————— www.arefe.com
فذهب إلى أبي البخري بن هشام .. فقال له ما ق
ال لصاحبيه ..

فتحمس لذلك .. وقال : وهل تجد أحدا يعين على
هذا ؟

قال : نعم ..

قال : من هو ؟

قال : زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا
معك ..

قال : أبغنا خامساً ..

فذهب هشام إلى زمعة بن الأسود .. فكلمه وذكر
له قرابتهم وحقهم ..

فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه
من أحد ؟

قال : نعم .. فلان وفلان ..

فاتفقوا جميعاً على هذا الرأي .. وتوعدوا عند "
حطم الحجون " ليلاً بأعلى مكة .. فاجتمعوا هنا
لك ..

وأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحف
ة حتى ينقضوها ..

وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم .. ث
م تقموا أنتم فتتكلمون ..

فلما أصبحوا غدوا إلى مجالسهم حول الكعبة ..

حيث يجتمع الناس ويتبايعون ..

وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة ..

فطاف بالبيت سبعاً .. ثم أقبل على الناس وصر
خ :

يا اهل مكة أأكل الطعام ..؟ ونلبس الثياب ..؟

وبنو هاشم هلكي !! لا يباع لهم ولا يبتاع منه

م .. والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطع
ة الظالمة ..

فصرخ أبو جهل .. وكان في مجلس مع أصحاب

ه .. قال : كذبت .. والله لا تشق ..

فقام زمعة بن الأسود وصرخ : بل أنت والله أكذ

ب .. ما رضينا كتابتها حين كتبت ..

فالتفت إليه أبو جهل ليرد عليه .. ففاجأه البختر

ي قائماً يقول : صدق زمعة .. لا نرضى ما كتب
فيها ولا نقر به ..

فالتفت أبو جهل إلى البخري ..

فإذا بالمطعم بن عدي يصرخ : صدقتما وكذب م

ر شكك مضحكاً ..
 كيف تتصرف؟
 كثير منا يتعامل مع هذه المشكلة بأسلوب
 هو ليس حلاً لها ..
 يركض وراء الصغير .. يصرخ .. يسب ..
 يلعن ..
 والنتيجة : أنه حقق ما كان يريد الطفل م
 ن جذب انتباه .. وضجة .. وأضحك الناس
 عليه ..
 وربما صوره بعضهم وصار بلوتوثاً يتناقل
 ونه !!!
 أنت هنا - حقيقة - لا تعذب الطفل إنما تعذ
 ب نفسك ..
 أو افرض أنك ..
 لبست ثوباً جديداً .. ربما لم تسدد قيمته ب
 عد ..
 وذهبت إلى شركة لتقدم على وظيفة ..
 مررت بأحد الأبواب كان مدهوناً بالطلاء لل
 تو .. وبجانبه لوحة تحذيرية لم تنتبه له
 ..
 وفجأة مسحت نصف الطلاء بثوبك .. وطف
 ق عامل الطلاء يصرخ بك ساباً غضباً
 ..
 كيف تتعامل مع هذه المشكلة ؟
 نحن في كثير من الأحيان أيضاً نتعامل مع
 ها بأسلوب ليس حلاً لها ..
 نشور .. نسب العامل .. لم لم تضع لوحة
 واضحة .. فيرد عليك بغضب .. وقد تكون
 النتيجة أن تتلطح بتراب الأرض أكثر مما ت
 لطخت بطلاء الباب !!
 على رسلك .. تدري أنت الآن ماذا تفعل ؟!
 إنك تعذب نفسك .. تجلد ذاتك ..
 وقل مثل ذلك لو تزينت وذهبت خاطباً .. ف
 مرت بك سيارة وأنت خارج من البيت .. و
 رشت عليك من ماء كان مجتمعاً على الأر
 ض .. هل ستعذب نفسك فتصرخ وتزعق ب
 السيارة وركابها .. وهي قد ولتكَ ظهره
 ..
 وكذلك ..

وهو يردد : خلوني أشتغل .. خلوني ..
 فسحبنا المطارة منه فوراً .. وغرقنا في الضحك
 الذي يغالبه البكاء ..
 لأننا اكتشفنا أنها مطارة البنزين .. وليست مطار
 ة الماء !!!
 وتغدينا على خبز وشاي ..
 لم تفسد الرحلة .. بل كانت من أمتع الرحلات ..
 ولماذا نعذب أنفسنا بأمر قد انتهى ..
 وأذكر أيضاً :
 لما كنت في الثانوية خرجت مع بعض الزملاء ف
 ي رحلة .. تعطلت بطارية إحدى السيارات ..
 أقبلنا بسيارة أخرى وأوقفناها أمامها لنوصل بب
 طاريتها البطارية المتعطلة ..
 أقبل طارق ووقف بين السيارتين .. وشبك الأس
 لاك في بطارية السيارة الأولى .. ثم شبكها في ال
 بطارية المتعطلة .. ثم أشار لأحد الشباب .. شغل
 السيارة ..
 ركب صاحبنا .. وكان ناقل الحركة (القير) على
 رقم واحد .. فما إن شغل السيارة حتى قفزت الس
 يارة إلى الأمام وصكت ركبتي طارق بين صدامي
 السيارتين .. ووقع على الأرض مصاباً ..
 وصاحبنا في السيارة يردد : أشغل مرة ثانية ؟!!
 أبعدنا السيارتين .. وساعدنا طارق على المش
 ي .. كان يعرج ويتألم من ركبتيه بشدة ..
 لكنه أعجبني أنه لم يزد ألمه بصراخ أو سب ..
 أو توبيخ .. بل ابتسم وأظهر الرضى ..
 وما فائدة الصراخ ؟ والأمر قد انتهى .. وصاحبنا
 أدرك خطأه ..
 إذا أردت أن تستمتع بحياتك .. فاعمل بهذه القاء
 دة :
 لا تهتم بصغائر الأمور ..
 نحن أحياناً نعذب أنفسنا .. ونجلدها ..
 ونضيق ونتألم .. والألم لا يحل المشكلة ..
 افرض أنك دخلت إلى حفل عرس .. وقد لبست ث
 وباً حسناً .. ووضعت فوق رأسك غترة وعقا
 لا .. حتى صرت أجمل من العريس !!
 وبدأت تصافح الناس واحداً واحداً .. وفجأة أقب
 ل طفل من ورائك .. وتعلق بطرف غترتك .. وس
 حبها فسقطت الغترة والعقال .. والطاقيّة .. وصا

لا داعي لتذكر دائماً الآلام التي مستنا في حياتنا ..

محمد .. مرت به لحظات حزينة في حياته ..
حتى جلس يوماً مع زوجه الحنون عائشة ..
في لحظة ساكنة .. فسألته :

هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد ؟
مرّت تلك المعركة في ذاكرة النبي ..

آآه .. ما أقسى ذلك اليوم .. يوم قُتل عمه حمزة ..
وهو من أحب الناس إليه ..
يوم وقف ينظر إلى عمه وقرّة عينه .. وقد جُدع
أنفه .. وقطعت أذناه .. وشقّ بطنه .. ومزّق
جسده ..

يوم كسرت أسنانه .. وجرح وجهه .. وسالت
منه الدماء ..

يوم قتل أصحابه بين يديه ..
يوم عاد إلى المدينة .. وقد نقص سبعون من
أصحابه .. فرأى النساء الأرمال والأطفال اليتا
مي .. يبحثون عن أحبائهم وآبائهم ..
فعلاً .. كان ذلك اليوم قاسياً ..
كانت عائشة تنتظر الجواب .. فقال :

ما لقيت من قومك كان أشد منه ..
يوم العقبة .. إذ عرضت نفسي ..
ثم ذكر لها قصة استنصاره بأهل الطائف .. وتكذّب
ببهم له .. ورمي سفهائهم له بالحجارة حتى آدم
واقدميه .. (63)
ومع وجود هذه الآلام في تاريخ حياته .. إلا
أنه كان لا يسمح لها أن تنغص عليه استمتاعه به
الحياة ..

لا تستحق الالتفات إليها .. وقد مضت آلامها وبق
يت حسنتها ..
إذن لا تقتل نفسك بالهم ..

وكذلك لا تقتل الناس بالهم واللوم ..
نحن أحياناً نتعامل مع بعض المشاكل بأساليب ه
ي في الحقيقة ليست حلاً لها ..
كان الأحنف بن قيس سيد بني تميم ..
لم يكن ساد قومه بقوة جسد .. ولا كثرة مال ..
ولا ارتفاع نسب ..

وإنما سادهم بالحلم والعقل ..
حقد عليه قوم ..

فاقبلوا إلى سفيه من سفهائهم وقالوا له :
هذه ألف درهم على أن تذهب إلى سيد بني
تميم .. الأحنف بن قيس .. فتلطمه على و
جبهه ..

مضى السفيه .. فإذا الأحنف جالس مع رج
ال .. محتبياً بكل رزانة .. قد ضم ركبتيه إل
ى صدره .. وجعل يحدث قومه ..
اقترب السفيه منه .. ودنا .. ودنا .. فلما و
قف عنده .. مدّ الأحنف إليه رأسه ظاناً أن
ه سيسرّ إليه بشيء ..

فإذا بالسفيه يرفع يده ويلطم الأحنف على
وجهه لطمّة كادت تمزق خده !!
نظر الأحنف إليه .. ولم يحلّ حبوته .. وقا
ل بكل هدوء :

لماذا لطمتني ؟!!
قال : قوم أعطوني ألف درهم على أن أطم
سيد بني تميم ..
فقال الأحنف .. آآه .. ما صنعت شيئاً ..
لست سيد بني تميم !

قال : عجباً !! فأين سيد بني تميم ..
قال : هل ترى ذاك الرجل الجالس وحده ..
وسيفه بجانبه ؟
وأشار إلى رجل اسمه حارثة بن قدامة .. ا
متلاً غضباً وغيظاً .. لو قسّم غضبه عل
ى أمة لكفاهم ..

قال : نعم أراه .. الجالس هناك ..
قال : فاذهب والطمه لطمّة .. فذاك سيد بن
ي تميم ..

مضى الرجل إليه : واقترب من حارثة .. فإ
ذا عينا حارثة تلتمع شرراً ..
وقف السفيه عليه .. ورفع يده ولطمه على
وجهه .. فما كادت يده تفارق خده حتى التق
ط حارثة سيفه .. وقطع يده !!
وقديماً قيل : الفائز هو الذي يضحك في الذ
هاية !!

قناعة ..

فاضك فإن الشهب تضحك والدجى ***
متلاطم ولذا نحب الأنجما (64) ..

التعامل مع المشكلة بأساليب ليست حلاً لها .. ي
عذبك .. ولا يحل المشكلة !!

46. مشاكل ليس لها حل ..

كم ترى من الناس غاضباً وهو يقود سيارته ..
وربما ضرب بيديه على مقودها .. وردد .. أووو
ه دائماً زحمة .. زحمة ..
أو قد تراه يمشي في الطريق .. ولا يحتمل أن يك
لمه أحد .. بل متضايق أشد الضيق .. ويردد : أ
وووف حررر شدييد !!
وربما كنت زميلاً له في مكتب واحد .. تبثلى بر
ؤيته كل يوم .. ويشغلك كلما جلس .. " ياخي ال
عمل كئييب .. أوووو إلى متى ما يزيدون رواتبنا
" .. ويدخل عابساً .. ويخرج ساخطاً ..
وربما أكثر التشكي من آلام بدنه .. أو إعاقة ولد
ه ..

لا بد أن نقتنع جميعاً أننا تواجهنا في حياتنا مشا
كل ليس لها حل .. فلا بد أن نتعامل معها بأريحي
ة ..

قال : السماء كئيبة وتجهما ***

قلت : ابتسم ، يكفي التجهم في السما!

قال : الصبا ولي ! فقلت له : ابتسم ***

لن يرجع الأسف الصبا المتصرما

قال : التي كانت سمائي في الهوى ***

صارت لنفسي في الغرام جهنما

خانت عهودي بعدما ملكتها ***

قلبي فكيف أطيق أن أتبسما

قلت : ابتسم واطرب فلو قارنتها ***

قضيت عمرك كله متألماً

قال : العدى حولي علت صيحاتهم ***

أأسرُّ والأعداء حولي في الحمى

قلت : ابتسم ، لم يطلبوك بدمهم ***

لو لم تكن منهم أجل وأعظما!

قال : الليالي جرعتني علقماً ***

قلت : ابتسم ولئن جرعت العلقما

فلعل غيرك إن رآك مرَّ نَمّاً ***

طرح الكأبة خلفه وترنما

أتراك تغم بالترنم درهماً ***

أم أنت تخسر بالبشاشة مغماً

نعم استمتع بحياتك ..
انتبه أن تكون ظروفك مؤثرة على سلوك
ك .. في عملك .. أولادك .. زملائك ..
فما ذنبهم أن يتعذبوا بأمور ليس هم طرفاً
فيها .. ولا يملكون حلها ؟
لا تجعلهم إذا رأوك .. أو ذكروك . ذكروا م
عك الهم والحزن ..
لذا نهى عن النياحة على الميت .. وال
صراخ .. وشق الجيب .. وحلق الشعر ..
و ..
لماذا ؟

لأن التعامل مع الموت يكون بتغسيل الميت
وتكفينه والصلاة عليه ودفنه .. والدعاء ل
ه ..

أما الصراخ والعيول فلا ينفع شيئاً .. سو
ى أنه يقلب متعة الحياة إلى أحزان ..
مشى المعافى بن سليمان مع صاحب له ..
فالتفت إليه صاحبه عابساً وقال : ما أشد ا
لبرد اليوم ؟

فقال المعافى : أستدفأت الآن ؟

قال : لا ..

قال : فماذا استفدت من الدم ؟ لو سبّحت ل
كان خيراً لك ..

عش حياتك ..

لا تنقب عن المشكلات .. ولا تدقق في صغ
ائر الأمور .. وإنما استمتع بحياتك ..

47. لا تقتل نفسك بالهم ..

كان أحد طلابي في الجامعة ..
غاب أسبوعاً كاملاً .. ثم لقينته فسألته :
سلامات .. سعد ؟
قال : لا شيء .. كنت مشغولاً قليلاً ..
كان الحزن واضحاً عليه ..
قلت : ما الخبر ؟

قال : كان ولدي مريضاً .. عنده تليف في

(64) أبيات لإيليا أبو ماضي من ديوانه
ص656

الكبد .. وأصابه قبل أيام تسمم في الدم .. وتفاجأ
ت أمس أن التسمم تسلل إلى الدماغ ..
قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله .. اصبر .. وأسأل
الله أن يشفيه ..
وإن قضى الله عليه بشيء .. فأسأل الله أن يجعل
ه شافعاً لك يوم القيامة ..
قال : شافع ؟ يا شيخ .. الولد ليس صغيراً ..
قلت : كم عمره ؟
قال : سبع عشرة سنة ..
قلت : الله يشفيه .. ويبارك لك في إخوانه ..
فخفف رأسه وقال : يا شيخ .. ليس له إخوا
ن .. لم أرزق بغير هذا الولد .. وقد أصابه ما ت
رى ..
قلت له : سعد .. بكل اختصار .. لا تقتل نفسك با
لهم .. لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ..
ثم خففت عنه مصابه وذهبت ..
نعم لا تقتل نفسك بالهم .. فالهم لا يخفف المصيب
ة ..
أذكر أنني قبل فترة .. ذهبت إلى المدينة النبوي
ة ..
التقيت بخالد .. قال لي : ما رأيك أن نزور الدكت
ور : عبد الله ..
قلت : لماذا .. ما الخبر ؟
قال : نعزيه ..
قلت : نعزيه ؟!!
قال : نعم .. ذهب ولده الكبير بالعائلة كلها لحض
ور حفل عرس في مدينة مجاورة .. وبقي هو ف
ي المدينة لارتباطه بالجامعة ..
وفي أثناء عودتهم وقع لهم حادث مروع .. فمات
وا جميعاً .. إحدى عشر نفساً !!
كان الدكتور رجلاً صالحاً قد جاوز الخمسين ..
لكنه على كل حال .. بشر .. له مشاعر وأحاسيس
س ..
في صدره قلب .. وله عيان تبيان .. ونفس تف
رح وتحزن ..
تلقى الخبر المفزع .. صلى عليهم .. ثم وسدهم
في التراب بيديه .. إحدى عشر نفساً ..
صار يطوف في بيته حيران .. يمر بألعاب متناثر
ة .. قد مضى عليها أيام لم تحرك .. لأن خلود و

سارة اللتان كانتا تلعبان بها .. ماتتا ..
يأوي إلى فراشه .. لم يرتب .. لأن أم صال
ج .. ماتت ..
يمر بدراجة ياسر .. لم تتحرك .. لأن الذي
كان يقودها .. ماات ..
يدخل غرف ابنته الكبرى .. يرى حقائب ع
رسها مصفوفة .. وملابسها مفروشة على
سريرها .. ماتت .. وهي ترتب ألوانها وتد
سقها ..
سبحان من صبره .. وثبت قلبه ..
كان الضيوف يأتون .. معهم قهوتهم .. لأن
ه لا أحد عنده يخدم أو يعين ..
العجيب أنك إذا رأيت الرجل في العزاء ..
حسبت أنه أحد المعزين .. وأن المصاب غي
ره ..
كان يردد .. إنا لله وإنا إليه راجعون .. لله
ما أخذ وله ما أعطى .. وكل شيء عنده بأ
جل مسمى ..
وهذا هو قمة العقل .. فلو لم يفعل ذلك .. ل
مات هما ..
أعرف أحد الناس أراه دائماً سعيد .. وإذا
تأملت حاله وجدت :
وظيفته متواضعة
بيته وضيق .. إيجار ..
سيارته قديمة ..
أولاده كثيرون ..
ومع ذلك كان دائم الابتسامة .. محبوباً ..
يعيش حياته ..
صحيح .. لا يقتل نفسه بالهم ..
ولا تكثر التشكي .. فيمذك الناس ..
عنده ولد معوق .. ولدي مريض .. ضايق
صدري .. يا أخي مسكين ولدي .. خلاص
فهنا ..
راتبي قليل ..
امرأة مع زوجها : بيتنا قديم .. سيارتنا مت
هالكة .. ثيابي ليست على الموضة ..
أفنيث يا مسكين عمرك بالتأوه والحزن
وظللت مكتوف اليدين تقول حاربني الزمن
إن لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذن

إضاءة

عش حياتك بما بين يدك من معطيات .. لتسعد

مررنا بغرفة عن يميننا .. نظرت داخلها فإذا أكثر من عشرة أسرة فارغة .. إلا واحد منها قد انبطح عليه رجل ينتفض بيديه ورجليه ..

التفت إلى الطبيب وسألته : ما هذا !!
قال : هذا مجنون .. ويصاب بنوبات صرع .. تصيبه كل خمس أو ست ساعات ..
قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله .. منذ متى وهو على هذا الحال ؟
قال : منذ أكثر من عشر سنوات .. كتمت عربة في نفسي .. ومضيت ساكتاً ..
بعد خطوات مشيناها .. مررنا على غرفة أخرى .. بابها مغلق .. وفي الباب فتحة يطل من خلالها رجل من الغرفة .. ويشير لنا إشارات غير مفهومة ..

حاولت أن أسرق النظر داخل الغرفة .. فإذا جدرانها وأرضها باللون البني ..
سألت الطبيب : ما هذا ؟!! قال : مجنون .. شعرت أنه يسخر من سؤالي .. فقلت : أدرى أنه مجنون .. لو كان عاقلاً لما رأيناه هنا .. لكن ما قصته ؟
فقال : هذا الرجل إذا رأى جداراً .. ثار وأقبل يضربه بيده .. وتارة يضربه برجله .. وأحياناً برأسه ..

فيوماً تتكسر أصابعه .. ويوماً تكسر رجله .. ويوماً يشج رأسه .. ويوماً .. ولم نستطع علاجه .. فحبسناه في غرفة كما ترى .. جدرانها وأرضها مبطنة بالإسفنج .. فيضرب كما يشاء .. ثم سكت الطبيب .. ومضى أمامنا ماشياً ..
أما أنا وصاحبي عبد العزيز .. فظللنا واقفين ننتقم : الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاك به

ثم مضينا نسير بين غرف المرضى .. حتى مررنا على غرفة ليس فيها أسرة .. وإنما فيها أكثر من ثلاثين رجلاً .. كل واحد منهم على حال .. هذا يؤذن .. وهذا يغدو .. وهذا يتلف .. وهذا يرقص .. وإذا من بينهم ثلاثة قد أجلسوا على كراسي

48. ارض بما قسم الله لك ..
كنت في رحلة إلى أحد البلدان لإلقاء عدد من المحاضرات ..
كان ذلك البلد مشهوراً بوجود مستشفى كبير للأمراض العقلية .. أو كما يسميه الناس "مستشفى المجانين" ..
ألقيت محاضرتين صباحاً .. وخرجت وقد بقي على أذان الظهر ساعة ..
كان معي عبد العزيز .. رجل من أبرز الدعاة .. التفت إليه ونحن في السيارة .. قلت : عبد العزيز .. هناك مكان أود أن أذهب إليه ما دام في الوقت متسع ..

قال : أين ؟ صاحبك الشيخ عبد الله .. مسافر .. والدكتور أحمد اتصلت به ولم يجب .. أو تريد أن نمر المكتبة التراثية .. أو ..
قلت : كلا .. بل : مستشفى الأمراض العقلية ..
قال : المجانين !! قلت : المجانين .. فضحك وقال مازحاً : لماذا .. تريد أن تتأكد من عقلك ..
قلت : لا .. ولكن نستفيد .. نعتبر .. نعرف نعمة الله علينا ..

سكت عبد العزيز يفكر في حالهم .. شعرت أنه حزين .. كان عبد العزيز عاطفياً أكثر من اللازم ..

أخذني بسيارته إلى هناك ..
أقبلنا على مبنى كالمغارة .. الأشجار تحيط به من كل جانب .. كانت الكأبة ظاهرة عليه ..
قابلنا أحد الأطباء .. رحب بنا ثم أخذنا في جولة في المستشفى ..

أخذ الطبيب يحدثنا عن مآسيهم .. ثم قال :
وليس الخبر كالمعاينة ..
دلف بنا إلى أحد الممرات .. سمعت أصواتاً هنا وهناك ..
كانت غرف المرضى موزعة على جانبي الممر ..

ي .. وربطت أيديهم وأرجلهم .. وهم يتلفتون ح
ولهم .. ويحاولون التفلت فلا يستطيعون ..
تعجبت وسألت الطبيب : ما هؤلاء ؟ ولماذا ربطت
موهم دون الباقين ؟
فقال : هؤلاء إذا رأوا شيئاً أمامهم اعتدوا علي
ه .. يكسرون النوافذ .. والمكيفات .. والأبواب ..
ب ..

لذلك نحن نربطهم على هذا الحال .. من الصباح
إلى المساء ..
قلت وأنا أدافع عبرتي : منذ متى وهم على هذا
لحال ؟

قال : هذا منذ عشر سنوات .. وهذا منذ سبع ..
وهذا جديد .. لم يمض له إلا خمس سنين !!
خرجت من غرفتهم .. وأنا أتفكر في حالهم .. وأ
حمد الله الذي عافاني مما ابتلاهم ..
سألته : أين باب الخروج من المستشفى ؟
قال : بقي غرفة واحدة .. لعل فيها عبرة جديد
ة .. تعال ..

وأخذ بيدي إلى غرفة كبيرة .. فتح الباب ودخ
ل .. وجرني معه ..
كان ما في الغرفة شبيهاً بما رأيته في غرفة سا
بقة .. مجموعة من المرضى .. كل منهم على حا
ل .. راقص .. ونائم ..
و .. و .. عجباً ماذا أرى ؟؟

رجل جاوز عمره الخمسين .. اشتعل رأسه شيب
اً .. وجلس على الأرض القرفصاء .. قد جمع ج
سمه بعضه على بعض .. ينظر إلينا بعينين زائغت
ين .. يتلفت بفزع ..
كل هذا طبيعي ..

لكن الشيء الغريب الذي جعلني أفزع .. بل أثو
ر .. هو أن الرجل كان عارياً تماماً ليس عليه
من اللباس ولا ما يستر العورة المغلظة ..
تغير وجهي .. وامتنع لوني .. والتفت إلى الطبي
ب فوراً .. فلما رأى حمرة عيني ..
قال لي .. هدى من غضبك .. سأشرح لك حال
ه ..

هذا الرجل كلما ألبسناه ثوباً عضه بأسنانه وقطع
ه .. وحاول بلعه .. وقد نلبسه في اليوم الواحد أ
كثر من عشرة ثياب .. وكلها على مثل هذا الحا

ل ..
فتركناه هكذا صيفاً وشتاءً .. والذين حوله
مجانين لا يعقلون حاله ..
خرجت من هذه الغرفة .. ولم أستطع أن أت
حمل أكثر .. قلت للطبيب : دلني على البا
ب .. للخروج ..

قال : بقي بعض الأقسام ..
قلت : يكفي ما رأيناه ..
مشى الطبيب ومشيت بجانبه .. وجعل يمر
في طريقه بغرف المرضى .. ونحن ساكتا
ن ..

وفجأة التفت إليّ وكأنه تذكر شيئاً نسيه ..
وقال :
يا شيخ .. هنا رجل من كبار التجار .. يملك
مئات الملايين .. أصابه لوثة عقلية فأتى بـ
ه أولاده وألقوه هنا منذ سنتين ..
وهنا رجل آخر كان مهندساً في شركة ..
وثالث كان ..

ومضى الطبيب يحدثني بأقوام ذلوا بعد ع
ز .. وآخرين افترقوا بعد غنى .. و ..
أخذت أمشي بين غرف المرضى متفكراً ..
سبحان من قسم الأرزاق بين عباده ..
يعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء ..
قد يرزق الرجل مالاً وحسباً ونسباً ومنص
باً .. لكنه يأخذ منه العقل .. فتجده من أكث
ر الناس مالاً .. وأقواهم جسداً .. لكنه م
سجون في مستشفى المجانين ..
وقد يرزق آخر حسباً رفيعاً .. ومالاً وفير
اً .. وعقلاً كبيراً .. لكنه يسلب منه الص
ة .. فتجده مقعداً على سريره .. عشرين أ
و ثلاثين سنة .. ما أغنى عنه ماله وحسب
ه !!!

ومن الناس من يؤتيه الله صحة وقوة وعق
لاً .. لكنه يمنعه المال فتراه يشتغل حمالاً أ
متعة في سوق أو تراه معدماً فقيراً يتنقل
بين الحرف المتواضعة لا يكاد يجد ما يسد
به رمقه ..

ومن الناس من يؤتيه .. ويحرمه .. وربك
يخلق ما يشاء ويختار .. ما كان لهم الخير

فقال r : يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح ..
نعم .. يرحم الله أبا عبيدة ..

فكرة ..

انظر للجوانب المشرقة من حياتك .. قبل أن
تنظر للمظلمة .. لتكون أسعد ..

49. كن جبلاً ..

في بداية سلوكي في طريق الدعوة .. دعيت
ت لإلقاء محاضرة في إحدى القرى ..
استقبلني المسئول عن الدعوة هناك .. ركب
ت سيارته .. كانت قديمة متهاكة ..
تحدثت معه .. أخبرني أنه حديث عهد بزوا
ج ..

ثم اشتكى إليّ من غلاء المهور في قريته
م .. حتى إنه لم يستطع أن يشتري سيارة
جديدة .. أو على الأقل أحسن من سيارته
ه ..

دعوت له بالتوفيق ..

ثم دخلت وألقيت المحاضرة .. وفي آخره
أ .. قرئت عليّ الأسئلة .. وكان من بينها
سؤال عن غلاء المهور ..
ففرحت به وقلت : جاءك يا مهنا ما تتمن
أ !!

وانطلقت أتكلم عن غلاء المهور وتأثيره ع
لى الشباب والفتيات ..
ثم ذكرت إن رسول الله ما زوج بناته بـ
أكثر من خمسمائة درهم .. ثم رفعت صوتي
ي قائلاً : يعني بناتكم أحسن من بنات النب
ي ؟!!

فصرخ رجل مأسن من طرف الصف قائداً
لاً : إيش فيهم بناتنا ؟

فثار آخر وقال : يتكلم على بناتنا !!
ونهض الثالث جاثياً على ركبتيه وقال : أو
ووه تتكلم على بناتنا ؟!!
كنت في حال لا أحسد عليه .. وكنت في أوا
ئل طريق الدعوة .. وحديث التخرج من الـ
جامعة ..

بقيت ساكناً لم أنبس ببنت شفة .. نظرت إل
ى الأول لما تكلم وتبسمت .. فلما تكلم الثان

فكان حرياً بكل مبتلى أن يعرف هدايا الله إليه قبل
ل أن يعد مصائبه عليه .. فإن حرمك المال فقد أ
عطاك الصحة .. وإن حرمك منها .. فقد أعطاك ا
لعقل .. فإن فاتك .. فقد أعطاك الإسلام .. هنيئاً
لك أن تعيش عليه وتموت عليه ..
فقل بملء فمك الآن بأعلى صوتك : الحمد لله ..

وكذلك كان الصحابة الكرام ..

بعث رسول الله r عمرو بن العاص t جهة الش
ام .. في غزوة ذات السلاسل ..
فلما صار إلى هناك رأى كثرة عدوه ..
فبعث إلى رسول الله r يستمده ..

فبعث إليه r أبا عبيدة بن الجراح .. أميراً على
مدد .. فيه المهاجرون الأولون .. وفيهم أبو بكر
وعمر .. وقال r لأبي عبيدة حين وجهه : لا تختل
فا ..

فخرج أبو عبيدة ..

حتى إذا قدم على عمرو قال له عمرو : إنما جئ
ت مدداً لي ..

فقال له أبو عبيدة : لا ولكن على ما أنا عليه وأند
ت على ما أنت عليه ..

وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً .. هيناً عليه أ
مر الدنيا ..

فقال له عمرو : بل أنت مددي ..

فقال له أبو عبيدة : يا عمرو إن رسول الله r ..
قد قال لي :

لا تختلفا .. وإنك إن عصيتني أطعتك ..

فقال له عمرو : فإني أمير عليك .. وإنما أنت مدد
لي ..

قال : فدونك ..

فتقدم .. عمرو بن العاص t فصلى بالناس ..

وبعد الغزوة .. كان أول من وصل المدينة .. عو
ف بن مالك t ..

فمضى إلى رسول r ..

فلما رآه .. قال له r .. أخبرني ..

فأخبره عن الغزوة .. وما كان بين أبي عبيدة و
عمرو بن العاص ..

ي .. نظرت إليه أيضاً وتبسمت .. وكذلك الثالث
ث ..

كان بعض الشباب في آخر المسجد يتضحكون
ن .. وبعضهم قاموا وقوفاً ينظرون .. وكأني به
م يقولون : وقف حمار الشيخ في العقبة !!
لما رأوا هدوني .. هدؤوا .. ثم قام أحدهم وقال :
يا جماعة .. خلوا الشيخ يوضح قصده ..
فسكتوا .. فشكرت له عمله .. ثم اعتذرت وأثني
ت عليهم - وعلى بناتهم - ووضحت مرادي ..
عند تعاملك مع الناس .. أنت في الحقيقة تصنع
شخصيتك .. وتبني في عقولهم تصورات عنك ..
يبنون على أساسها أساليب تعاملهم معك .. واحت
رامهم لك ..

تأكد أن الأشجار الثابتة لا تقتلعها الرياح .. مهما
اشتدت .. وإنما النصر صبر ساعة ..
كلما زاد عقلك .. قل جهلك .. وإذا زاد قدرك .. قل
ل غضبك ..
كالبحر لا يحركه أي شيء .. ويا جبل ما تهزك
ريح ..!

بل إنك لو استشارك شخص ما .. في مجلس .. أو
بيت .. أو قناة فضائية .. أو محاضرة عامة ..
فإنك إذا بقيت هادئاً لم تغضب ولم تثر .. مال الذ
اس معك ضده ..

كان أبو سفيان بن حرب مقبلاً بقافلة تجارة من
الشام .. فخرج إليهم المسلمون لقتالهم ..
ففر أبو سفيان بالقافلة .. وأرسل إلى قريش فخر
جت بجيش عرمرم ..
ووقعت معركة بدر بين المسلمين وقريش .. واند
صر المسلمون ..
قتل من كفار قريش سبعون .. وأسّر منهم سبع
ون ..

رجع من تبقى من جيش قريش .. وهم جرحى ..
وجوعى ..
ثم وصل أبو سفيان بقافلته إلى مكة ..
فمشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي ج
هل وصفوان ابن أمية ..
في رجال من قريش ممن أصيب آبؤهم وأبنائهم
وإخوانهم يوم بدر ..
فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من

قريش تجارة ..

فقالوا : يا معشر قريش .. إن محمداً قد و
تركتم وقاتل خياركم .. فأعينونا بهذا المال ع
لى حربه لعلنا ندرك منه ثأراً .. ففعلوا ..
وقد قال الله فيهم : " إن الذين كفروا ينفقون
ن أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقون
ها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين
كفروا إلى جهنم يحشرون " .
فخرجت قريش .. بحدها وحديدها .. وجده
ا وأحابيشها ..

وخرج معها من تابعها من بني كنانة وأهل
تهامة .. وخرجوا معهم بالنساء لئلا يفر ال
رجال من القتال ..
فخرج أبو سفيان بزوجته هند بنت عتبة ..
وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته أم حكي
م بنت الحارث ..
وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد
بن المغيرة ..

فاقبل الكفار .. حتى نزلوا على شفير الواد
ي مقابل المدينة ..
فلما سمع بهم رسول الله r .. استشار أصد
حابه .. ما رأيكم ؟
نبقى في المدينة فإذا دخلوها علينا ..
فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرًا : نخر
ج يا رسول الله إليهم نقاتلهم بـ "أحد" ..
ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أ
هل بدر ..

فما زالوا برسول الله r حتى لبس أداة الحر
ب ..
ثم ندموا .. وقالوا : يا رسول الله أقم .. قال
رأي رأيك ..

فقال لهم : ما ينبغي لنبي أن يضع أدواته بع
د ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدو
ه ..

فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد
فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدرًا بقدو
م العدو عليهم ..
وقالوا : قد ساق الله علينا أمينتنا ..
ثم قال النبي r لأصحابه :

" من رجل يخرج بنا على القوم من كتب - أي م
ن قريب - من طريق لا يمر بنا عليهم " ؟
فقال رجل من بني حارثة بن الحارث اسمه أبو
خيثمة :

أنا يا رسول الله ..

فسلك به في أرض بني حارثة وبين أموالهم ومز
ارعهم ..
حتى سلك به في مال لرجل اسمه : مربع ابن قي
ظي ..

وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ..

فلما سمع حرس رسول الله r .. ومن معه من ال
مسلمين ..

قام يحثي في وجوههم التراب .. ويقول : إن كذ
ت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل في حائط
ي ..

ثم أخذ الخبيث حفنة من التراب في يده .. ثم قا
ل :

والله لو أعلم أنني لا أصيب بها غيرك يا محمد ل
ضربت بها وجهك ..

فابتدره القوم ..

فقال النبي :

" لا تقتلوه .. فهذا الأعمى .. أعمى القلب .. أع
مى البصر .. "

ومضى رسول الله r .. ولم يلتفت إلى ذلك المناف
ق ..

نعم ..

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً

لأصبح الصخر مثقالاً بدينا

ر

والكلاب تنبح .. والقافلة تسيب ..

قناعة ..

الرياح لا تحرك الجبال .. لكنها تلعب بالرمال ..
وتشكلها كما تشاء ..

50. لا تلغنه .. إنه يشرب خمراً !!..

أكثر الناس الذين نخالطهم مهما بلغ من السو

ء .. إلا أنه لا يخلو من خير وإن كان قليلاً ..

فلو استطعنا أن نعثر على مفتاح الخير لكان حس
ناً ..

اشتهر عن بعض المجرمين .. أنه كان يس
طو على بيوت الناس ويسرق أموالهم .. لي
نفق بعضها على ضعفاء وأيتام !! أو يبني
بها مساجد !!

أو كالتى ترى أيتاماً جوعى فتزني لتحصل
مالاً تسد به جوعهم ..

بنى مسجداً لله من غير حله **

فكان بحمد الله غير

موفق

كمطعمة الأيتام من كدّ عرضها ! **

لك الويل لا تزني ولا

تتصدقني

وكم من حامل سكين ليطعن بها .. فاستعطف
ه طفل أو امرأة فرق قلبه .. وألقى سكينه
عنه ..

إذن عامل الناس جميعاً بما تعلم فيهم من

خير .. قبل أن تسيء الظن بهم ..

محمد .. بلغ من خلقه أنه كان يلتمس ا

لمعاذير للمخطئين .. ويحسن الظن بالمذنب

ن .. وكان إذا قابل عاصياً ينظر فيه إلى ج

وانب الإيمان قبل جوانب الشهوة والعصيا

ن ..

ما كان يسيء الظن بأحد .. يعاملهم كأنهم أ

ولاده وإخوانه .. يحب لهم الخير كما يحبه

لنفسه ..

كان رجل في عهد النبي قد ابتلي بشر

ب الخمر ..

فأتى به يوماً إلى رسول الله فأمر به

فجلد ..

ثم مرت أيام .. فشرب خمراً .. فجيء به أ

خرى فجلد ..

ومرت أيام .. ثم جيء به قد شرب خمر

اً .. فجلد ..

فلما ولى خارجاً .. قال رجل من الصحاب

ة :

لعنه الله .. ما أكثر ما يؤتى به !!

فالتفت إليه .. وقد تغير وجهه فقال ل

ه : لا تلغنه .. فوالله ما علمت أنه يحب الله

٤ ..

قال له أحدهم : سلامات .. عسى ما شر !!
قال : لا .. هذه حبوب منومة .. منذ عشر
سنين لا أنام إلا بها ..
دعوا له .. وخرجوا ..

فمروا على حفريات وأعمال طرق عند مد
رج المدينة .. وقد وضع عندها أنوار تعمل
بمولد كهربائي قد ملأ الدنيا ضجيجاً ..
ليس هذا هو الغريب ..
الغريب أن حارس المولد هو عامل فقير قد
افترش قصاصات جرائد .. وناااام ..
نعم .. عش حياتك .. لا وقت فيها لـلهم ..
تعامل مع المعطيات التي بين يديك ..
خرج مع أصحابه في غزوة فقلّ طعام
هم .. وتعبوا ..
فأمرهم .. أن يجمعوا ما عندهم من طعا

م ..

وفرش رداءه .. وصار الرجل يأتي بالتمر
ة .. والتمرتين .. وكسرة الخبز .. وكلها ت
جتمع فوق هذا الرداء .. ثم أكلوا .. وهم م
ستمعون ..

لمحة ..

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ..
تجري الرياح بما لا ت
شتهي السفن

52. نختلف ونحن إخوان !

ذكر أن الشافعي رحمه الله تناظر يوماً مع
أحد العلماء حول مسألة فقهية عويصة ..
فاختلفا .. وطال الحوار .. حتى علت أصوا
تهما ..

ولم يستطع أحدهما أن يقنع صاحبه ..
وكان الرجل تغير وغضب .. ووجد في نفس
ه ..

فلما انتهى المجلس وتوجها للخروج .. النف
ت الشافعي إلى صاحبه .. وأخذ بيده وقا
ل :

ألا يصح أن نختلف ونبقى إخواناً !..

فن ..

قبل أن تبدأ في نزع شجرة الشر في الآخرين ..
ابحث عن شجرة الخير واسقها ..

51. إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون !!..

ما دمت ملزماً فاستمتع .. هكذا كنت أقول لشاب
أصيب بمرض السكر .. فكان يشرب الشاي من
غير سكر .. ويتأسف لحاله ..
كنت أقول له : هل إذا تأسفت وحزنت أثناء شرب
ك الشاي .. هل تنقلب المرارة حلاوة ..
قال : لا ..

قلت : ما دمت ملزماً .. فاستمتع ..
أعني لن تأتي الدنيا دائماً على ما نحب ..
وهذا يقع في حياتنا كثيراً ..
سيارتك قديمة .. مكيف لا يشتغل .. مراتب ممزقة
ة .. ولا تستطيع حالياً تغييرها .. ما الحل ؟
تقدمت للدراسة بالجامعة .. فقبلت في كلية لا تر
غب في الدراسة فيها .. حاولت تعديل الحال فلم
تستطع .. فاضطرت لمواصلة الدراسة .. وأكمل
ت سنتين وثلاث .. فما الحل ؟
تقدمت لوظيفة فلم تقبل .. وقبلت في أخرى .. و
بدأت دوامك فيها .. فما الحل ؟
خطبت فتاتاً فرفضت .. وتزوجت آخر .. ما الحل
؟

كثير من الناس يجعل الحل هو الاكتئاب الدائم ..
والتأفف من واقعه .. وكثرة التشكي إلى من عر
ف ومن لم يعرف ! وهذا لا يرد إليه رزقاً فات
ه .. ولا يعجل برزق لم يكتب له ..
إذن ما الحل ؟

العاقل فهو الذي يتكيف مع واقعه كيفما كان .. م
ادام لا يستطيع التغيير إلى الأحسن ..
أحد أصدقائي كان يشرف على بناء مسجد ..
فضاقت بهم النفقة .. فتوجهوا إلى أحد التجار للا
ستعانة به في إكمال البناء ..

فتح لهم الباب .. جلس معهم قليلاً .. وأعطاهم
ما تيسر .. ثم أخرج دواء من جيبه وجعل يتناول

وجلس بعض علماء الحديث يوماً .. عند الخليفة
ة ..

فتكلم رجل في المجلس بحديث ..

فاستغرب العالم منه .. وقال : ما هذا الحديث !!
من أين جئت به ؟ تكذب على رسول الله ؟

فقال الرجل : بل هذا حديث .. ثابت ..

قال العالم : لا .. هذا حديث لم نسمع به .. ولم ن
حفظه ..

وكان في المجلس وزير عاقل ..

فالتفت إلى العالم وقال بهدوء : يا شيخ .. هل ح
فظت جميع أحاديث النبي ..؟

قال : لا ..

قال : فهل حفظت نصفها ؟

قال : ربما ..

فقال : فاعتبر هذا الحديث من النصف الذي لم ت
حفظه ..

وانتهت المشكلة ..

كان الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك صا
حبين لا يفترقان ..

وكانا عالمين زاهدين ..

عنَّ لعبد الله بن المبارك فخرج للقتال والرباط ف
ي الثغور ..

وبقي الفضيل بن عياض في الحرم يصلي ويتعب
د ..

وفي يوم رق فيه القلب .. وأسبلت الدمعة ..

كتب الفضيل إلى ابن المبارك كتاباً يدعو فيه إل
ى المجيء والتعب في الحرم .. والاشتغال بالذكر
وقراءة القرآن ..

فلما قرأ ابن المبارك الكتاب ..

أخذ رقعة وكتب إلى الفضيل :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ***

لعلمت أنك في العبادة

تلعب

من كان يخضب خده بدموعه ***

فنجورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل ***

فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ***

رهج السنايك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا ***

قول صحيح صادق لا

يكذب

لا يستوي وغبار خيل الله في ***

أنف امريء ودخان

نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا ***

ليس الشهيد بميت لا

يكذب

ثم قال :

إن من عباد من فتح الله في الصيام .. فيص

وم ما لا يصومه غيره .. ومنهم من فتح ل

ه في قراءة القرآن .. ومنهم من فتح له ف

ي طلب العلم .. ومنهم من فتح في الجها

د .. ومنهم من فتح له في قيام الليل ..

وليس ما أنت عليه بأفضل مما أنا عليه ..

وما أنا عليه .. ليس بأفضل مما أنت علي

ه ..

وكلانا على خير ..

وهكذا كان منهج الصحابة ..

اجتمع الكفار وتألّبوا لحرب المسلمين في ا

لمدينة .. وجاؤوا في جيش لم تشهد العرب

مثله كثرة وعتاداً ..

فحفر المسلمون خندقاً لم يستطع الكفار أن

يتجاوزوه لدخول المدينة ..

فعسكر الكفار وراء الخندق ..

وكان في المدينة قبيلة بني قريظة .. وهم ي

هود يتربصون بالمؤمنين ..

فأقبلوا إلى الكفار يمدونهم .. ويعيثون في

المدينة فساداً ونهباً ..

وقد انشغل المسلمون عنهم بالرباط عند ال

خندق ..

ومضت الأيام عصيبة .. حتى أرسل الله عل

ى الكفار ريحاً وجنوداً .. من عنده فتمزق

جيشهم .. وانقلبوا خائبين .. يجرون أذيال

هزيمتهم في ظلمة الليل ..

فلما أصبح رسول الله r .. انصرف عن الذ

ندق راجعاً إلى المدينة ..

ووضع المسلمون السلاح .. ورجعوا إلى ب

فلان رزين .. فلان ثقيل .. فلان راكد ..
 وإذا أردنا مذمة شخص قلنا : فلان عجو
 ل .. فلان خفيف ..
 أما رسول الله فيقول : ما كان الرفق ف
 ي شيء إلا زانه .. وما نزع من شيء إلا
 شانه .. (66)
 هل تستطيع تحريك طن الحديد بأصبع ؟
 نعم : إذا أحضرت رافعة .. ثم ربطته برف
 ق .. وأحكمت ربطه ..
 ثم رفعته .. فإذا تعلق في الهواء .. حركه بـ
 أصغر أصابعك ..
 اتفق صديقان على أن يتقدما لرجل لخطبة
 ابنتيه .. كانت إحداها أكبر من الأخرى ..
 قال أحدهما للآخر : أنا آخذ الصغيرة .. وأند
 ت تأخذ الكبيرة ..
 فصاح صاحبه : لااااا .. بل أنت خذ الكبير
 ة .. وأنا آخذ الصغيرة ..
 فقال الأول : طيب .. أنت تأخذ الصغيرة ..
 وأنا آخذ التي أصغر منها ..
 قال : موافق !!!
 ولم يدرك أن صاحبه ما غير قراره .. سو
 ي أنه غير أسلوب الكلام برفق ..
 وفي الحديث : إذا أراد الله بأهل بيت خيراً
 أدخل عليهم الرفق .. وإذا أراد الله بأهل بي
 ت شراً .. نزع منهم الرفق .. (67)
 وفيه : إن الله رفيق يحب الرفق .. ويعطي
 على الرفق ما لا يعطي على العنف .. وما
 لا يعطي على ما سواه .. (68)
 الرفيق .. الهين اللين .. محبوب عند الننا
 س .. تطمئن إليه النفوس .. وتثق فيه ..
 خاصة إذا صاحب ذلك وزن للكلام .. وقدرة
 على التعامل الرائع ..
 من أشهر طلاب علماء الحنفية الإمام أبو ي
 وسف القاضي ..
 هو أشهر طلاب أبي حنيفة ..
 كان أبو يوسف في صغره فقيراً .. وكان أب

يوتهم ..
 ودخل رسول الله r بيته .. ووضع السلاح واغت
 سل ..
 فلما كانت الظهر .. جاءه جبريل ..
 فنادى رسول الله r .. من خارج البيت ..
 فقام رسول الله r فزعاً ..
 فقال له جبريل عليه السلام : أوقد وضعت السلا
 ح يا رسول الله ؟
 قال : نعم ..
 قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد .. و
 ما رجعت الآن إلا من طلب القوم .. طلبناهم حتى
 بلغنا حمراء الأسد ..
 إن الله يأمرك بالمشير إلى بني قريظة .. فإني عا
 مد إليهم فمززل بهم ..
 فأمر رسول الله r مؤذناً فأذن في الناس :
 " من كان سامعاً مطيعاً .. فلا يصلين العصر إلا
 في بني قريظة " ..
 فتسابق الناس إلى سلاحهم .. وسمعوا وأطاعوا
 ا .. ومضوا إلى ديار بني قريظة ..
 فدخل عليهم وقت العصر وهم في الطريق ..
 فقال بعضهم لا نصلي العصر إلا في بني قريظ
 ة ..
 وقال بعضهم : بل نصلي لم يرد منا ذلك .. يعني
 إنما أراد الإسراع إليهم ..
 فصلوا العصر وأكملوا مسيرهم ..
 وأخروا الآخرون .. حتى وصلوا بني قريظة .. ف
 صلوا ..
 فذكر ذلك للنبي r فلم يعنف واحداً من الفريقين
 ن ..
 فحاصرهم النبي r .. حتى نصره الله عليهم ..

وجهة نظر ..
 ليست الغاية أن نتفق .. لكن الغاية أن لا نختل
 ف ..

53. الرفق .. إلا زانه ..

يتكرر على ألسنتنا كثيراً عندما نعجب بشخص
 ما .. أن نصفه قائلين :

(66)

(67) رواه البخاري

(68) رواه البخاري

وه يمنعه من حضور درس أبي حنيفة .. ويأمره بالذهاب للسوق لتكسب ..

كان أبو حنيفة حريصاً عليه .. وإذا غاب عاتبه ..

فاشتمكى أبو يوسف يوماً إلى أبي حنيفة حاله مع والده .. فاستدعى أبو حنيفة والد أبي يوسف و سأله : كم يكسب الولد كل يوم ؟

قال : درهمان ..

قال : أنا أعطيك الدرهمين .. ودعه يطلب الع

م ..

فلازم أبو يوسف شيخه سنين ..

فلما بلغ أبو يوسف سن الشباب .. ونبغ على أقرانه .. أصابه مرض أقعده ..

فزاره أبو حنيفة .. وكان المرض شديداً متمكناً منه .. فلما رآه أبو حنيفة حزن .. وخاف عليه ألا يهلك ..

وخرج وهو يكلم نفسه قائلاً : آآه يا أبا يوسف

ف .. لقد كنت أرجوك للناس من بعدي !!

ومضى أبو حنيفة يجر خطاه حزينا إلى حلقتة و طلابه ..

ومضت يومان .. فشفي أبو يوسف .. واغتسل و

لبس ثيابه ليذهب لدرس شيخه ..

فسأله من حوله : إلى أين تذهب ؟

قال : إلى درس الشيخ ..

قالوا : إلى الآن تطلب العلم ؟ أنت قد اكتفيت .. أ

ما بلغك ما قال فيك الشيخ ؟

قال : وما قال ؟!

قالوا : قد قال : كنت أرجوك للناس من بعدي ..

أي أنك قد حصلت كل علم أبي حنيفة .. فلو مات

الشيخ اليوم جلست مكانه ..

فأعجب أبو يوسف بنفسه ..

ومضى إلى المسجد ورأى حلقة أبي حنيفة في نا

حية .. فجلس في الناحية الأخرى .. وبدأ يدرس

ويفتي ..

التفت أبو حنيفة إلى الحلقة الجديدة .. فسأل : ح

لقة من هذه ؟

قالوا : هذا أبو يوسف ..

قال : شُفي من مرضه ؟!

قالوا : نعم ..

قال : فلم لم يأت إلى درسنا ؟!

قالوا : حدثوه بما قلت .. فجلس يدرس الن

س واستغنى عنك ..

ففكر أبو حنيفة كيف يتعامل مع الموقف بر

فق .. وجعل يفكر ثم قال :

ياأبى أبو يوسف إلا أن نقشّر له العصا!!

ثم التفت إلى أحد طلابه الجالسين وقال :

يا فلان .. اذهب إلى الشيخ الجالس هنا

ك .. يعني أبا يوسف .. فقل له : يا شيخ ..

عندي مسألة ..

فسيفرح بك ويسألك عن مسألتك .. فما ج

س إلا ليسأل !!

فقل له : رجل دفع ثوباً له إلى خياط ليقص

ره .. فلما جاءه بعد أيام يريد ثوبه جحده ال

خياط .. وأنكر أنه أخذ منه ثوباً .. فذهب ا

لرجل إلى الشرطة فاشتكاها فأقبلوا واستخر

جوا الثوب من الدكان ..

والسؤال : هل يستحق الخياط أجرة تقصير

الثوب أم لا يستحق ؟

فإن أجابك وقال : يستحق .. فقل له : أخطأ

ت ..

وإن قال : لا يستحق .. فقل له : أخطأت ..

فرح الطالب بهذه المسألة المشككة .. ومض

ى على أبي يوسف وقال : يا شيخ .. مسأ

ة ..

قال : ما مسألتك ؟

قال : رجل دفع ثوباً إلى خياط ..

فأجاب أبو يوسف على الفور قائلاً : نعم ي

ستحق الأجرة .. ما دام أتم العمل ..

فقال السائل : أخطأت ..

فعجب أبو يوسف .. وتأمل في المسألة أكث

ر .. ثم قال : لا .. لا يستحق الأجرة ..

فقال السائل : أخطأت ..

فنظر أبو يوسف إليه .. ثم سأله : بالله من

أرسلك ..

فاشار إلى أبي حنيفة .. وقال : أرسلني ال

شيخ ..

فقام أبو يوسف من مجلسه .. ومضى حتى

وقف على حلقة أبي حنيفة وقال : يا ش

فقرأها عليه ..
فلاحظ النبي أن عمر معجب بما معه ..
وأن التلقي عن الديانات السابقة .. إن فُتح
المجال له .. اختلط ذلك بالقرآن .. والتبس
الأمر على الناس ..
وكيف يفعل عمر ذلك .. وينسخ .. ويكت
ب .. دون استئذان النبي !!
فغضب .. وقال : أمتهوكون فيها يا ابن
الخطاب ؟! أي شاكون في شريعتي ..
والذي نفسي بيده لقد جنتكم بها بيضاء نقية
.. لا تسألوهم عن شيء .. فيخبروكم به
حق فتكذبوا به .. أو بباطل فتصدقوا به ..
والذي نفسي بيده لو أن موسى حياً ما وسد
عنه إلا أن يتبعني .. (69)
والله يا معشر قريش لقد جنتكم بالذبح ..
في أوائل بعثة النبي .. كان يأتي ع
ند الكعبة وقريش في مجالسهم .. ويصل
ي .. ولا يلتفت إليهم ..
وكانوا يؤذونه بأنواع الأذى .. وهو صاب
ر ..
وفي يوم ..
اجتمع أشرفهم في الحجر .. فذكروا رسول
الله فقالوا :
ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل
قط .. سفة أحلامنا .. وشم آباءنا .. وع
ب ديننا .. وفرق جماعتنا .. وسب آلهتنا
.. وصرنا منه على أمر عظيم ..
فبينما هم في ذلك .. إذ طلع رسول الله
.. فأقبل يمشي حتى استلم الركن ..
ثم مر بهم طائفاً بالبيت ..
فغمزوه ببعض القول ..
فتغير وجه رسول الله .. ففرق بهم ..
وسكت عنهم .. ومضى ..
فلما مر بهم الثانية .. غمزوه بمثلها ..
فتغير وجهه أيضاً .. فسكت عنهم .. ومض
ى في طوافه ..
فمر بهم الثالثة .. فغمزوه بمثلها ..

استمتع بحياتك ..
فلم يلتفت أبو حنيفة إليه ..
فأقبل أبو يوسف حتى جثى على ركبتيه بين يدي
الشيخ .. وقال بكل أدب : يا شيخ .. مسألة ..
قال : ما مسألتك ؟
قال : تعرفها ..
قال : مسألة الخياط والثوب ؟
قال : نعم ..
قال : اذهب وأجب ز ألت شيخاً ..
قال : الشيخ أنت ..
فقال أبو حنيفة : ننظر في مقدار تقصير الخياط ل
لثوب .. فإن كان قصره على مقياس الرجل .. فم
عنى ذلك أنه قام بالعمل كاملاً .. ثم بدا له أن يج
حد الثوب .. فيكون قام بالعمل لأجل الرجل .. في
ستحق عليه الأجرة ..
وإن كان قصره على مقياس نفسه .. فمعنى ذلك أ
نه قام بالعمل لأجل نفسه .. فلا يستحق على ذلك
أجرة ..
فقبل أبو يوسف رأس أبي حنيفة .. ولازمه حتى
مات أبو حنيفة .. ثم قعد أبو يوسف للناس من ب
عده ..
فلو استعمل الزوجان الرفق مع بعضهما ..
وكذلك الأبوان ..
والمدرء .. والمدرسون ..
نستعمل الرفق دائماً .. في سواقة السيارة .. في
التدريس .. في البيع والشراء ..
وإن كان المرء قد يحتاج الشدة أحياناً .. حتى ف
ي النصح .. وهذا هو الحكمة في النصيحة .. وه
ي وضع الأمور في مواضعها ..
وقد كان غضبه دائماً — إن غضب — في الأمور
ر الدينية ..
فما غضب رسول الله لنفسه قط .. إلا أن تنت
هك حرمة من محارم الله ..
قابل عمر بن الخطاب يوماً رجلاً من اليهود
..
فأطلعه على كلام في التوراة .. فأعجبه .. فأمره
فنسخه له ..
ثم جاء عمر بهذه الصحيفة من التوراة إلى رسو
ل الله ..

فأرى أن الرفق لا يصلح مع أمثال هؤلاء .. فوق
ف عليهم وقال :

أستمعون يا معشر قريش !! أما والذي نفسي بيده
ده لقد جئتم بالذبح .. ووقف أمامهم ..
فلما سمع القوم هذا التهديد .. الذبح .. وهو الص
ادق الأمين ..

انتفضوا .. حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما عذ
ى رأسه طائر وقع .. حتى أن أشدهم عليه ليتلطف
ف معه .. وصاروا يقولون : انصرف أبا القاسم
راشدا .. فما كنت جهولاً ..
فانصرف رسول الله عنهم ..

نعم ..

إذا قيل : حلم ، قل : فللحلم موضع **
وحلم الفتى في غير موضع

ه جهل

وإن كان المتتبع لسيرة النبي r يجد أنه كان يغذ
ب الرفق دائماً ..

انتبه !! ليس الضعف والجبين .. وإنما الرفق ..
ومن مواقف الرفق :

أنه بعد وقعة بدر بشهر .. أراد أبو العاص زوج
زينب بنت النبي أن يرسلها إلى المدينة عند
أبيها ..

فبعث رسول الله r زيد بن حارثة .. ورجلاً من ا
لأنصار ..

فقال :كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصد
حباها فتأتاني بها ..
فخرجنا مكانهما ..

فأمرها أبو العاص بالتجهز .. فبدأت في جمع متا
عها ..

فبينما هي تتجهز .. لقيتها هند بنت عتبة .. زوجة
أبي سفيان ..

فقالت : يا ابنة محمد .. ألم يبلغني أنك تريدين ال
لحوق بأبيك ؟

قالت : ما أردت ذلك ..

فقالت : أي ابنة عم .. أن أردت أن تفعلني ..

فإن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفر
ك .. أو بمال تتبلغين به إلى أبيك ..

فإن عندي حاجتك فلا تضطني مني .. أي لا تخج
لي ..

فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال ..
قالت زينب : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتف
عل .. ولكني خفتها فأكرت أن أكون أريد ذ
لك ..

فلما أتمت جهازها .. قدّم إليها أخو زوجها
كنانة بن الربيع بعيراً ..
فركبته و أخذ قوسه و كنانته ..

ثم خرج بها نهاراً يقود بها و هي في هود
ج لها ..

فراها الناس .. و تحدث بذلك رجال من قري
ش .. كيف تخرج إليه ابنته وقد فعل بنا ما
فعل في بدر ..

فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذى طو
ى ..

وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسو

د .. فروعها بالرمح و هي في الهودج ..
فقيل : إنها كانت حاملاً ففزعت .. وطرده
ت ولدها ..

وأقبل الكفار يتسابقون إليها .. وعهم السلا
ح ..

وهي ليس معها إلا أخو زوجها كنانة ..
فلما رأى ذلك ..

وبرك على الأرض .. ثم نثر كنانته وصف
رماحه بين يديه .. ثم قال :

و الله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سه
ما .. وكان رامياً .. فتكركر الناس عنه وت
راجعوا ..

وأخذوا ينظرون إليه من بعيد .. لا هو يقدر
على الذهاب .. ولا هم يجترئون على الاقترا
ب منه ..

حتى بلغ أبا سفيان أن زينب خرجت إلى أبيه
ها ..

فأقبل في جلة جمع من قريش .. فلما رأى
كنانة قد تجهز بنبله .. ورأى القوم قد است
وفزوا لقتاله ..

صاح به وقال :

يا أيها الرجل .. كف عنا نبلك حتى نكلم
ك ..

فكف نبله .. فأقبل أبو سفيان حتى وقف ع

طالب عنده في الفصل .. كان خفيف الدم ..
لاحظ ثقل الدرس (والمدرس !!) فلطف الـ
جوّ بنكتة أطلقها .. فلم تتحرك تعابير وجه
المدرس وإنما قال : تستخف دمك ؟!
كنت أتمنى أن يكون تصرفه غير ذلك ..
دخل إلى البقالة .. فقال له العامل البسيط :
الحمد لله .. جاءتني رسالة من أهلي .. لم
يتفاعل ..

هلا سأل نفسه لماذا أخبره أصلاً .. ليشارك
ه فرحته ..

زار أحد زملائه .. فوضع له القهوة والشاي .. ثم دخل البيت وجاء بطفله الأول حديث الولادة .. قد لفه في مهاده .. ولو استطاع أن يلفه بجفون عينيه لفعل .. ثم وقف به بين يديه وقال : ما رأيك في هذا البطل ؟ فنظر إليه ببرود .. وقال .. ما شاء الله .. الله يخلي لك إياه .. ثم رفع فنجال الشاي ليشرب ..

كان المنتظر أن يتفاعل أكثر .. يأخذ الغلام
بين يديه .. يقبله .. يمدح جماله .. وصحت
ه ..

لكن صاحبنا كان (غيباً) ..
عندما تتعامل مع الناس .. قس الأمور بأه
ميتها عندهم .. لا عندك أنت ..

فكلمة "ممتاز" بالنسبة لولدك أغلى عنده
من شهادة الدكتوراه عند الدكتور ..

وهذا المولود عند صاحبك أغلى عنده من الدنيا .. كلما رآه ودَّ أن يشق قلبه ويسكنه فيه .. أفلا يستحق منك حبك لصاحبك أن تشاركه ولو بعض شعوره ..

أحياناً يكون بعض الناس متحمساً لشيء معين ..

لذلك تجد الذين لا يتفاعلون مع الناس يشتم
 كي أحدهم دائماً ..

لماذا أولادي لا يحبون (السوالف) مع
ي .. فنقول : لأنهم يحكون لك النكتة فلا تت
فاعل .. ويروون قصصهم في مدارسهم ..
وكانهم يكلمون جداراً ..
حتى ذكر لك شخص قصة .. أنت تعرفها ..

يه .. فقال :
إنك لم تصب .. خرجت بالمرأة على رؤوس النا
س علانية ..

وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا في بدر .. و ما دخل
علينا من محمد .. قتل أشرافنا .. ورمل نساءنا
..

فإذا رآك الناس .. وتسامعت القبائل .. أنك خرجت بابتته علانية .. على رؤوس الناس من بين أظهرنا ..

أن ذلك عن ذل أصابنا .. وأن ذلك ضعف منا و
وهن ..

ولعمري مالنا بحبسها من أبيها من حاجة .. وما لنا من ثأر عليها ..

ولكن ارجع بالمرأة .. حتى إذا هدأت الأصوات ..
وتحدث الناس أن قد رددناها ..

فسدُها سرّاً .. وأحقها بأبيها ..
فلما سمع كنانة ذلك .. اقتنع به .. وعاد بها ..

فأقامت ليالي في مكة ..
حتى إذا هدأت الأصوات .. خرج بها ليلة من الليل

الي .. فمشی بها ..
حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ..

فقدما بها ليلاً على رسول الله .. r

وحی ..

ما كان الفرق في شيء إلا زانه .. وما نزع من شيء إلا شانه ..

54. بين الحى .. والميت ..

هـ .. إخوانه .. حتى على أولاده ..

نعم .. كان ثَقِيل الدم ..
 طالما سمعهم مراراً يقولون : يا أخى ما عندك

مشاعر !!

لم يكن يتفاعل معهم أبداً ..

أتاه ولده يوماً فرحاً مستبشراً .. يلوّح بدفترا
واجب وقد وقع المدرس فيه كلمة " ممتاز " ..

لم يلتفت الأب إليه .. وإنما قال : طيب .. عاد
ى .. والله لو أنك جايب شهادة الدكتوراه !!

كان المنتظر غير ذلك ..

أكثرن عليه مطالبته بالنفقة .. فقال عمر :
يَا رَسُولَ اللَّهِ .. لَوْ رَأَيْتَنَا وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ .. نَغْلِبُ النِّسَاءَ ..
فكنا إذا سألت أحدا امرأته نفقةً قام إليها فوجأ عنقها ..
فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُ هُمْ نِسَاءُ هُمْ .. ففطق نساؤنا يتعلمن من نساءهم ..
فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ r .. ثم زاد عمر الكلام ..
فازداد تبسم النبي r ..
وتقرأ في أحاديث أنه تبسم حتى بدت نواجذ ..
وكان يتعامل مع أنواع من الناس لا يدرون التعامل الراقي .. ولا يتفاعلون معه ..
بل ينغلقون ويتعجلون ..
ومع ذلك كان يصبر عليهم ..
كان r يوماً نازلاً بموضع يقال له "الجع رانة" بين مكة والمدينة ..
ومعه بلال .. فجاءه r أعرابي يبدو أنه كان قد طلب من النبي حاجة فوعده بها ولم تتيسر بعد .. وكان الأعرابي مستعجلاً .. فقال :
يا محمد .. ألا تنجز لي ما وعدتني ؟
فقال له متلطفاً : أبشر ..
وهل هناك كلمة أرق منها !!
فقال الأعرابي بكل صلافة : قد أكثرت علي من أبشر !
فغضب النبي من عبارته .. لكنه كتم غيظه .. والتفت إلى أبي موسى وبلال وكانا جالسين بجانبه .. فقال :
رد البشرى فاقبلا أنتما ..
فاستبشرا ..
ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ..
ثم قال : اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا .. أي ببركة هذا الماء ..
فأخذوا القدح ففعلوا ..

فلا مانع من التفاعل معه ..
قال عبد الله ابن المبارك : والله إن الرجل ليحدثني بالحديث وأنا أعرفه من قبل أن تلده أمه فأسمعه منه .. وكأني أول مرة أسمع ..
ما أجمل هذه المهارة ..
قبيل معركة الخندق ..
عمل المسلمون في حفر الخندق حتى أحكموه ..
وكان من بينهم رجل اسمه جعيل .. فغيره النبي إلى عمرو ..
فكان الصحابة يشتغلون .. ويعملون .. ويرددون قائلين :
سماه من بعد جعيل عمراً ***
وكان للبائس يوماً ظهراً فكانوا إذا قالوا : عمروا .. قال معهم رسول الله r : عمروا ..
وإذا قالوا : ظهراً .. قال لهم : ظهراً ..
فيتحمسون أكثر .. ويشعرون أنه معهم .. والله لولا الله ما اهتدينا ..
ولما أقبل الليل عليهم اشتد البرد .. واستمروا يحفرون ..
فخرج عليهم رسول الله ..
فرأهم يحفرون بأيديهم راضين مستبشرين .. فلما رأوا رسول الله قالوا :
نحن الذين بايعوا محمداً *** على الجهاد ما بقي لنا أبدا
فقال مجيباً لهم :
اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة ..
ويستمر تفاعله معهم .. طوال الأيام .. فسمعهم وقد علاهم الغبار .. وهم يرددون :
والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
فكان يرفع صوته متفاعلاً معهم قائلاً : أبينا .. أبينا ..
وكان إذا مازحه أحد تفاعل معه .. وضحك و تبسم ..
دخل عليه عمر وهو r غضبان على نساءه .. لما

وكانت أم سلمة قريبة منهم .. جالسة وراء ستار .. فأرادت أن لا تفوتها البركة .. فنادت من وراء الستار : أفضلًا لكم .. أي أبقيا لها من ه ..

فأفضلًا لها منه طائفة .. (70) ..

إذن كان لطيف المعشر .. أنيس المجلس .. متحلاً .. لا يعمل قضية وخلافاً من كل شيء .. جلس يوماً مع عائشة ..

فأخذت تحدثه بأحاديث نساء .. وهو يتفاعل معها ..

وهي تفصل الكلام وتطيل .. وهو على كثرة مشاغله يستمع ويتفاعل ويعلق .. حتى قضت حديثها ..

فحدثته أنه جلست إحدى عشرة امرأة - في أيام الجاهلية - فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبأر أزواجهن شيئاً ..

فجعلن يتذاكرن أزواجهن بما فيهم ولا يكذب !! قالت الأولى :

زوجي لحم جمل غث على رأس جبل .. لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل ..

(تشبه زوجها بالجبل الوعر الذي وضعوا فوقه لحم جمل كبير غير جيد .. فلا يحرص أحد للوصول إليه لصعوبة الوصول إليه .. وهو لا يستحق التعب لأجله .. أي : لسوء خلقه .. وأنه يتكبر .. مع أنه ليس عنده ما يتكبر بسببه فهو بخيل فقير) ..

قالت الثانية :

زوجي لا أث خبره ..

إني أخاف أن لا أذره ..

إن أذكره أذكر عجره وبجره ..

(أي : زوجها كثير العيوب .. وتخشى إذا ذكرت ما فيه أن يبلغه ذلك فيطلقها .. وهي متعلقة به بسبب أولادها ..

لكنها لم تمدحه فإن له عَجَرٌ وبُجَرٌ !! والعجَر : أن تنفد العروق في الجسد حتى تصير منتفخة .. فتؤلم ..

والبُجَر انتفاخ عروق في البطن .. !!) قالت الثالثة :

زوجي العَشْدَق .. إن أنطق أطلق .. وإن أسكت أعلّق .. وهو على حد السنان المذلق ..

(أي : زوجها طويل قبيح .. سيء الخلق .. ولا يتسامح معها بل على مثل حد السيف !! فهي مهددة بالطلاق كل لحظة .. لا يحتمل كلامها .. ومتى اشتكت إليه شيئاً طلقها .. ولا يعاملها معاملة الأزواج .. فهي عنده كالمعلقة) ..

قالت الرابعة :

زوجي كـ لـيـل تـهـامـة ..

لا حرّ ولا قرّ ..

ولا مخافة ولا سامة ..

(ليل تهامة لا رياح فيه فيطيب لأهله .. فوصفت زوجها بجميل العشرة .. واعتدال الأخلاق .. فلا أذى عنده) ..

قالت الخامسة :

زوجي إن دخل فهد ..

وإن خرج أسد ..

ولا يسأل عما عهد ..

(أي : إذا دخل بيته صار كالفهد وهو الحيوان المعروف وهو كريم نشيط .. وغذا خرج من البيت وخالط الناس فهو أسد لشجاعته .. وهو أيضاً سمح لا يدقق في السؤال عن ما يأخذه أهله أو يصرفونه ..)

قالت السادسة :

زوجي إن أكل لفّ ..

وإن شرب اشتفّ ..

وإن اضطجع التفّ ..

ولا يؤلج الكفّ .. ليعلم البثّ ..

(أي : إن زوجها يكثر الأكل حتى يلفه لفاً فلا يبقى لهم شيئاً .. والشراف يشفّه شفاً .. يشربه كله .. وإذا نام التفّ بالحاف ولم يدع لزوجته شيئاً .. وإذا حزنت لم يرب كفه إليها أو يلاطفها ليعلم سبب حزنه) ..

قالت السابعة :

زوجي غيايأ أو عيايأ (أي غبي !!)

طباقاء (أحمق !)
كل داء له داء (جميع العيوب فيه !)
إن حدثته سبك .. (لا يقبل حديثاً ولا مؤانسة .
بل يسب ويلعن دوماً) ..
وإن مازحته : شجك (ضرب رأسك فجرد
ه !) ..
أو فلأك (ضرب الجلد فجرحه) ..
أو جمع كلاً لك .. (يضرب كل المواضع الرأس
والجسد !) ..
قالت الثامنة :
زوجي .. المس مس أرنب .. (أي ناعم رقي
ق) ..
والريح ريح زرنب .. (وهو نبات طيب الرائحة
ة) ..
وأنا اغلبه والناس يغلب .. (أي سهل معها ينص
اع لما تريد .. لكنه بطل يغلب الناس وشخصيته
أمامهم قوية) ..
قالت التاسعة :
زوجي رفيع النجاد .. (بيته واسع مفتوح للضي
وف) ..
عظيم الرماد .. (كثير إشعال النار استقبلاً للض
يوف وطبخاً لهم) ..
قريب البيت من الناد .. (المجلس الذي يجلس ف
يه مع أصحابه وهو النادي قريب من بيته لحرص
ه على أهله) ..
لا يشبع ليله يضاف .. (لا يأكل كثيراً عند النا
س) ..
ولا ينام ليلة يُخَاف .. (إذا كان هناك خطر باللي
ل من عدو أو غيره .. يظل مستيقظاً يحرس وي
راقب) ..
قالت العاشرة :
زوجي مالك ..
وما مالك ؟ ! ..
مالك خير من ذلك ..
له إبل كثيرات المبارك ..
قليلات المسارح ..
وإذا سمعن المزهري .. أيقنَّ أنهن هوالك ..
(زوجها اسمه مالك .. مهما وصفته لن تحيط بأ
وصافه الجميلة .. إبله دائماً قريبة منه وقل ما ت

سرح أي تذهب للرعي .. لتكون جاهة للح
ب منها ونحرها للضيوف .. وإذا سمعت أف
بل صوت المزهري السكين تُدَدُّ وتجهز ..
علمت أنه سيهلك بعضهن ذبحاً للضيوف
ف) ..
قالت الحادية عشرة :
زوجي أبو زرع ؟ ! (اسمه أبو زرع) ..
فما أبو زرع ..
أناس من حلي أذني .. (ألبسها الحلي والذ
هب) ..
وملاً من شحم عضدي .. (سمت عند
ه) ..
وبجحتني فبجحت إلى نفسي .. (مدحتني حت
ى أعجبت بنفسي) ..
وجدني في أهل غنيمة بشرق .. (كان أه
ها فقراء لا يملكون إلا غنيمات) ..
فجعلني في أهل سهيل وأطيط (نقلها إلى ب
يت فيه خيل وإبل) ..
ودائس ومنق (أي دواب كثيرة) ..
فعنده أقول فلا أقبح .. (تتكلم بما شئت و
لا ينتقد كلامها) ..
وأرقد فأتصبح .. (تشبع نوماً إلى الصبا
ح .. لكثرة الخدم) ..
وأشرب فأتفتح .. (جميع الأشربة عنده
أ .. تروى منها) ..
أم أبي زرع ؟ ! فما أم أبي زرع !!
عكومها رداح .. (سمينه جميلة) ..
وبيتها فساح .. (بيتها واسع) ..
ابن أبي زرع ؟ ! فما ابن أبي زرع !!
مضجعه كمثل شطبة .. (ينام نوماً رقيقاً
بأدب) ..
ويشبعه ذراع الجفرة .. (لا يأكل كثير
أ) ..
بنت أبي زرع ؟ ! فما بنت أبي زرع !!
طوع أبيها وطوع أمها ..
وملء كسائها .. (متسترة) ..
وغيظ جاراتها .. (تغار جاراتها من جمالها
ولذة عيشها) ..
جارية أبي زرع ؟ ! فما جارية أبي زرع !!

(الخادمة !!)

لا تبث حديثنا تبثيثاً .. (لا تنشر أسرار البديت) ..

ولا تنفث ميرتنا تنفيثاً .. (لا تبدد طعام البيت و تعبث به) ..

ولا تملأ بيتنا تعشيشاً .. (لا تهمل البيت فيمتلاً بالأوساخ) ..

ثم قالت :

خرج أبو زرع والأوطاب تمخض .. (خرج من بيته يوماً في وقت ربيع) ..

فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين .. (رأى ام رأة جالسة حولها طفلان جميلان قويا البنية) ..

يلعبان من تحت خصرها برمانتين .. (يلعبان بثدييها) ..

فطلقتي ونكحها .. (أعجبته .. فطلق أم زرع وتزوجها !!) ..

فنكحت بعده رجلاً سرياً .. (تزوجت ام زرع رجلاً كريماً) ..

ركب سرياً .. (ركب خيلاً سابقاً) .. وأخذ خطياً ..

وأراح علي نعماً ثرياً .. (أكرمها وأهداها لأنه ثري) ..

وأعطاني من كل رائحة زوجاً .. (أكثر لها من لأطياب ويعطيها اثنين من كل شيء لتستعمل وتهدى إن شأئت) ..

وقال : كلي أم زرع .. وميري أهلك .. (أهدى لأهلك وأعطيههم) ..

ثم قالت :

فلو جمعت كل شيء أعطانيه ..

ما بلغ أصغر آنية أبي زرع .. (لا يزال قلبها مع لقا بأبي زرع ..!! ما الحب إلا للحبيب الأول)

كان يستمع بكل غنصات إلى عائشة وهي تدثه .. ولم يظهر لها ضجراً ولا مللاً .. مع تعبها وكثرة مشاغله .. وتراكم همومه ..

حتى إذا انتهت عائشة من حديثها :

قال e : كنت لك كأبي زرع لأم زرع ..

إذن .. اتفقنا .. على أهمية إظهار اللطف والاهتمام بالناس ..

فإذا جاءك ولدك متزيناً بثوب جميل .. ما رأيك ي

أبي ؟ .. تفاعل ..

ابنتك .. زوجتك ..

زوجك .. ولدك .. زميلتك ..

كل من تخالطهم كن حياً متفاعلاً ..

أحياناً تكون ناسياً الموضوع .. قال لك -

مثلاً - : أبشرك الوالد شفي من مرضه ..

فلا تقل : أصلاً .. متى مرض !!!

أو : أخي خرج من السجن .. لا تقل : والله

ما دريت أصلاً أنه دخل السجن ..

وأخيراً .. يا جماعة ..

التشجيع والتفاعل ينفع حتى مع الحيوانا

ت ..

قال أبو بكر الرقي :

كنت بالبادية ..

فوافيت قبيلة من قبائل العرب .. فأضافني

رجل منهم وأدخلني خبائه ..

فرايت في الخباء عبداً أسود مقيداً بقيد ..

ورأيت جِمالاً قد ماتت بين يدي البيت ..

وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه يذ

زع روحه ..

فقال لي الغلام : أنت ضيف .. ولك حق ..

فتشفع في إلى مولاي .. فإنه مكرم لضيف

ه .. فلا يرد شفاعتك في هذا القدر .. فعسا

ه يحل القيد عني ..

فسكت عنه .. ولم أدر ما جرمه ..

فلما أحضروا الطعام .. امتنعت .. وقلت :

لا أكل .. ما لم أشفع في هذا العبد ..

فقال السيد : إن هذا العبد قد أفقرني .. وأه

لكَ جميع مالي ..

فقلت : ماذا فعل ؟!

فقال : إن له صوتاً طيباً .. وإني كنت أعي

ش من ظهور هذه الجمال .. فحملها أحما

لاً ثقلاً ..

وكان ينشد الأشعار ويحدو بها .. حتى قطع

ت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طي

ب نغمته ..

فلما حطت أحمالها .. ماتت كلها .. إلا هذا

الجمال الواحد ..

ولكن أنت ضيفي .. فلكرامتك قد وهبته ل

لو ما تتأخر عن مدرستك مرة أخرى .. أف
ضل ..

ما رأيك لو فعلت كذا .. أقترح عليك كذا وكذا ..

أحسن من قولك ..

يا قليل الأدب .. كم مرة قلت لك .. أنت ما تفهم .. إلى متى أعلمك !!؟

اجعله يحتفظ بماء وجهه .. ويشعر بقيمته حتى وهو مخطئ ..

لأن المقصود علاج أخطائه لا الانتقام منه وإهانته ..

يعني يا جماعة .. بالعبارة الصريحة : لا أحد يحب أن يتلقى الأوامر ..

أراد يوماً أن يوجه عبد الله بن عمر لتعبد بصلاة الليل ..

فما دعاه وقال : يا عبد الله قم الليل .. وإنما قدم النصيحة على شكل اقتراح .. وقا

ل : نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل ..

وفي رواية قال : يا عبد الله لا تكن مثل فلان .. كان يقوم الليل ..

بل إن استطعت أن تلفت نظره إلى الأخطاء من حيث لا يشعر فهو أولى ..

عطس رجل عند عبد الله بن المبارك .. فلم يقل الحمد لله .. فقال عبد الله : ماذا يقول لعاطس إذا عطس ؟ قال : الحمد لله .. فقا

ل : عبد الله : يرحمك الله .. وكان رسول الله ﷺ كذلك ..

كان إذا انصرف من صلاة العصر .. دخل على نسائه واحدة واحدة ..

فيدنو من إحداهن .. ويتحدث معها .. فدخل على زينب بمن جحش .. فوجد عنده

١ عسلاً .. وكان ﷺ يحب العسل والحلوى ..

٢ فاحتبس عندها أكثر ما كان يحتبس عند غيرها ..

فغارت عائشة وحفصة .. وتواصتا من دخل عليها تقول له :

أجد منك ريح مغاير .. وهو شراب حلوى ..

ك .. وأطلق الغلام من قيده .. فاشتقت إلى سماع هذا الصوت ..

فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقى الماء من بئر هناك .. لينشط الجمل للعمل ..

فانطلق الغلام بصوت حسن .. فلما رفع صوته .. سمعه الجمل فهام وهاج ونسي نفسه .. حتى قط

ع حباله .. ووقعت أنا على وجهي من حسن الصوت .. فما أظن أنني سمعت قط صوتاً أطيب منه .. (71)

طور نفسك بالتدريب ..
كن حياً لا ميتاً .. تفاعل بكلامك .. بتعبيرات وجهك .. حتى يأنس الآخرون بك ..

55. اجعل لسانك عذبا ..

لا تخلو حياتنا من مواقف نحتاج فيها إلى تقديم توجيهات ونصائح للآخرين ..

الولد .. الزوج .. الصديق .. الجار .. الأبوين .. تختلف نهايات النصائح .. باختلاف بداياتها ..

أعني : إن كانت البداية بأسلوب مناسب .. ومدخل لطيف ..

انتهت كذلك .. وإن كانت بأسلوب جاف .. ومدخل عنيف .. انتهت كذلك ..

عندما ننصح الناس .. فنحن في الواقع نتعامل مع قلوبهم .. لا أجسادهم ..

لذلك تجد بعض الأبناء يتقبل من أمه ولا يتقبل من أبيه .. أو العكس ..

والطلاب يتقبلون من مدرس .. دون الآخر .. وأول البراعة في النصيحة ..

أن لا تكثر منها وتدقق على كل صغير وكبير .. حتى لا يشعر الآخرون أنك مراقب لحركاتهم وسكناتهم .. فتثقل عليهم ..

ليس الغبي بسيد في قومه *** لكن سيد قومه الـ متغابي

وإن استطعت أن تقدم انصيحة على شكل اقتراح .. فافعل ..

لو قللت الملح في الطعام .. لكان أحسن .. لو تغير ملابسك بثياب أجمل ..

ة ..
 فإذا استيقظ صباحاً وذهب إلى عمله .. وا
 حتاج أن يحاسب في بقالة ونحوها .. لم يج
 د صرفاً ..
 فراقبها .. حتى فهم القضية ..
 فرجع إلى بيته يوماً .. وقد جعل في جيبه
 ضفدعاً ..
 ونزع ثوبه كالعادة .. واضطجع كهيئة النائم
 .. وأخذ يشخر .. وهو يراقب الثوب ..
 فأقبلت زوجته لتأخذ ما يتيسر .. كالعادة !!
 أقبلت إلى الثوب تمشي رويداً .. أدخلت يد
 ها بهدوء ..
 فلمست الضفدع .. فتحرك فجأة .. فصرخ
 ت : آآآه .. يدي ..
 ففتح الزوج عينيه .. وقال : وأنا .. آآه ..
 جيبى ..
 ليتنا نستعمل هذا الأسلوب .. مع جميع الناس
 س ..
 أولادنا إذا وقعوا في أخطاء .. ومع طلابنا
 ..
 نايف أحد الأصدقاء .. كان له أم صالحة ..
 لا ترضى أن يبقى في البيت صور أبداً .. لأ
 ن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صور
 ة ..
 كان عندها طفلة صغيرة .. عندها ألعاب مت
 نوعة .. إلا الدُمى .. العرائس ..
 أهدت إليها خالتها دُمى .. عروسة .. وقال
 ت لها : العبي بها في غرفتك .. واحذري أ
 ن تراها أمك ..
 وبعد يومين .. علمت الأم ..
 فأرادت أن تقدم النصيحة بأسلوب مناسب
 ب ..
 جلسوا على الطعام .. فقالت أم نايف : يا أ
 ولاد ..!! من يومين .. وأنا أشعر أن البيت
 ليس فيه ملائكة !! لا أدري لماذا خرجت ..
 لا حول ولا قوة إلا بالله ..
 والبنت الصغيرة تسمع وهي ساكنة ..
 وبعد الغداء رجعت الصغيرة إلى غرفتها ..
 فإذا بين يديها ألعاب كثيرة .. والعروسة م

شبه العسل .. ولكن له رائحة سيئة ..
 وكان r يشتد عليه أن يوجد منه الريح من بدنه
 أو فمه .. لأنه يناجي جبريل .. ويناجي الناس ..
 فلما دخل على حفصة .. سألتها ماذا أكل ؟
 فقال : شربت عسلاً عند زينب ..
 فقالت : إني أجد منك ريح مغاير ..
 فقال : لا بل شربت عسلاً .. ولن أعود له ..
 ثم قام ودخل على عائشة .. فقالت له عائشة مثل
 ذلك ..
 ومضت الأيام .. وكشف الله له القضية كلها ..
 وبعد أيام .. أسر إلى حفصة حديثاً .. فأظهر
 ته ..
 فدخل عليها يوماً .. وعندها الشفاء بنت عبد
 لله .. وكانت صحابية تتعلم الطب .. وتعالج الناس
 س ..
 فقال للشفاء : ألا تعلمين هذه رقية النملة كم
 علمتها الكتابة ..
 ورقية النملة كلام كانت نساء العرب تقولن .. يعذ
 م كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع ..
 ورقية النملة التي كانت تعرف بينهن أن يقال :
 العروس تحتفل .. وتختضب وتكتحل .. وكل شي
 ء تفتعل .. غير أن لا تعصي الرجل ..
 فأراد r بهذا المقال تأنيب حفصة والتأديب لها تع
 ريضاً .. بأن تردد جملة : غير أن لا تعصي الر
 جل ..
 أحد السلف استلف منه رجل كتاباً .. فرده إليه ب
 عد أيام وعليه آثار طعام .. كأنه حمل عليه خبزاً
 أو عنباً .. فسكت صاحب الكتاب ..
 وبعد أيام جاءه صاحبه يستعير منه كتاباً آخر ..
 فأعطاه الكتاب في طبق ..!!
 فقال الرجل : إنما أريد الكتاب .. فما بال الطبق
 ؟!
 فقال : الكتاب لتقرأ فيه .. والطبق لتحمل عليه ط
 عامك !!
 فأخذ الكتاب .. ومضى .. فقد وصلت الرسالة ..
 وأذكر أن أن أحدهم كان يعود إلى بيته ليلاً .. وي
 نزع ثوبه .. يعلقه على الشماعة .. وينام ..
 فتأتي زوجته .. وتفتح محفظة النقود .. ثم تأخذ
 الصنف الموجد .. من فئة الريال .. والخمس

وب وقت وقوع السياط .. ثم ما يلبث حتى ينساها ..

أما الجلاد الأستاذ في صنعه .. فقد لا يضر ب بقوة .. لكنه يعلم أن يوقع السوط .. كذلك الناصح .. ليست العبرة بكثرة الكلام .. ولا طول النصيحة ..

وإنما بأسلوب الناصح .. فاختصر قدر المستطاع .. إذا أردت أن تصحح فلا تلق عليه محاضرة !!

خاصة إذا كان الأمر متفقاً عليه .. كمن تصحح عن الغضب .. أو شرب الخمر .. أو ترك الصلاة .. أو عقوق الوالدين .. الخ .. تأملت النصائح النبوية الشخصية المباشرة .. فوجدتها لا تزيد الواحدة منها عن سطرا واحداً .. أو سطرين ..

اسمع : يا علي .. لا تتبع النظرة النظرة .. فإن لك الأولى وليست لك الثانية .. انتهى .. نصيحة باختصار ..

يا عبد الله بن عمر .. كن في الدنيا كأنك غريب .. أو عابر سبيل .. انتهى ..

يا معاذ .. والله إنني أحبك .. فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك .. وشكرك .. وحسن عبادتك .. يا عمر .. إنك رجل قوي .. فلا تزاحمن عند الحجر ..

وكذلك كان العقلاء بعده .. لقي أبو هريرة الفرزدق الشاعر فقال : يا ابن أخي إنني أرى قدميك صغيرتين .. ولن نعدم لهما موضعاً في الجنة .. يعني فاعمل لها .. ودع عنك قذف لمحصنات في شعرك ..

وعمر .. كان على فراش الموت .. فجعلوا الناس يثنون عليه ..

وجاء شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين بشري الله لك من صحبة رسول الله .. وقدم في الإسلام ما قد علمت .. ثم وكّيت فعدلت .. ثم شهادة .. فقال عمر : وددت أن ذلك كفاف لا علي و

ن بينها .. فالتقطتها .. وجاءت بها إلى الأم و قال : ماما .. هذه التي طردت الملائكة .. افعل بها ما شئت !!

يعني دع المنصوح يحتفظ بماء وجهه .. ويمكن أن تأكل العسل من غير أن تحطم الخلية .. لا تنصحه كأنه قد كفر بفعله ..

بل وأحسن الظن به .. واعتبر أنه وقع في الخطأ من غير قصد .. أو من غير أن يعلم .. كانت الخمر في أول الإسلام لم تحرم بعد .. وفي يوم أقبل عامر بن ربيعة .. الصحابي الجليل

ل .. من سفر .. فأهدى لرسول الله r راوية خمر .. جرة كاملة مملوءة خمرًا ..

نظر النبي إلى الخمر مستغرباً .. والتفت إلى عامر بن ربيعة .. وقال : أما علمت أنها قد حرمت ..؟

قال : حرمت ؟! لا .. ما علمت يا رسول الله .. قال : فإنها قد حرمت ..

فحملها عامر .. فأسرها إليه بعضهم بأن يبيعهها .. فسمعه النبي فقال : لا .. إن الله إذا حرم شيئاً

أ .. حرم ثمنه .. فأخذها فأهراقها على التراب .. (72)

وانتبه أن تمدح نفسك وأنت تنصح .. فترفع نفسك وتسحب المنصوح إلى القاع .. لا أحد يرضى بذلك ..

بعض الآباء - مثلاً - .. إذا نصح ولده بدأ يذكر أمجداه .. أنا كنت وكنت .. ولعل الولد يعلم تاريخ والده !!

باختصار ..
الكلمة الطيبة .. صدقة ..

56. اختصر .. ولا تجادل ..

يقولون : إن الناصح كالجلاد ..

وبقدر مهارة الجلاد في الجلد .. يبقى الألم ..

أقول : مهارة الجلد .. لا قوة الجلد !!

فالجلاد العنيف الذي يضرب بقوة .. يتألم المضر

ولا تغلق عليه الأبواب بل أبقها مفتوحة أم
 امه وأنت تنصح ..
 وحتى لو تكلم بكلام خاطئ .. فيمكن أن تعا
 لج خطأ من حيث لا يشعر ..
 كأن تقول : صحيح .. وأنا معك أن الإنسان
 يفقد أعصابه غضباً عنه ..
 وأثن عليه .. ثم قل : ولكن .. ثم انسف كلا
 مه إن كان خاطئاً ..

لا لي ..
 فلما أدبر الشاب .. فإذا إزاره يمس الأرض .. م
 سبل ..
 فأراد عمر أن يقدم النصيحة للشاب ..
 فقال : ردوا علي الغلام ..
 فلما وقف الشاب بين يديه .. قال : يا بن أخي ..
 ارفع ثوبك .. فإنه أنقى لثوبك .. وأتقى لربك
 .. (73)

انتهى .. باختصار .. الرسالة وصلت ..
 واترك الجدل قدر المستطاع ..
 خاصة إذا شعرت أن الذي أمامك يكابر .. فالمق
 صود إيصال النصيحة إليه ..
 وقد ذم الله الجدل : (ما ضربوه لك إلا جد
 لا) ..

وقال : ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه .. إ
 لا أوتوا الجدل ..
 وقال : أنا زعيم لبیت في ربض الجنة لمن ترك ا
 لجدال وإن كان محقاً ..
 أحياناً يقتنع الشخص بالفكرة .. لكن أكثر النفو
 س فيها أنفة وكبر ..
 (وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلو
 ا) ..

فالغاية عندك أنت أصلاً أن يعرف الخطأ ليتجنبه
 في المرة القادمة .. وليس الغاية أن تنتصر أنت
 عليه .. فلستما في حلبة مصارعة ..
 دخل النبي علي علي وفاطمة .. ليلاً ..
 فقال لهما : ألا تصليان .. أي ألا تقوما الليل ..
 فقال علي : أنفسنا بيد الله .. متى شاء أن يبعث
 ا .. بعثنا ..
 فولاهما النبي ظهره .. ومضى وهو يضرب
 بيده على فخذه ويقول : وكان الإنسان أكثر شي
 ء جدلاً .. (74)

وأحياناً قد يذكر المنصوح .. كلاماً يعتذر به ..
 وهو ليس عذراً مقنعاً لكنه يقوله .. ليحفظ ماء
 وجهه ..
 فكن سمحاً ..

(73) البخاري

(74)

تجربة ..
قال أحد السلف : من جعل دينه عرضة للخ
صومات .. أكثر التنقل !!

58. ابتسم .. ثم ابتسم .. ثم ابتسم .. ثم ابتسم .. ثم أبت ..
أعرفه منذ سنين .. فهو أحد زملائي في ع
ملي .. على كل حال ..
لكن هل تصدق أنني إلى الآن لا أدري هل ن
بتت له أسنان أم لا !!
دائم التجهم .. والعبوس .. وكأنه إذا ابتسم
نقص عمره .. أو قلّ ماله !!
قال جرير بن عبد الله البجلي : ما رأي ر
سول الله إلا تبسم في وجهي ..
الابتسامة أنواع .. ومراتب ..
فمنها البشاشة الدائمة .. أن يكون وجهك
صبوحاً مبتهجا دائماً ..
فلو كنت مدرساً ودخلت الفصل على طلاب
ك .. فالفهم بوجه بشوش ..
ركبت طائرة .. ومشيت في الممر والناس ي
نظرون إليك .. كن بشوشاً ..
دخلت بقالة .. أو محطة وقود .. مددت له ا
لحساب .. ابتسم ..
في المجلس .. ودخل شخص وسلم بصوت
عال .. ومر بنظره على الجالسين .. ابتس
م ..
دخلت على مجموعة .. وصافحتهم .. ابتس
م ..
وعموماً : الابتسامة لها من التأثير الكبير
في امتصاص الغضب والشك والتردد .. ما
لا يشاركها غيرها ..
البطل هو الذي يستطيع التغلب على عواطف
ه .. والتبسم ..
كان أنس بن مالك يمشي مع النبي ﷺ
وماً .. والنبي عليه بُرد نجراني غليظ
الحاشية ..
فلحقهما أعرابي ..
أقبل هذا الأعرابي يجري وراء النبي ﷺ
ريد أن يلحق به .. حتى إذا اقترب منه ..

ثم مشياً .. وجحا يشعر بنوع من الزهو ..
فمرا يقوم آخريين .. فقال أحدهم : انظروا إلى هذ
الابن العاق .. يركب ويدع أباه يمشي في الشم
س ..
سمعهم جحا ..
فأوق الحمار .. ثم ركب مع ولده .. ليتقوا كلام ال
ناس وانتقاداتهم ..
فمرا يقوم .. فقالوا : انظروا إلى هذين الغليظي
ن .. لا يرحمون الحيوان ..
فنزل جحا .. وقال : يا ولدي .. انزل ..
فنزل الولد وجعل يمشي بجانب أبيه .. والحمار ل
يس فوقه أحد ..
فمرا يقوم .. فقالوا : انظروا إلى هذين السفهيد
ن .. يمشيان والحمار فارغ .. وهل خلق الحمار
إلا ليُركب ..
فصرخ جحا وجرّ ولده معه .. ودخلا تحت الحما
ر .. وحمله !!
ولو رأيت جحا وقتها لقلت له : يا حبيب القلب ..
افعل ما تشاء .. ولا تبال بكلام الخلق .. فرضا ال
ناس غاية لا تدرك ..
ومن الذي ينجو من الناس سالماً
ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر ..
بعض الناس .. لا يفكر في رأيه قبل أن يطرد
ه ..
يأتيك بعدما تتزوج .. ويقول .. ليش تخطب فلان
ة ؟
وكأنني بك .. تتمنى أن تصرخ في وجهه وتقول :
يا أخي تزوجت .. خلاص .. انتهى الموضوع ..
ما أحد طلب منك اقتراحات ..
أو يأتيك وقد بعت سيارتك .. فيقول .. ليتك أخبر
تني .. فلان كان سيعطيك أكثر ..
يا أخي .. بس !! الرجال باع سيارته .. خلاص
وانتهى .. لا تشغله بالالتفات وراءه !!
وعموماً ..
ليس يخلو المرء من ضد ولو **
طلب العزلة في رأس جب
ل ..!!
فلا تعذب نفسك ..

جذبته بردائه جبذة شديدة .. فتحرك الرداء بعنف
على رقبة النبي r ..

قال أنس : حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله r .. قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ..

فماذا يريد هذا الرجل ؟! لعل بيته يحترق وأقبل يريد معونة .. أو أحاطت بهم غارة من المشركين ..

اسمع ماذا يريد .. قال : يا محمد .. (لاحظ لم يقل : يا رسول الله) ..

قال : يا محمد .. مر لي من مال الله الذي عندك .. فالتفت رسول الله r .. ثم ضحك .. ثم أمر له بعطاء ..

نعم .. كان r بطلاً لا تستفزه مثل هذه التصرفات .. ولا يعاقب أو تثور أعصابه على التافها ..

كان واسع البطنان .. قوياً يضبط أعصابه .. دائم الابتسامة حتى في أحلك الظروف .. يفكر في عواقب الأمور قبل أن يفعلها ..

وماذ يفيد لو أنه صرخ بالرجل أو طرده ! هل سيشفى جرح عنقه ! أو يصلح أدب الرجل ! كلا ..

إذن ليس مثل الصبر والتحمل .. نعم بعض الأمور تثور لها وغضب .. وعلاجها شيء آخر تماماً ..

وصدق لما قال : ليس الشديد بالصرعة .. إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ..

كان النبي الكريم .. يجذب الناس بالتبسم واللباشاة ..

خرجوا إلى غزوة خيبر .. وفي أثناء القتال .. وقع من حصن اليهود جراب فيه شحم .. قربة كالملة مملوءة سمناً ..

حملة عبد الله بن مغفل على عاتقه فرحاً ومضى به إلى رحله وأصحابه ..

فلقيه الرجل المسئول عن جمع الغنائم وترتيبها .. فاجذب الجراب إليه .. وقال :

هات هذا نقسمه بين المسلمين .. فتعلق به عبد الله : لا والله .. لا أعطيك .. أنا أ

صبته ..

قال : بلى .. وجعلاً يتجاذبا الجراب ..

فمر بهما رسول الله r .. فراهما .. وهما يتجاذبان الجراب ..

فتبسم r ضاحكاً .. ثم قال لصاحب المغارة :

م :

لا أبالك .. خل بينه وبينه ..

فتركه .. فانطلق به عبد الله إلى رحله وأصحابه .. فأكلوه ..

وأخيراً .. تبسمك في وجه أخيك صدقة ..

قال لي :

فلان سحرني بأخلاقه .. حتى تعلقت به نفسي ..

سي .. قلت : لم ؟! قال : دائماً بشوش ..

وما رأيي إلا تبسم !!

59. الخطوط الحمر ..

كان من طلابي في الجامعة ..

كان واسع الثقافة .. حريصاً على تكوين علاقات مع الناس .. لكنه كان ثقیل الدم عليه ..

هم ..

جاءني يوماً .. وقال :

يا دكتور .. زملائي يغضبون مني دائماً ..

لا يتحملون مزحي ..

قلت في نفسي : أنا لا أحتملك ساكتاً .. فكيف أف أحتملك متكلماً ؟! خاصة إذا كنت تستخف دمك وتمزح ..!

سألته : لماذا لا يحتملون مزحك ؟! أعطني مثلاً ..

قال : عطس أحدهم فقلت : الله يلعنك .. (ثم سكتم) .. فلما غضب .. أكملت قائلاً : يا إبليس .. ويرحمك يا فلان !!

مسكين كان يظن نفسه بذلك .. خفيف الدم ..

م !!

الناس مهما قبلوا مزاحك ومداعباتك .. إلا أنه تبقى هناك خطوط حمراء لا يحبون أن تتعداها ..

خاصة إذا كان ذلك أمام الآخرين ..

بعض الناس لا يراعي ذلك ..

فتجد أنه يعتدي على حاجاتهم ..

فمثلاً من باب (الميانة) يأخذ هاتفك الجوال ويتصل به كما يريد .. أو ربما أرسل رسائل إلى أشخاص أنت لا ترغب أن يظهر رقم هاتفك عنده

ورموه بالنبل من كل جهة .. حتى وقع صريعاً t .. فاقبل إليه أبناء عمه .. وهو ينازع الموت ..

م .. أو يأخذ سيارتك بغير إذنك .. أو يخرجك بطلبها حتى تأذن على مضض .. أو تجد مجموعة طلاب في يسكنون في شقة واحدة .. يستيقظ أحدهم ليذهب إلى جامعته .. فيجد أن معطفه لبسه فلان .. وحذاءه في رجل فلان .. ومن تعدي الخطوط الحمراء أنك .. تجد بعض الناس يخرج صاحبه بمزحة ثقيلة أو سؤال محرج في مجلس عام ..

وقال : يا عروة : ما ترى في دمك ؟ فقال : كرامة أكرمني الله بها .. وشهادة ساقها الله إلي .. فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله r .. فلا تقتتلوا لأجلي .. ولا تأخذوا بثأري من أحد .. فقيل إن النبي .. لما بلغه خبر مقتله .. قال فيه : إن مثله في قومه .. كمثل صاحب ياسين في قومه ..

والشخص مهما بلغ من المحبة لك .. إلا أنه يبقى بشراً يرضى ويغضب .. ويفرح ويسخط .. لما أقبل رسول الله r إلى المدينة راجعاً من تبوك ..

فانتبه ! الناس لهم أحاسيس مهما بلغت في القرب منهم .. وإن كانوا في منزلة الأخ والولد .. لذا نبه النبي على ذلك .. فنهى عن ترويع المؤمنين ..

قدم عليه في ذلك الشهر عروة بن مسعود الثقفي .. وكان سيداً جليلاً القدر .. رفيع المكانة عند قومه ثقيف .. فأدرك النبي قبل أن يصل إلى المدينة .. فأسل

كان يوماً يسير مع أصحابه .. وكان كل واحد منهم معه متاعه .. سلاحه .. فراشه .. طعامه ..

م .. وسأله أن يرجع إلى قومه فيدعوهم إلى الإسلام ..

نزّلوا منزلاً .. فنام رجل منهم .. فاقبل صاحبه إلى حبل معه فأخذه .. مازحاً ..

م .. فخاف عليه .. وقال له : إنهم قاتلونك .. وعرف r أن قبيلة ثقيف فيهم نخوة الامتناع .. والصرامة في التعامل .. حتى لو كان مع رئيسه

فاستيقظ الرجل .. فوجد متاعه ناقصاً .. ففزع .. وأخذ يبحث عن حبله .. فقال : لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً (75)

م .. فقال عروة : يا رسول الله .. أنا أحب إليهم من أباكرهم .. وأبصارهم .. وكان محبباً مطاعاً فيهم .. فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه .. لعظم منزلته فيهم ..

وفي يوم آخر .. كانوا يسيرون مع النبي في مسير .. فنفس رجل وهو على راحلته .. فغافله صاحبه وانتزع سهماً من كنانته .. فشعر الرجل بمن يعبث بسلاحه .. فانتبه فزاعاً مذعوراً .. فقال : لا يحل لرجل أن يروع مسلماً (76)

م .. فلما وصل إلى ديار قومه .. رقى على مرتفع و صاح بهم حتى اجتمعوا .. وهو سيدهم .. فدعاهم إلى الإسلام .. وأظهر لهم أنه أسلم .. وجعل يردد : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .. فلما سمعوا منه ذلك .. صاحوا .. وثاروا أن يتركوهم ..

(75) رواه أبو داود
(76) رواه الطبراني وغيره

أنه قبل معركة بدر ..
لما سمع النبي .. بقافلة قريش مقبلة و
أراد قتالها ..
خرج r إليها مع أصحابه .. فلما شعر بهم أ
بو سفيان .. استأجر رجلاً اسمه ضمضم ب
ن عمرو الغفاري .. وقال اذهب وأخبر قري
شاً بالخبر ..

فمضى ضمضم .. مسرعاً إلى مكة .. كان
وصوله مكة يحتاج أن يسير أياماً ..
وأهل مكة لا يدرون عن شيء من ذلك ..
وفي ليلة من الليالي رأت عاتكة بنت عبد ال
مطلب .. رؤيا أفرعتها .. فلما أصبحت بعث
ت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب .. فقا
لت له :

يا أخي .. والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفضعتني
ي .. وتخوفت أن يدخل على قومك منها ش
ر ومصيبة .. فاكتم عليّ ما أحدثك .. ولا ت
حدث به أحداً ..

قال لها : نعم .. وما رأيت ؟
قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير .. حتى
وقف بوادي "الأبطح" .. ثم صرخ بأعلى
صوته : ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعك
م في ثلاث !

فأرى الناس قد اجتمعوا إليه .. ثم مضى فد
خل المسجد والناس يتبعونه ..

فبينما هم حوله .. إذ صعد به بعيره فوق ال
كعبة .. ثم صرخ بمثلها : انفروا يا آل غدر
إلى مصارعكم في ثلاث ..

ثم صعد به بعيره على رأس جبل أبي قبي
س .. فصرخ بمثلها :

انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلا
ث ..

ثم أخذ صخرة فقذفها من أعلى الجبل .. فأق
بلت تهوي من فوق الجبل .. حتى إذا كانت
بأسفل الجبل تكسرت ..

فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخلته كسرة
من الصخرة .. فاضطرب العباس وقال : وا
للّٰه إن هذه لرؤيا !

ثم خشي أن تنتشر فيصبيه أذى .. فقال لها

ومثله الذي يمزح فيراك أوقفت سيارتك عند بقال
ة - مثلاً - وهي تشتغل فيأتي ويقودها .. ويوه
مك أنها سرقت .. مازحاً ..

قد يجاملك صاحبك ويضحك أحياناً على مزحة م
روعة .. لكنه متألم ..

ولربما صبر الحليم على الأذى
وفؤاده من حره يتأوه

ولربما شكل الحليم لسانه
حذر الكلام وإنه لمفوه

وجهة نظر ..
كل ما زاد عن حده .. انقلب ضده .. وكم مزحة ا
نتهت شجاراً !!

60. حفظ السر ..
اشتهر قديماً : كل سرّ جاوز الإثنين .. شاع ..
ومن اللطائف أن أحدهم سئل : من الإثنين ؟ فأش
ار إلى شفّتيه .. وقال : هذان !!

لا أذكر أنني همست في أذن أحد من الناس بس
ر .. واستأمنت إياه .. ثم فاجأني قائلاً : يا محم
د .. اسمح لي لا أستطيع أن أكتمه ..

بل كل شخص يضرب بيده صدره .. ويقول : وا
للّٰه لو وضعوا الشمس في يميني .. والقمر في ش
مالي .. أو السيف على رقبتني .. على أن أخبر ب
سرك .. ما أخبرت !!

ثم إذا اطمأنتت ووثقت .. وكشفت له أسرارك ..
تصبر شهرين أو ثلاثة .. ثم حدث به .. فلا يزال
يُتناقل حتى يصلك ..

فوجدت أن سرك لا ينبغي أن يجاوز شفّتيك .. ف
لا تكلف الناس ما لا يطيقون ..

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذي يستودع السر أ

ضيق
جربت كثيراً من الناس .. فوجدتهم كذلك ..
والمشكلة أنك تأتيهم على سبيل الاستشارة .. في
شيرون عليك .. ثم يفضحون سرك ..
فيسقطون من عينك .. ويصبحون من أبغض النا
س إليك ..

ومن أعجب ما في التاريخ ..

فاحتفى العباس .. وثار .. وقال : والله .. لئن عاد أبو جهل إلى مثل كلامه .. لأفعلن وأفعلن ..
فلما كان اليوم الثالث .. من رؤيا عاتكة .. ذهب العباس إلى المسجد .. وهو مغضب ..
ب ..

فلما دخل المسجد رأى أبا جهل .. فمشى نحوه ..
فما يتعرض له ليعود لبعض ما قال فيقع به ..
ه ..

فإذا بأبي جهل يخرج من باب المسجد يشند مسرعاً ..
فعبج العباس من سرعته ..!! فقد كان مسرعاً ..
تعداً لخصومة وعراك .. فقال العباس في نفسه : ماله لعنه الله ؟! أكل هذا خوفٌ مني أن أشاتمته ؟!

وإذا أبو جهل قد سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري الذي أرسله أبو سفيان ليستعين به ..
ين بأهل مكة ..

وإذا ضمضم يصرخ في الوادي واقفاً على بعيره ..
قد جدد أنف بعيره .. والدم يسيل على وجهه البعير ..

وقد شق ضمضم قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة .. اللطيمة ..
أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها ..
ثم صاح بأعلى صوته : الغوث .. الغوث .. عندها تجهزت قريش وخرجت .. وكان من أمرها في معركة بدر ما كان ..
فتأمل كيف انتشر السر في لحظة عين .. مع قوة الحرص وشدة الاستئمان ..!!
ومن نشر السر أيضاً ..
أن عمر لما أسلم .. أراد أن ينشر الخبر ..

فأقبل إلى رجل منهم .. هو أعظمهم نشرًا للإشاعة ..
فقال : يا فلان .. إني محدثك بسر .. فاكتم عني ..!
قال : ما سرّك ؟

محذراً : وأنت فاكتمها لا تذكرها لأحد ..
ثم خرج العباس منشغل البال بأمر هذه الرؤيا .. فلقي الوليد بن عتبة وسط الطريق .. وكان له صديقاً ..
فحدثه بالرؤيا .. وقال له : اكتمها .. فلا تخبر بها أحداً ..

فمضى الوليد ..
فلقي ابنه عتبة فحدثه بها ..
ثم لم يمض سويغات ..
حتى حدث بها عتبة .. ثم تناقلها الناس .. وفشا الحديث بها في أهل مكة .. حتى تحدثت بها قريش في مجالسها ..

وفي الضحى ذهب العباس ليطوف بالكعبة .. فإذا أبو جهل جالس في رهط من قريش .. في ظل الكعبة .. يتحدثون برؤيا عاتكة !!
فلما رأى أبو جهل العباس قال :
يا أبا الفضل .. إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ..

فلما أقبل إليه العباس وجلس معهم .. قال له أبو جهل : يا بني عبد المطلب .. متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟
قال : وما ذاك ؟

قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة .. قال العباس : وما رأت ؟
قال : يا بني عبد المطلب .. أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟
قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث .. فسننتظر بكم ثلاثة أيام ..

فإن يك حقاً ما تقول .. فسيكون .. وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت العرب .. فاضطرب العباس .. وما رد عليه شيئاً .. وجدد الرؤيا .. وأنكر أن تكون رأت شيئاً ..
ثم تفرقوا ..

فلما أقبل العباس إلى بيته .. لم تبق امرأة من بني عبد المطلب .. إلا جاءت إليه غاضبة .. تقول : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم .. ثم قد تناول النساء وأنت تسمع .. أما فيكم حمية ..

قالوا ..
من عرف سر ك أسرك ..

قال : أشعرت أني قد أسلمت .. فانتبه .. لا تخبر أحداً ..

ثم تولى عنه عمر ..

فما كاد يغيب عنه .. حتى جعل الرجل يطوف بالذاس ويردد : أعلمت أن عمر أسلم ..!! أعلمت أن عمر أسلم ..!!

عجباً !! وكالة أنباء متنقلة ..

وفي يوم من الأيام بعث النبي أنساً في حاجة ..

فمرّ بأمه .. فسألته .. إلى ماذا أرسلك النبي ؟

فقال : والله .. ما كنت لأفشي سرّ رسول الله .. r

هكذا كان أنس وهو صغير .. في شدة حفظه للسّر ..

وأنى لك اليوم أن تجد مثل أنس ..

قالت عائشة t ..

أقبلت فاطمة تمشي .. كأن مشيتها مشية النبي .. r

فقال النبي r : مرحباً بابنتي .. ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - ..

ثم أسرّ إليها حديثاً .. فبكت ..

فقلت لها : لم تبكين ..

ثم أسرّ إليها حديثاً .. فضحكت فقلت :

ما رأيت كالיום .. فرحاً أقرب من حزن ..

فسألت فاطمة عما قال لها النبي ؟

فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله r ..

حتى قبض النبي r ..

فسألته ؟

فقالت : أسر إليّ : إن جبريل كان يعارضني (77)

القرآن كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين

ن .. ولا أراه إلا حضر أجلي .. وإنك أول أهل بي

تي لحاقاً بي .. فبكيت ..

فقال : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الج

نة .. أو نساء المؤمنين .. فضحكت لذلك ..

61. قضاء الحاجات ..

لما بدأت في دراسة الماجستير .. اطلعت على عدد أوسع من كتب الفرق والطوائف ..

من بين هذه المذاهب .. المذهب البراجماتي .. bragmatizem

وترجمته بالعربية : المذهب النفعي ..

لما تبهرت في دراسة هذا المذهب أدركت لماذا كنا نسمع في أوروبا وأمريكا .. أنه في كثير من الأحيان يهجر الابن أباه .. وإذا قابله في مطعم فكل واحد منهما يحاسب عن نفسه ..

فعلاً .. مادام أني لن أستفيد منك فلماذا أخدمك ؟!

لماذا أنفق مالي ؟! واصرّف وقتي ؟! وأبذل لجهدي ؟! دون مردود مادي يعود عليّ ..

ي .. الإسلام قلب هذا الميزان ..

فقال الله (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) ..

وقال : (لنن امشي مع اخي في حاجة حتى أثبتها له .. أحب إليّ من أن أعتكف في مسجد في هذا شهراً) .. ومن كان في حاجة أخيه .. كان الله في حاجته ..

وكان يمشي في الطريق فتوقفه الجارية وتقول : لي إليك حاجة .. فيقف معها حتى يسمع حاجة .. وقد يمضي معها إلى بيت سيدها ليقيضيها لها ..

بل كان r يخالط الناس ويصبر على أذاهم ..

كان يعاملهم بنفس رحيمة .. وعين دامعة .. ولسان داعم .. وقلب عطوف ..

كان يشعر أنه هو وهم .. جسد واحد .. يشعر بفقر الفقير .. وحزن الحزين .. ومرض المريض .. وحاجة المحتاج ..

فقام رجل من الأنصار بصرة في كفه .. فنا
ولها رسول الله r وهو على منبره ..
فقبضها رسول الله r يعرف السرور في وجهه ..

وقال : من سن سنة حسنة .. فعمل بها كما
ن له أجرها .. ومثل أجر من عمل بها لا ينقص
قص من أجورهم شيء ..
ومن سن سنة سيئة .. فعمل بها .. كان عذابه
يه وزرها .. ومثل وزر من عمل بها لا ينقص
ص من أوزارهم شيء ..
فقام الناس .. فتفرقوا إلى بيوتهم .. وجاء
وا بصدقات .. فمن ذي دينار .. ومن ذي درهم ..

ومن ذي تمر .. ومن ذي ثياب ..
حتى اجتمع بين يديه r كومان .. كومان من
طعام .. وكوم من ثياب ..
فلما رأى r ذلك تهلل وجهه حتى كأنه فلقه
من قمر ..
ثم قسمه بين الفقراء .. رواه مسلم ..
ولما سئلت عائشة عن حاله في بيته ..
قالت :

كان يكون في حاجة أهله .. أو في مهنة أهله ..
أفلا تجعل من طرق دخولك إلى قلوب الناس
س .. قضاء حاجاتهم ..
احتاج شخص إلى مستشفى .. فأوصلته إليه ..

استعان بك في مشكلة فأعنته عليها ..
يراك تقضي حاجته .. وتقف معه في كربته ..
وهو يعلم أنك لا ترجو من ذلك جزاء .. ولا شكوراً ..

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

رؤية ..
من عاش لغيره فسيعيش متعباً .. لكنه سيحيا كبيراً .. ويموت كبيراً ..

استمتع بحياتك .. وقد جلس في مسجده يحدث أصحابه ..

فإذا به يرى سواداً مقبلاً عليه من بعيد ..
نظر إليهم .. فإذا هم قوم فقراء أقبلوا عليه من مضر .. من قبل نجد ..

ومن شدة فقرهم قد اجتابوا النمار ..
يعني يملك أحدهم قطعة قماش فلا يجد ثمن الإبرة والخيط .. فيخرق القماش من وسطه ثم يخرج رأسه ويسدل باقيه على جسده ..

أقبلوا قد اجتابوا النمار .. وتقلدوا السيوف .. ولا يس عليهم أزر ولا شيء غيرها .. لا عمامة ولا سراويل ولا رداء ..

فلما رأى رسول الله r الذي بهم من الجهد والعري والجوع .. تغير وجهه ..

ثم قام .. فدخل بيته .. فلم يجد شيئاً يتصدق به عليهم ..

فخرج .. ودخل بيته الآخر .. وخرج .. يبحث .. يلتمس شيئاً لهم .. فلم يجد ..

ثم راح إلى المسجد .. فصلى الظهر .. ثم صعد منبره ..

فحمد الله وأثنى عليه .. ثم قال :

أما بعد .. فإن الله عز وجل .. أنزل في كتابه :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) ..

ثم قرأ ..
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ رُفُوسُكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) ..

وجعل يتلوا الآيات والمواظ .. ثم صاح بهم .. وقال :

تصدقوا قبل أن لا تصدقوا .. تصدقوا قبل أن يحايل بينكم وبين الصدقة ..

تصدق امرؤ من ديناره .. من درهمه .. من بره .. من شعيره .. ولا يحقرن أحدكم شيئاً من الصدقة .. وجعل يعدد أنواع الصدقات حتى قال : ولو بشق تمرة ..

كان صاحبي من خيار الناس .. خلقاً .. وديناً .. وعقلاً ..

كان إمام مسجد بجانب بيته ..
لكني كنت أسمع ذمه على السنة أناس كثيرين ..
كنت أتعجب من ذلك .. ولا أجد له جواباً ..
حتى جاءني يوماً جاره .. قال : يا شيخ .. صاد بك .. لا يصلي بنا .. ولا معنا !!
قلت : لم ؟!!

قال : لا أدري .. لكنه هو الإمام .. ومع ذلك يغيب كثيرًا عن المسجد ..
فجعلت ألتمس له الأعذار .. فقلت : لعله مشغول بأمر ضروري .. لعله غير موجود بالبيت ..
قال : يا شيبوخ .. سيارته واقفة عند الباب .. وأنا متأكد أنه في بيته ..
جعلت أتقصي السبب لنصح صاحبي ..

حتى وجدت السبب ..
الرجل بحكم إمامته للمسجد ..
يأتي إليه الناس ويلتمسون منه الإعانة في حاجاتهم ..
هذا عليه دين يريد أن يبحث له عن يسدده ..
وهذا متخرج من الثانوية ويريد شفاة لدخول الجامعة ..
وهذا مريض يريد إعانته على دخول المستشفى الفلاني ..

وهذا عنده بنات كبار ويريد لهن أزواج ..
وهذا عليه أيجار لبيته لم يسدده ..
وهذا أعطاه ورقة استفتاء في طلاق ليذهب بها لمفتي العام ..
وهذا ..

وهو رجل عادي ليس له قدرات كبيرة ولا علاقات الواسعة .. ولا وجهة متميزة ..
وكان المسكين يغلبه الحياء والخجل من كل أحد .. فلا يقدر أن يعتذر من أحد أبداً ..
بل يأخذ معروض هذا ويعده بسداد دينه ..
ويكتب رقم هاتف الثاني .. ويعده أن يقبل في الجامعة ..

ويقول للثالث : تعال بعد يومين وتجد ورقة دخول المستشفى جاهزة ..
وهكذا دواليك ..

فيأتونه على الموعد .. ويعتذر .. ويعطيهم مواعيد أخرى ..

حتى صار يتهرب منهم .. ولا يرد على هاتفه .. بل وأحياناً لا يخرج من بيته !!
وصار من يلقاه منهم .. إن وجدته .. يسبه ويصرخ به .. ويردد : طيب لماذا تعذني .. لماذا تجعلني أبني الآمال عليك ..
والثاني يقول : لم أكلم إلا أنت .. وتركت يرك لك لما وعدتني ..

لما عرفت حاله .. أيقنت أنه حفر لنفسه حفرة .. ثم تردى فيها ..
سمعته مرة يعتذر من أحدهم .. ويقول : آسف .. لم أستطع أن أفعل شيئاً في موضوعة ..

وذاك يقول بكل قوة : طيب أنت ضيعت الوقت علي .. لبيتك أخبرتني من قبل ..
تذكرت عندها قول الحكيم : الاعتذار في البداية خير من الاعتذار في النهاية ..
ما أجمل أن يعرف المرء قدراته .. ويتحرك في حدود الدائرة المرسومة حوله ..
ولقد جربت ذلك بنفسي ..

أذكر أنني ألقيت محاضرة في أحد المجمعات العسكرية بالرياض ..
وبعدها جاءني أحدهم وقال : يا شيخ أريدك في موضوع ضروري جداً ..
قلت : تفضل .. ما هو ؟
قال : لا .. ما يصلح أن أذكره الآن .. لا بد أن أقابلك في وقت واسع ..

جعل يعظم حجم الموضوع وأنا أستمع له بلطف .. لكنني قد علمتني الحياة أن أكثر الناس يعطون الأمور أكبر من حجمها ..
أحب الحاجة مجنون بها حتى تقضى ..
قال لي : أظن لك محاضرة غداً في مدينة كذا .. وهي مدينة على بعد 200 كم من الرياض ..

قلت : صحيح ..
قال : سأتي إليك هناك .. وأقابلك بعد المحاضرة ..
تعجبت من حرصه ..

صرت ثالثهم ..
نعم .. الاعتذار في البداية خير من إخلاف الوعد ..
ما أجمل أن نكون صرحاء مع الآخرين ..
عارفين لحدود قدراتنا ..
أحياناً عند خروجك من البيت .. تصرخ بك زوجتك ..
أحضر معك حليباً .. وسكراً .. وحفاظ .. وعشاء ..
فانتبه .. لا تردد : طيب .. طيب .. وإنما اصرخ بها أنت أيضاً وقل :
مااااا أقدر .. !! فهي خير من الاعتذار عند العودة .. ضاق وقتي .. أقفلت المحلات .. نسيت ..
وكذلك مع زملائك .. وإخوانك ..
أرجو أن تكون الفكرة وصلت ..

تجربة ..
الاعتذار في البداية .. خير من الاعتذار في النهاية ..

63. من ركل القطة ؟!
قبل أن تجيب على السؤال .. اسمع القصة كاملة ..
كان يعمل سكرتيراً لمدير سيء الأخلاق .. لا يطبق مهارة واحدة من مهارات التعامل مع الناس ..
كان هذا المدير يراكم الأعمال على نفسه .. ويحملها ما لا تطيق ..
صاح بسكرتيه يوماً .. فدخل ووقف بين يديه ..
قال : سَمِّ .. تفضل ؟
صرخ به : اتصلت بهاتف مكتبك .. ولم ترد ..
قال : كنت في المكتب المجاور .. آسف ..
قال بضجر : كل مرة آسف .. آسف .. خذ هذه الأوراق .. ناولها لرئيس قسم الصيانة .. وعد بسرعة ..
مضى متضجراً .. وألقاها على مكتب رئي

استمتع بحياتك .. خرجت بعد المحاضرة فخرج الرجل ورأي مسعاً حافي القدمين .. يحمل ورقة صغيرة في يده ..
وقفت معه جانباً .. قلت : تفضل .. شكر الله حرصك .. ما حاجتك ؟
قال : يا شيخ .. عندي أخ يحمل الشهادة الابتدائية .. وأريدك أن تدبر له وظيفة ..
قلت : بس ؟!!
قال : بس ؟!!
كان الرجل متحمساً .. ومنظره يثير الشفقة .. و يبدو أن أخاه يمر بظروف صعبة فعلاً ..
أيقنت أنني لو وعدته سأخلف .. فنحن في زمن لا يكاد حامل البكالوريوس أن يجد وظيفة .. فضلاً عن حامل الابتدائية .. وأنا أعرف حدود قدراتي ..
قلت : يا أخي .. والله أتمنى أن أساعدك .. وأخوك أخي .. وأنا أتألم له كما تتألم ..
لكني لا أستطيع مساعدتك أبداً .. أتمنى أن تتكرم عليّ وتعفيني ..
قال : يا شيخ .. حاول ..
قلت : لاااا أقدر ..
فناولني الورقة التي في يده .. وقال : طيب .. يا شيخ خذ هذه الورقة فيها أرقام هواتفنا .. إذا وجدت له وظيفة فاتصل بنا ..
أدركت أنه يريد أن يربطني بحبل أمل .. وسيظل ينتظر الاتصال ..
فقلت : بل دع الورقة معك .. وخذ رقمي أنت .. وإن وجدت له وظيفة فاتصل بي .. لعلي أن أكتب لك شفاعاً للمسئول فيها ..
سكت الرجل قليلاً .. انتظرت أن يودعني ..
لكنني تفاجأت أنه قال لي : بيض الله وجهك .. والله يا شيخ .. سبق أن كلمت الأمير فلان في موضوع أخي منذ سنة .. فأخذ الورقة .. ولم يتصل بي إلى الآن ..
ومرة كلمت اللواء فلان .. فأخذ الورقة أيضاً .. ولم يتصل ولم يهتم .. هؤلاء أناس ما يهتمون بالضعفاء .. الله ينتقم منهم .. الله .. وبدأ يدعو عليهم ..
فقلت في نفسي .. الحمد لله .. لو أخذت الورقة ل

س قسم الصيانة .. وقال : لا تؤخرها علينا ..

قال : طيب ضعها بأسلوب مناسب ..

قال : مناسب .. غير مناسب .. المهم خلصها بسرعة ..

تشاتما .. حتى ارتفعت أصواتهما ..

ومضى السكرتير إلى مكتبه ..

بعد ساعتين أقبل أحد الموظفين الصغار في الصيانة .. إلى رئيسه وقال : سأذهب لأخذ أولادي من المدرسة وأعود ..

صرخ الرئيس : وأنت كل يوم تخرج ..

قال : هذا حالي من عشر سنوات .. أول مرة تعذر رض علي ..

قال : أنت ما يصلح معك إلا العين الحمراء .. ارجع لمكتبك ..

مضى المسكين إلى مكتبه .. وتولى أحد المدرسين إيصالهم .. لما طال وقوفهم في الشمس .. عاد هذا الموظف إلى بيته غاضباً .. فأقبل إليه ولده الصغير معه لعبة .. وقال :

بابا .. هذه أعطانيها المدرس لأنني ..

صاح به الأب : اذهب لأمك .. ودفعه بيده ..

مضى الطفل باكياً .. فأقبلت إليه قطته الجميلة تتمسح برجليه كالعادة .. فركلها برجله فضربت با لجدار ..

السؤال : من ركل القطه ؟

أظنك .. تبسم .. ونقول : المدير ..

صحيح المدير ..

لماذا لا نتعلم فن توزيع الأدوار ..

والأشياء التي لا نقدر عليها نقول بكل شجاعة .. هذه ليست في أيدينا .. لا نقدر ..

خاصة أن تصرفاتك قد يتعدى ضررها إلى أقوام لم يكونوا طرفاً في المشكلة أصلاً ..

وانتبه أن يستثيرك الآخرون .. ويخرجونك فتضطر لعود .. قد لا تستطيع تنفيذها ..

انتقل معي إن شئت إلى المدينة .. وانظر إلى رسول الله e وقد جلس في مجلسه المبارك .. بعدما

انتشر الدين .. ووحد رب العالمين ..

جعل رؤساء القبائل يأتون إليه مذعنين مؤمنين

ن .. ومنهم من كانوا يأتون صاغرين حاقدين ..

وفي يوم أقبل رئيس من رؤساء العرب .. له في

قومه ملك ومنعه ..

أقبل عامر بن الطفيل .. وكان قومه يقولون له لما رأوا انتشار الإسلام : يا عامر إن

الناس قد أسلموا فأسلم .. وكان متكبراً كت غطرساً ..

فكان يقول لهم : والله لقد كنت أقسمت ألا أموت حتى تملأ كني العرب عليهم وتتبع عقبي .. فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش !!

ثم لما رأى تمكن الإسلام .. وانصياع الناس لرسول الله e .. ركب ناقته مع بعض أصحابه ومضى إلى رسول الله e ..

دخل المسجد على رسول الله e وهو بين أصحابه الكرام ..

فلما وقف بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام قال : يا محمد خالني .. أي قف معي على انفراد ..

وكان e حذراً من أمثال هؤلاء .. فقال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده ..

فقال : يا محمد خالني ..

فأبى النبي e .. فلا زال يكرر .. يا محمد قم معي أكلمك .. يا محمد قم معي أكلمك ..

حتى قام معه رسول الله e .. فاجتر عامراً ..

ليه أحد أصحابه اسمه إربد .. وقال : إني سأشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاضربه بالسيف .. فجعل إربد يده على سيفه واستعد ..

فانفرد الاثنان إلى الجدار .. ووقف معهما رسول الله e يكلم عامراً .. وقبض إربد بيد

ه على السيف .. فكلما أراد أن يسله يبيست يده .. فلم يستطع سل السيف ..

وجعل عامر يشاغل رسول الله e .. وينظر إلى إربد .. وإربد جامد لا يتحرك ..

فالتفت e فرأى إربد وما يصنع ..

فقال : يا عامر بن الطفيل .. أسلم ..

فقال عامر : يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت ؟

فقال e لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ..

قال عامر : أتجعل لي الملك من بعدك إن أسلمت ؟

لم يشأ النبي أن يعد عامراً بوعده لا يتحقق ق ..

فكان صريحاً جريئاً معه .. وقال : ليس ذلك لك ولا لقومك ..

فخفف عامر الطلب قليلاً .. وقال : أسلم على أن لي الوبر ولك المدر .. أي أكون ملكاً على البادية وأنت على الحاضرة ..

فإذا به .. أيضاً لا يريد أن يلزم نفسه بوعده .. لا يدري تتحقق أم لا .. فقال : لا ..

عندها غضب عامر وتغير وجهه .. وصاح بأعلى صوته :

والله يا محمد .. لأملأنها عليك خيلاً جرداً .. ورجلاً مرداً .. ولأربطن بكل نخلة فرساً ..

ولأغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء .. ثم خرج يزبد ويرعد ..

فجعل ينظر إليه وهو مول ..

ثم رفعه بصره إلى السماء وقال : اللهم اكفني عامراً .. واهد قومه ..

خرج عامر مع أصحابه حتى إذا فارق المدينة .. تعب من المسير .. فصادف امرأة من قومه يقال لها سلولية وكانت في خيمة لها .. وكانت امرأة فاجرة .. يذمها الناس ويتهمون من دخل بيتها .. فلم يجد مأوى آخر .. فنزل عن فرسه مضطراً ونام في بيتها ..

فاخذته غدة وانتفاخ في حلقه كما يظهر في أعناق الإبل فيقتلها .. ففزع واضطرب ..

وجعل يتلمس الورم ويقول : غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ..

أي : لا موت يشرف .. ولا مكان يشرف ..

كان يتمنى أن يموت في ساحة قتال .. بسيوف الأبطال .. فإذا به يموت بمرض حيوانات .. في بيت فاجرة !!

تباً .. للذل والمهانة ..

فأخذ يصيح بهم : قربوا فرسي ..

فقربوه .. فوثب على فرسه .. وأخذ رمحه .. وصار يجول به الفرس ..

وهو يصيح من شدة الألم .. ويتحسس عنقه بيد

ه ويقول : غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ..

فلم تنزل تلك حاله يدور به فرسه .. حتى سقط عن فرسه ميتاً ..

تركه أصحابه .. ورجعوا إلى قومهم ..

فلما دخلوا ديارهم .. أقبل الناس إلى إربد يسألونه : ما وراءك يا أربد ؟

فقال : لا شيء .. والله لقد دعانا محمد إلى عبادة شيء .. لوددت لو أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ..

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له ليبيعه .. فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما ..

وأرسل الله عز وجل في حال عامر وأربد :

" اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ *"

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ اَلْمُتَعَالِ *

سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ *

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدٍّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَّالٍ *

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ *

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ *

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ

إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْدُغَ فَأَاهُ
وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا
فِي ضَلَالٍ ..

نعم .. لا تلتزم إلا بما تثق أنه يمكنك الوفاء به ..
بعون الله ..

قام مرة خطيباً في الناس .. فتكلم عن الآخر
ة وأحوالها .. ثم صاح قائلاً : يا فاطمة بنت مح
مد .. سليني من مالي ما شئت .. فاني لا أغني
عك من الله شيئاً ..
وأخيراً ..

مع التأكيد على أهمية عدم الالتزام بالشيء إلا و
أنت قادر عليه .. إلا أنه ينبغي عند الاعتذار أن ن
ستعمل أسلوباً ذكياً ..

فمثلاً : جاء إليك لتبحث لأخيه عن وظيفة .. لأن
أباك مسئول كبير .. أو أخاك .. أو أنت ..
فاعتذر بأسلوب يحفظ ماء وجهه ويجعله يشعر أ
نك تشاركه الهم .. قل - مثلاً - :

يا فلان .. أنا أشعر بمعاناتك .. وأخوك اعتبره أ
خي .. ولئن كان إخواني خمسة فهو السادس ..
لكن المشكلة أنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً إلا
ن .. فاعذرنى .. وأسأل الله أن يوفق أخاك ..
مع بتسامة لطيفة .. وتعبيرات وجه مناسبة ..
فكأنك بهذا الرد الجميل قضيت له ما يريد .. ألي
س كذلك ؟

وجهة نظر ..

كن صريحاً مع نفسك .. جريئاً مع الناس .. وا
عرف قدراتك والتزم بحدودها ..

64. التواضع ..

كنت في مجلس فيه عدد من الوجهاء ..
فتحدث أحد من رآه استغنى ! وقال في أثناء حديثه :
ثه :

.. ومررت بأحد العمال .. فمدّ يده ليصافحني ..
فترددت ثم مددت يدي وصافحته ..

ثم قال : مع أنني لا أعطي يدي لأي أحد ..
ما شاء الله يقول : لا أعطي يدي لأي أحد ..

أما رسول الله ﷺ .. فكانت الأمة المملوكة الضعيف
ة .. تلقاه في وسط الطريق .. فتشتكي إليه من
ظلم أهلها .. أو كثرة شغلها .. فيجعل يده في يد

ها .. فينطلق معها إلى أهلها ليشفع لها ..
وكان يقول : لا يدخل الجنة من كان في قلبه
ه مثقال ذرة من كبر ..

كم سمعنا الناس يرددون : يا أخي .. فلان
متكبر .. فلان "شاييف نفسه" ..

وتسأله : لماذا لم تستعن بجارك في كذا ؟
فيقول : فلان متكبر علينا .. ما يعطينا وج
ه !!

كم هم مبغضون أولئك الذين يتكبرون عل
ى الناس .. ويعاملونهم باستعلاء ..

كم هو منبوذ .. ذاك الذي يطغى أن رآه است
غنى ..

ذاك الذي يصعر خده للناس ويمشي في الأ
رض مرحاً ..

ذاك الذي يتكبر على العمال .. والخدام .. و
الفقراء ..

يتكبر عن محادثتهم .. ومصافحتهم .. ومج
السنتهم ..

لما دخل مكة فاتحاً .. جعل يمر بطرقا
ت مكة التي طالما أوزي فيها .. واستهزئ
به ..

كم سمع في طرقاتها .. يا مجنون .. ساح
ر .. كاهن .. كذاب ..

وهو اليوم يدخلها قائداً عزيزاً .. ممكناً ..
قد أذل الله أهلها بين يديه ..

فكيف كان شعوره وهو داخل ؟
قال عبد الله بن أبي بكر :

لما وصل رسول الله ﷺ إلى ذي طوى .. و
قف على راحلته معتجراً بقطعة برد حمرا

ع ..
وأن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً

لله .. حين رأى ما أكرمه الله به من الفت
ح .. حتى إن عثونه (طرف لحيته) ليكاد

يمس واسطة الرحل ..
وقال أنس : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم ال

فتح وذقنه على راحلته متخشعاً ..
وقال ابن مسعود : أقبل رجل إلى رسول ا

لله فكلمه في شيء .. فأخذته الرعدة ..
فقال : هون عليك .. فإنما أنا ابن امرأة

قبل الكبار يتسابقون إليه .. مصافحين .. و محبين ..

كم يتمنى الكثيرون من تجار .. وأمراء .. ومشهورين .. أن ينالوا في قلوب الناس م ن المحبة مثل ما نال ..

ولكن هياااات ..

أبيت سهران الدجى .. وتبيته *** نوماً ! وتبغى بعد ذاك لحاقي ؟

نعم .. (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) .. أي يجعل له م محبة في قلوب الخلق ..

إذا أحبك الله جعل لك القبول في الأرض .. قال e : إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل ل .. فقال :

إني قد أحببت فلاناً فأحبه .. قال : فيحبه جبريل ..

ثم يُنادى في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبه ..

فيحبه أهل السماء ..

قال : ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض .. فذلك قول الله " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً " ..

وإذا أبغض الله عبداً .. نادى جبريل : إني أبغضت فلاناً فأبغضه .. فيبغضه جبريل ..

ثم يُنادى في أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً فأبغضه .. فيبغضه أهل السماء ..

ثم تنزل له البغضاء في الأرض .. (78) قال الزبير بن العوام : من استطاع منك

م أن يكون له **خبينة** من عمل صالح فليفع ل .. والعبداء الخفية أنواع ..

منها .. الحفاظ على صلاة الليل .. ولو ركعة واحدة وتراً كل ليلة .. تصلّيها بعد العشاء مباشرة .. أو قبل أن تنام .. أو قبل الفجر .. لتكتب عند الله من قوام الليل ..

من قرّيش تأكل القديد .. (اللحم المجفف) .. وكان يقول : أجلس كما يجلس العبد .. وآكل كما يأكل العبد ..

نعم ..

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر

على صفحات الماء وه

و رفيع ولا تك كالدخان يعلو بنفسه

على طبقات الجو وهو

رفيع

باختصار .. من تواضع لله رفعه .. وما زاد الله عبداً بالتواضع إلا عزاً ..

65. العبادة الخفية ..

قبل عشر سنوات .. في أيام ربيع .. وفي ليلة باردة كنت في البر مع أصدقاء ..

تعطلت إحدى السيارات .. فاضطررنا إلى المبيت في العراء ..

أذكر أنا أشعلنا ناراً تحلقنا حولها .. وما أجمل أحاديث الشتاء في دفاء النار ..

طال مجلسنا فلاحظت أحد الإخوة انسلّ من بيننا ..

كان رجلاً صالحاً .. كانت له عبادات خفية .. كنت أراه يتوجه إلى صلاة الجمعة مبكراً .. بل أحياناً وباب الجامع لم يفتح بعد !!!

قام وأخذ إناءً من ماء .. ظننت أنه ذهب ليقضي حاجته ..

أبطأ علينا .. ففقت أترقبه .. فرأيتة بعيداً عنا .. قد لف جسده برداء من شدة البرد وهو ساجد على التراب .. في ظلمة .. يتملق ربه ويتحبب إليه ..

أيقنت أن لهذه العبادة الخفية .. عزاً في الدنيا ق بل الآخرة ..

مضت السنوات .. وأعرفه اليوم .. قد وضع الله له القبول في الأرض ..

له مشاركات في الدعوة .. وهداية الناس .. إذا مشى في السوق أو المسجد .. رأيت الصغار

ض

(78) رواه البخاري ومسلم ، والترمذي واللفظ له .

قال : إن الله وتر يحب الوتر .. فأوتروا يا أهل القرآن ..

ومنها .. السعي في الإصلاح بين الناس .. بين لزملاء المتخاصمين .. بين الجيران .. بين الزوجين ..

قال : الا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟

قالوا : بلى ..

قال : إصلاح ذات البين .. وفساد ذات البين هي الحالة (79)

ومنها الإكثار من ذكر الله ..

فإن من أحب شيئا أكثر من ذكره ..

وفي الحديث .. قال : ألا أنبئكم بخير أعمالكم

م .. وأزكاها عند مليكم .. وأرفعها في درجاتكم

م .. وخير لكم من إعطاء الذهب والورق .. وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ..؟

قالوا : بلى .. وما ذاك يا رسول الله ؟

قال : ذكر الله عز وجل (80) ..

ومنها .. صدقة السر .. فصدقة السر تطفئ غضب الرب ..

كان أبو بكر t إذا صلى الفجر خرج إلى الصحراء

ع .. فاحتبس فيها شيئا يسيرا .. ثم عاد إلى المدينة ..

فعجب عمر t من خروجه .. فتبعه يوما خفية بع

دما صلى الفجر ..

فإذا أبو بكر يخرج من المدينة ويأتي على خيمة

قديمة في الصحراء .. فاختم له عمر خلف صدره ..

فلبث أبو بكر في الخيمة شيئا يسيرا .. ثم خرج

ج ..

فخرج عمر من وراء صخرته ودخل الخيمة .. فإذا

فيها امرأة ضعيفة عمياء .. وعندها صبية صغار ..

فسألها عمر : من هذا الذي يأتيكم ..

فقالت : لا أعرفه .. هذا رجل من المسلمين .. يا

تينا كل صباح .. منذ كذا وكذا ..

قال فماذا يفعل : قالت : يكنس بيتنا .. ويع

جن عجينا .. ويحلب داجنا .. ثم يخرج ..

فخرج عمر وهو يقول : لقد أتعبت الخلفاء

من بعدك يا أبا بكر .. لقد أتعبت الخلفاء م

ن بعدك يا أبا بكر ..

* * * * *

ولم يكن عمر t بعيدا في تعبه وإخلاصه

عن أبي بكر ..

فقد رآه طلحة بن عبيد الله ..

خرج في سواد الليل .. فدخل بيتا .. ثم خر

ج منه ودخل بيتا آخر .. فعجب طلحة .. م

إذا يفعل عمر في هذه البيوت !!

فلما أصبح طلحة ذهب إلى البيت الأول .. فإذا

عجوز عمياء مقعدة ..

فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟

قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا .. يأتيني

بما يصلحني ويخرج عني الأذى ..

فخرج طلحة وهو يقول : ثكلتك أمك يا طلحة

ة .. أعثرات عمر تتبع ؟

* * * * *

وخرج مرة t إلى ضواحي المدينة .. فإذا به

رجل عابر سبيل نازل وسط الطريق .. وقد

نصب خيمة قديمة .. وقعد عند بابها .. م

ضطرب الحال .. فسأله عمر : من الرجل ؟

قال : من أهل البادية .. جئت إلى أمير المؤ

منين أصيب من فضله ..

فسمع عمر أنين امرأة داخل الخيمة .. فسأ

له عنه ؟

فقال : انطلق رحمك الله لحاجتك ..

قال عمر : هذا من حاجتي ..

فقال : امرأتي في الطلق - يعني تلد - ولي

س عندي مال ولا طعام ولا أحد ..

فرجع عمر إلى بيته سريعا .. فقال لامرأته

أم كلثوم بنت علي : هل لك في خير ساقه ا

لله إليك ؟

قالت : وما ذاك .. فأخبرها بخبر الرجل ..

فحملت امرأته معها متاعا .. وحمل هو ج

(79) رواه أحمد وغيره .

(80) رواه أحمد والترمذي وغيرهما ، صحيح .

نعم .. كانوا يستشعرون العبودية لله في جميع أحوالهم ..

هم المتقون .. والله يقول : { إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأَسَدًا حَقَاقًا * يُسْمِعُونَ فَيُهَا لَغَوًّا وَلَا كِدَابًا * جَزَاءَ مَنْ رَبَّكَ عَطَاءَ حِسَابًا } .. فاطلب محبة الخالق .. وهو يتكفل بزرع حبك في قلوب خلقه ..

إضاءة ..

ليس الغاية أن تكون ظواهر الآخرين تحبك .. إنما الغاية أن تحبك بواطنهم أيضاً ..

66. أخرجهم من الحفرة ..

ألم يقع مرة أن أخرجك شخص في مجلس عام بكلمة جارحة ..

أو ربما سخر منك .. بأي شيء وإن كان صغيراً .. بلباسك أو كلامك .. أو أسلوبك ..

فدافع عنك شخص ما .. فشعرت بامتنان عظيم له .. لأنه كأنما أمسك بطرف ثوبك عند دما دفعك غيرك إلى هاوية ..

مارس هذه المهارة مع الآخرين .. وسترى لها تأثيراً ساحراً ..

لو دخلت على شخص وأقبل ولده يحمل طبقاً في طعام .. لكنه استعجل قليلاً .. فكاد أن يقع الطبق على الأرض .. فانطلق الأب عليه ثائراً .. لماذا العجلة ؟ كم مرة أعلمك ؟ ..

فاحمرَّ وجه الولد واصفرَّ ..

فقلت أنت : لا .. بل فلان بطل .. رجل .. ما شاء الله عليه يحمل كل هذا لوحده .. ولعله استعجل لأن فيه أغراض أخرى أيضاً .. أي امتنان سيشعر به الغلام لك ..

هذا مع الصغار .. فما بالك مع الكبار .. لو أثنت على زميل في اجتماع .. بعدما صدق بوا عليه وإبلاً من اللوم .. أو أثنت على أحد إخوانك .. بعدما انكب إلا

راباً فيه طعام .. وقدرأً وخطباً .. ومضى إلى الرجل ..

ودخلت امرأة عمر على المرأة في خيمتها .. وقعد هو عند الرجل .. فأشعل النار وأخذ ينفخ الدخان .. ويصنع الطعام .. والدخان يتخلل لحيته .. والرجل قاعد ينظر إليه ..

فبينما هو على ذلك .. إذ صاحت امرأته من داخل الخيمة .. يا أمير المؤمنين .. بشر صاحبك بغلام ..

فلما سمع الرجل .. أمير المؤمنين .. فزع وقال : أنت عمر بن الخطاب .. قال : نعم .. فاضطرب الرجل .. وجعل يتنحى عن عمر .. فقال له عمر : مكانك ..

ثم حمل عمر القدر .. وقربه إلى الخيمة وصاح بامرأته .. أشبعيها ..

فأكلت المرأة من الطعام .. ثم أخرجت باقي الطعام خارج الخيمة ..

فقام عمر فأخذه فوضعه بين يدي الرجل .. وقال له : كل .. فإنك قد سهرت من الليل ..

ثم نادى عمر امرأته فخرجت إليه .. فقال للرجل : إذا كان من الغد .. فأتنا نأمر لك بما يصلحك ..

* * * * *

وكان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل .. فيتصدق بها .. ويقول : إن صدقة السر تطفئ غضب الرب ..

فلما مات وجدوا في ظهره آثار سواد .. فقالوا : هذا ظهر حمال .. وما علمناه اشتغل حمالاً ..

فانقطع الطعام عن مائة بيت في المدينة .. من بيت الأراذل والأيتام .. كان يأتيهم طعامهم بالليل .. لا يدرون من يحضره إليهم .. فعلموا أنه الذي ينفق عليهم ..

وصام أحد السلف عشرين سنة .. يصوم يوماً ويفطر يوماً .. وأهله لا يدرون عنه .. كان له دكان يخرج إليه إذا طلعت الشمس ويأخذ معه فطوراً وغداءً .. فإذا كان يوم صومه تصدق بالطعام .. وإذا كان يوم فطره أكله ..

فإذا غربت الشمس .. رجع إلى أهله وتعشى معهم ..

في هذه الأثناء .. أقبل رجل عليه لباس ح
سن .. وعمامة حسنة .. ومظهر مهيب ..
كان وقوراً في مشيته .. جليلاً في خطوته
ه ..

أفسح له لطلاب حتى جلس بجانب أبي حني
فة ..

فلما رأى أبو حنيفة مظهره .. ورزاقته ..
ورتابته هيئته .. استحي من طريقة جلسته
وثنى رجله .. وتحمل ألم ركبته لأجله ..
استمر أبو حنيفة في درسه والرجل يسم
ع ..

فلما انتهى من الدرس ..
بدأ الطلاب يسألون .. فرفع ذلك الرجل يده
ليسأل ..

التفت إليه الشيخ .. وقال : ما سؤالك ؟
فقال : يا شيخ .. متى وقت صلاة المغرب
؟

قال : إذا غربت الشمس .. !!
قال : وإذا جاء الليل والشمس لم تغرب ..
فماذا نفعل ؟!
فقال أبو حنيفة : أن لأبي حنيفة أن يمد رج
ليه .. ومد رجله كما كانت ..
وسكت عن هذا السؤال المتناقض !! .. إذ
يف يأتي الليل والشمس لم تغرب !!
يقولون إن النظرة الأولى إليك تكون في ذ
هن المقابل أكثر من 70% من تصوره عذ
ك ..

ويبدو أنه عند التأمل ستجد أن النظرة الأول
ى تكون أكثر من 95% عنك .. حتى تتكل
م .. أو تعرف بنفسك ..

ولو مشيت في ممر في مستشفى أو شركة
وبجانبك شخص عليه ثياب حسنة .. وعليه
ه وقار في مشيته .. لرأيت أنك - ربما لا
شعورياً - إذا وصلت إلى باب في الممر ال
تفت إليه وقلت له : تفضل .. طال عمر
ك !!

ولو ركبت سيارة أحد أصدقائك فرأيتها فو
ضى .. هنا فردة حذاء مرمي .. وهنا روق
شاورما .. وهما منديل .. وأشرطة كاسيت

راد الأسرة عليه معاتبين ..
شاب أخرجته شخص بسؤال أمام الناس : بشراً
يا فلان .. كم نسبته في الجامعة ؟!
بالله عليك .. هل هذا سؤال يسأله عاقل أمام النا
س ؟!!

فانقلب وجه الشاب متلونا .. فأنقذته قائلاً بلط
ف : ليش يا أبا فلان .. ستزوجه ؟!! أو عندك و
ظيفة له ؟ أو ..

فضحكوا وذسي السؤال ..
أو لو عاتبه على دنو معدله الدراسي .. فقلت :
يا أخي لا تلمه .. تخصصه صعب .. لكن سيشد
حيله إن شاء الله ..

كسب محبة الناس فرص يقتنصها الأذكىاء ..
إذا هبت رياحك فاغتنمها *** فإن لكل خافقة سد
ون

كان عبد الله بن مسعود t .. يمشي مع النبي
r ..

فمرا بشجرة فأمره النبي أن يصعدا ويحترأ له
عوداً يتسوك به ..

فرقى ابن مسعود وكان خفيفاً .. نحيل الجسم ..
فأخذ يعالج العود لقطعه ..

فأتت الريح فحركت ثوبه وكشفت ساقيه .. فإذا
هما ساقان دقيقتان صغيرتان ..
فضحك القوم من دقة ساقيه ..
فقال النبي r : ممّ تضحكون ؟! .. من دقة ساقيه
؟!

والذي نفسي بيده إنهما أثقل في الميزان من أح
د .. (81)

وجهة نظر ..
كسب محبة الناس فرص يقتنصها الأذكىاء ..

67. الاهتمام بالمظهر ..
كان أبو حنيفة جالساً يوماً بين طلابه في المسد
جد يدرس ..
وكان به ألم في ركبته .. وقد مد رجله .. واتكأ
على جدار ..

متناثرة ..

لكونت فكرة عن الشخص مباشرة أنه فوضو

ي .. غير مبال بالترتيب ..

وكذلك في لباس الناس .. ومظهرهم العام ..

والذي أعنيه هنا هو الاهتمام بالمظهر لا الإسرا

ف في اللباس أو السيارة .. أو الأثاث .. أو غيره

ا ..

كان رسول الله يعتنى بهذه النواحي كثيراً ..

فكان له حلة حسنة يلبسها في العيدين والجمع

ة ..

وكانت له حلة يلبسها في استقبال الوفود ..

كان يعتنى بمظهره ورائحته ..

وكان يحب الطيب ..

قال أنس : كان رسول الله r .. أزهر اللون

كان عرقه اللؤلؤ .. إذا مشا تكفأ ..

وما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رس

ول الله r ..

ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة الذ

بي r .. وكانت يده مطيبة كأنما أخرجت من ج

ؤنة عطار ..

وكان r .. يعرف بريح الطيب إذا أقبل ..

وقال أنس (كان رسول الله r لا يرد الطي

ب) ..

قال أنس : ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين م

ن كف رسول الله ..

وكان r أحسن الناس وجهاً .. كان وجهه مستد

يراً كالشمس ..

وكان إذا سدر استنار وجهه .. حتى كأن وجهه

قطعة قمر ..

قال جابر بن سمرة رأيت رسول الله r في ليلة م

ضيئة مقمرة ..

فجعلت أنظر إلى رسول الله r وإلى القمر .. وعظ

يه حلة حمراء .. فإذا هو عندي أحسن من القم

ر ..

وكان يأمر المسلمين بذلك يأمر المسلمين بمراعا

ة المظهر ..

عن أبي الأحوص عن أبيه .. قال : أتيت الذ

بي r وعلي ثوب دون (أي ردئ) ..

فقال r : ألك مال ؟ قلت : نعم ..

قال : من أي المال ؟ قلت : من الإبل والبق

ر والغنم والخيول والرقائق ..

فقال r : فإذا آتاك الله مالاً .. فذير أثر ن

عمة الله عليك وكرامته ..

وقال r : (من أنعم الله عليه نعمة .. فإن ا

لله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) .

وعن جابر بن عبد الله قال :

أتانا رسول الله r .. زائراً في منزلنا فرأى

رجلاً شعثاً قد تفرق شعره ..

فقال : أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره

؟

ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة فقال :

أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه ؟ ..

وقال : (من كان له شعر فليكرمه) ..

وكان يحرص على حسن السميت .. وجمال

الشكل .. واللباس .. وطيب الرائحة ..

وكان يردد في الناس قائلاً : (إن الله جمي

ل يحب الجمال) (82) ..

تجربة ..

النظرة الأولى إليك تطبع في ذهن المقابل

70% من تصوره عنك ..

68. الصدق ..

أذكر أنني كنت أراقب على الطلاب يوماً في

قاعة الامتحان .. وكان الامتحان يوم خمي

س .. ومع أن يوم الخميس هو إجازة أص

لاً إلا أننا اضطررنا أن نجعل فيه امتحاناً ل

زحمة المواد ..

بعد مضي ربع ساعة من بداية الامتحان ..

أقبل أحد الطلاب متأخراً .. كان المسكين ي

بدو عليه الاضطراب الشديد ..

قلت له : عفواً .. أتيت متأخراً ولن أسمح

لك بدخول الامتحان ..

فبدأ يرجوني أن أسمح له ..

قلت : ما الذي أخرجك ؟!

قال : والله يا دكتور .. راحت علي نومة !!
أعجبني صدقه .. وقلت تفضل .. فدخل وامتد
ن ..

بعده بدقائق أقبل طالب آخر .. قلت : ما أخرجك ؟
قال : يا دكتور والله الطريق زححمة .. تعرف
الناس في الصباح طالعين لدواماتهم .. هذا رايح
جامعته .. وهذا لشركته .. وهذا ..
وجعل يعدد علي ليقنعني أن الطريق زحمة ..
ونسى المسكين أن اليوم إجازة للموظفين .. ورب
ما ليس في الطرق إلا طلابنا !!
قلت له : يعني الشوارع زحمة .. والسيارات تم
لأ الطرق ؟

قال : إي والله يا دكتور كأنك ترى ..
قلت : يا شاطر !! إذا أردت أن تكذب فاضبط الكذب
بـ .. يا أخي اليوم خميس .. يعني ما فيه دوا
مات .. من أين جاءت الزحمة ؟!!
قال : أه يا دكتور .. نسيت .. " بنشر علي الكفر
" .. أي تعطلت إحدى إطارات السيارة فوقف لإ
صلاحها !!!

كان المسكين مضطرباً متورطاً .. فضحكت ودخ
ل ليمتحن ..
نعم .. ما أقبح أن يكتشف الناس أنك تكذب عليها
م ..
الكذب ينفر الناس عنك .. ويفقدك المصداقية عند
دهم ..

ويجعلهم لا يثقون فيك ..
فلو وقعت لأحدهم مشكلة .. فلن يشكوها إليك ..
ولو تكلمت بشيء لن يسمعه بتقبل ..
قال : يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخي
انة والكذب (83)

وسئل .. فقيل له : يا رسول الله .. أيكون الم
ومن جباناً ؟

فقال : نعم ..
فقيل : أيكون المؤمن بخيلاً ؟
فقال : نعم ..
فقيل : أيكون المؤمن كذاباً ؟
فقال : لا .. (84)

(83) رواه أحمد وأبو يعلى وغيرهما

(84) مالك في الموطأ

وقال عبد الله بن عامر :
دعني أمني يوماً .. ورسول الله قاعد
في بيتنا .. فقالت :

ها .. **تعال أعطيك** ..

فقال لها رسول الله : وما أردت أن تعط
يه ؟

قالت : أعطيه تمراً ..

فقال لها : أما إنك لو لم تعطيه شيئاً .. كتب
ت عليك كذبة (85)

وكان إذا اطلع على أحد من أهل بيته ك
ذب كذبة .. لم يزل معرضاً عنه ..

في كثير من الأحيان يندفع بعض الناس إل
ى الكذب .. لأجل إظهار أنفسهم بصورة أكب
ر من الحقيقة ..

فتجده يكذب في بطولات يؤلفها .. ومواقف
يخترعها ..

أو يزيد في القصص .. ليملاحها ..

أو يدعي أشياء عنده .. وهو كاذب .. فيتشد
بع بما لم يعط ..

أو تجد الكذاب يعد ويخلف ..

أو يتورط بأمور .. فيخلق أعذاراً متنوع
ة .. وسرعان ما يكتشف الناس كذبه فيها
ا ..

وقف أحد العلماء أمام السلطان .. فشهد عد
ى شيء ..
فقال السلطان : كذبت ..

فصاح العالم : أعوذ بالله .. والله لو نادى
مناد من السماء : إن الله أحل الكذب .. لم
ا كذبت .. فكيف وهو حرام !!

حقيقة ..

الكذب لون واحد كله أسود ..

69. الشجاعة ..

قال لي بعدما خرجنا من الوليمة : تصدق ك
نت أعرف اسم الصحابي الذي تكلمتم عند
ه ..

(85) رواه أبو داود

والأعظم من ذلك إن كان أباً .. أو زوجاً ..
أو مديراً ..
أو حتى زوجة أو أما ..
الناس يكرهون الجبان .. وليس له قدر ..
فعود نفسك على الشجاعة في الإلقاء ..
الشجاعة في النصيح ..
الشجاعة في تطبيق مهارات التعامل مع الناس ..

وجهة نظر ..
عود نفسك ودربها .. وإنما النصر : صبر
ساعة ..

70. الثبات على المبادئ ..
كلما كانت شخصية الشخص أقوى .. وثباته ..
على مبادئه أشد .. كان أهم في الحياة ..
أحياناً يكون من مبادئك عدم أخذ الرشوة ..
مهما ملأوا أسماءها .. بخشيش .. هدية ..
عمولة ..
زوجة يكون من مبادئها .. عدم الكذب على زوجها ..
مهما زينوه لها .. تمشية حال ..
كذب أبيض ..
من المبادئ .. عدم تكوين علاقات محرمة مع الجنس الآخر ..
عدم شرب الخمر ..
شخص لا يدخن .. جلس مع أصحابه .. ليثبته على مبادئه ..
الشخص الثابت على مبادئه وإن انتقدته أصحابه أحياناً ..
واتهموه بعدم المرونة .. إلا أن مشاعرهم الداخلية تؤمن أنها أمام بطل ..
فتجد أن أكثرهم يلجأ إليه ويشعر بأهميته أكثر من غيره ..
وليش هذا خاصاً بأحد الجنسين دون الآخر .. بل الرجال والنساء في ذلك سواء ..
فأثبت على مبادئك ولا تقدم تنازلات .. عند سيرضخ الناس لها ..
لما ظهر الإسلام في الناس جعلت لقبايل تفد إلى رسول الله ..
فجاء وفد قبيلة ثقيف وكانوا بضعة عشر ر

استمتع بحياتك ..
قلت : عجباً !! ليش ما ذكرته .. وقد رأيتنا متدبرين ؟!
خفض رأسه وقال : خجلت أتكلم ..
قلت في نفسي : تباباً للجبن ..
وآخر كان يدرس في السنة الأخيرة من الثانوية ..
التقيت به يوماً فقال لي : قبل يومين دخلت ألف صلب ..
فرأيت الطلاب واجمين .. والمدرس جالس على كرسيه .. بدون شرح ..
جلست وسألت الذي بجانبني : ما الخبر ؟!
قال : زميلنا عساف مات البارحة ..
كان في الفصل عدد من أصدقاء عساف .. تاركون للصلاة ..
والغون في عدد من المحرمات .. كان تأثير الخبر عليهم واضحاً ..
حدثتني نفسي أن ألقى عليهم كلمة وعظيمة أحثهم فيها على الصلاة ..
وبر الولدين .. وإصلاح النفس .. قلت له : ممتاز ..
هل فعلت ؟ قال : بصراحة .. لا .. خجلت ..
سكت .. وكظمت غيظي وأنا أقول في نفسي : تباباً للجبن ؟!
امرأة تسألها : لماذا لم تصارحي زوجك بالموضوع وع ؟
فتقول : أستحي !! خفت يزعل !! خفت يهجرني ..
ي .. خفت .. شاب تسأله : لم لم تخبر أباك بالمشكلة قبل أن تتفاهم ؟!
فيقول : أخاف .. ما أتجرأ .. أو ربما رفع أحدهم ضغطك بقوله : أستحي أبتسم ..
م .. أخجل أثني عليه .. أخاف يقولون يجمال .. يستخف دمه ..
أسمع هذه التصرفات كثيراً .. فأتمنى أن أصرخ فيهم : يا جبناء .. إلى متى ؟!
الجبان لا يبني مجداً .. هو صفر على الشمال دائماً ..
إن حضر مجلساً تلحّف بجذبه ولم يشارك برأي .. أو ينطق بكلمة ..
وإن ذكروا نكتة ضحكوا وعلاقوا .. ولم يستطع أن يزيده على أن خفض رأسه وتبسم ..
وإن حضر مجلساً .. لم ينتبه أحد لوجوده ..

ن ذلك ..
وأما الصلاة .. فلا خير في دين لا صلاة فيه
4...!!
فقالوا : سنؤتيكها .. وإن كانت دناءة ..
فكاتبوه على ذلك ..
وذهبوا إلى قومهم .. ودعوهم إلى الإسلا
م .. فأسلموا على مضض ..
ثم قدم عليهم رجال من أصحاب رسول الله
لهدم الصنم ..
فيهم خالد بن الوليد .. والمغيرة بن شعبة ا
لثقيفي ..
فتوجه الصحابة إلى الصنم ..
ففزعت ثقيف .. وخرج الرجال والنساء وال
صبيان ..
وجعلوا يرقبون الصنم .. وقد وقع في قلوب
هم أنه لن يهدم .. وأن الصنم سيمنع نفس
4 ..
فقام المغيرة بن شعبة .. فأخذ الفأس .. وال
تفت إلى الصحابة الذين معه وقال :
والله لأضحكنكم من ثقيف !!
ثم أقبل إلى الصنم .. فضرب الصنم بالفأ
س .. ثم سقط وجعل يرفس برجله ..
فصاحت ثقيف .. وارتجوا .. وفرحوا .. وق
الوا : أبعد الله المغيرة .. قتلته الربة ..
ثم التفتوا إلى بقية الصحابة وقالوا :
من شاء منكم فليقترب ..
عندها قام المغيرة ضاحكاً .. وقال :
ويحكم يا معشر ثقيف .. إنما هي لكاع (أ
ي مزحة) .. وهذا صنم .. حجارة ومدر ..
فاقبلوا عافية الله واعبدوه ..
ثم أقبل يهدم الصنم .. والناس معه .. فما
زالوا يهدمونها حجراً حجراً .. حتى سوو
ها بالارض ..

استمتع بحياتك ..
فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد ليسمع
والقرآن ..
فسألوه : عن الربا والزنا والخمر ؟
فحرم عليهم ذلك كله ..
وكان لهم صنم ورثوا عبادته وتعظيمه عن آبائه
م .. اسمه " الربة " .. ويصفونه بـ " الطاغية
" .. وينسجون حوله القصص والحكايات للدلالة
على قوته ..
فسألوه عن " الربة " ما هو صانع بها ؟
قال : اهدموها ..
ففزعوا .. وقالوا : هيهات .. لو تعلم الربة أنك ت
ريد أن تهدمها .. قتلت أهلها !!
وكان عمر حاضراً .. فعجب من خوفهم من هدم
صنم ..
فقال : ويحكم يا معشر ثقيف !! ما أجهلكم !! إنم
ا الربة حجر ..
فغضبوا .. وقالوا : إنا لم نأتك يا ابن الخطاب ..
فسكت عمر ..
فقالوا : نشترط أن تدع لنا الطاغية ثلاث سني
ن .. ثم تهدمه بعدها إن شئت ..
فراى النبي أنهم يساومونه على أمر في العق
يدة !! هو أصل من أصول الإسلام .. فما دام أنه
م سيسلمون .. فما الداعي للتعلم بالصنم .. !!
فقال : لا ..
قالوا : فدعه سنتين .. ثم اهدمه ..
قال : لا ..
قالوا : فدعه سنة واحدة ..
قال : لا ..
قالوا : فدعه شهراً واحداً !!
قال : لا ..
فلما رأوا أنه لم يستجب لهم في ذلك .. فالمسألة
شرك وإيمان .. لا مجال فيها للمفاوضة !!
قالوا : يا رسول الله .. فتول أنت هدمها .. أما ن
حن فإننا لن نهدمها أبداً ..
فقال : سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها ..
فقالوا : والصلاة .. لا نريد أن نصلي .. فإننا نأ
ف أن تعلقو إستم الرجل رأسه !!
فقال : أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم م

وحيي ..

"من طلب رضا الناس بسخط الله سخط الله
عليه وأسخط عليه الناس ، ومن طلب رض
ا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى
عنه الناس "

ستقيم .. فأصحاب المبادئ الأخرى لن يتركوك ..

فعدم قبولك للرشوة يغضب زملاءك المرتشدين ..

وامتنعك عن الزنا .. يغضب الفاعلين !!
ذكر أن عمر بن الخطاب كان يعسّ ليله من الليالي ..

يراقب وينظر ..

فمر بأحد البيوت في ظلمة الليل .. فسمع فيه رجال سكارى .. فكره أن يطرق عليهم لباب ليلاً .. وخشي أن يكون ظنه خاطئاً .. وأراد أن يتثبت من الأمر ..

فتناول كسرة فحم من على الأرض .. ووضع بها علامة على الباب .. ومضى ..

سمع صاحب الدار صوتاً عن الباب .. فخرج .. فرأى العلامة .. ورأى ظهر عمر مولياً .. ففهم القصة ..

فكان الأصل أن يسمح العلامة وينتهي الأمر .. لكن الرجل لم يفعل ذلك !!

وإنما أخذ كسرة الفحم وأقبل إلى بيوت جيرانه .. وجعل يرسم على أبوابها علامات !!

وكأنه يريد أن ينزل الناس إلى مستواه .. ويكونون مثله .. ولا يريد أن يرتفع إلى مستواهم !!

وفي المثل : ودت الزانية لو أن النساء كلهن زنين ..

من التجارب في حياتنا .. أن تجد زوجة كذيرة الكذب على زوجها .. تربت على ذلك .. وتعودت عليه .. فإذا رأت من تنكر عليها .. وتنصحها بالصدق .. حاولت أن تجرّها إلى مستنقعها .. فكررت عليها : الرجاء ل ما يصلح معهم إلا كذا .. ما تمشي أمورك معه إلا بالكذب ..

فلا تزال بها حتى تتنازل عن مبادئه وتتغير .. أو ربما تثبت .. ولعلها ..

وقل مثل ذلك في مسئول حسن الخلق مع موظيفه .. ويرى أن هذا مما يفيد العمل .. ويزرت الراحة في قلوبهم .. ويزيد الإنتاج ..

ج ..

71. إغراءات ..

قرأت أن شاباً مسلماً في بريطانيا .. اطلع على قرأ إعلان لإحدى الشركات حول حاجتها إلى موظفين يعملون في الحراسات ..

أقبل إلى اللجنة المختصة بمقابلة المتقدمين .. فإذا جمع كبير من الشباب .. ما بين مسلمين وغير مسلمين ..

كلما خرج شخص من المقابلة سأله الواقفون .. عن ماذا سألوكم ؟ وبماذا أجبت ؟

كان من أهم أسئلتهم : كم كأساً تشرب من الخمر يومياً ؟!

جاء دور صاحبنا .. فدخل .. وتتابع عليه الأسئلة .. حتى سأله : كم تشرب من الخمر ؟

فقال : أنا لا أشرب الخمر .. قالوا : لماذا !! هل أنت مريض ؟!

قال : لا .. لكني مسلم .. والخمر حرام .. قالوا : يعني لا تشربها حتى في عظة آخر الأسبوع ؟!

قال : لا .. فنظر بعضهم إلى بعض متعجبين .. فلما ظهرت النتائج .. فإذا اسمه في أوائل المقبولين ..

بدأ عمله معهم .. ومضى عليه أشهر .. وفي يوم لقي أحد المسئولين في تلك المقابلة وسأله : لماذا كنتم تكررّون سؤالاً عن الخمر ؟!

فقال : لأن الوظيفة المطلوبة هي في الحراسات .. وكلما توظف فيها شاب .. فوجدنا به يشرّب الخمر ويسكر .. فيضيع مكانه .. ويهجم على الشركة من يسرقها .. فلما وجدناك لا تشرب الخمر عرفنا أننا وقعنا على مبتغانا .. فوظفناك هذا !!

ما أجمل الثبات على المبادئ وإن كثرت الإغراءات ..

المشكلة أننا نعيش في مجتمعات قلّ أن تجد فيها من يتمسك بمبادئه .. يعيش من أجلها ويموت من أجلها .. ويثبت على الالتزام بها .. وإن كثرت الإغراءات ..

إذا مشيت على الصحيح .. والتزمت بالصراط المستقيم ..

فيلقاه مسئول سيء الخلق .. مبعوض من قبل موظفيه .. فيحسده - ربما - أو يريد أن يقتعه ب أسلوب آخر في التعامل .. فيقول له : لا تفعل كذا .. وافعل كذا .. ولا تبسم .. ولا .. أو صاحب بقالة لا يبيع السجائر .. فيحول أن يقنعه ..

فكن بطلاً واثبت على مبادئك .. وقل بأعلى صوتك : لا!!!!!! .. مهما أغروك .. وقديماً حاول الكفار مع رسول الله أن يتنازل عن مبادئه .. فقال الله له : (ودوا لو تدهن فيدهنون) .. يعني أنهم لا مبادئ عندهم أصلاً ليحافظوا عليها .. وبالتالي لا مانع عندهم من التنازل عن مبادئهم .. فانتبه أن يغروك بترك مبادئك ..

قال تعالى :

" فلا تطع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون "

72. العفو عن الآخرين ..

لا تخلو الحياة من عثرات تصيبنا من الناس .. فهذه مزحة ثقيلة .. وتلك كلمة نابية .. وتعدّ على حاجات شخصية .. خصومة بين اثنين في مجلس .. أو اختلاف في وجهات نظر .. أو آراء .. وبعضنا يكبر الموضوع في نفسه .. وليس عنده استعداد للعفو أو النسيان .. أو ربما لم يملك استعداداً لقبول أعذار الآخرين والعفو عنهم ..

بعض الناس يعذب نفسه بعدم عفوهِ .. يملأ صدره بأحقاد تشغله تعذبه .. والله در الحسد ما أعدله .. بدأ بصاحبه فقتله .. فلا تعذب نفسك .. هناك أشياء لا يمكن أن تعاقب عليها ..

انس الماضي .. وعش حياتك .. لما دخل رسول الله مكة فاتحاً .. واطمأن الناس .. خرج حتى جاء الكعبة فطاف بها سبعاً على راحلته .. فلما قضى طوافه .. دعا عثمان بن طلحة فأخذ م

نه مفتاح الكعبة .. ففتحت له فدخلها .. فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم .. ورأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزام يستقسم بها ..

فقال : قاتلهم الله .. جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام !! ما شأن إبراهيم والأزلام !! ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ..

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .. ثم وجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيد ه .. ثم طرحها .. ثم وقف على باب الكعبة .. وقد اجتمع له الناس في المسجد مسلمين والكفار ينظرون إليه ..

ثم صلى ركعتين ثم انصرف إلى زمزم .. فاطلع فيها .. ودعا بماء فشرب منها وتوضأ ..

والناس يبتدرون وضوءه .. والمشركون يتعجبون من ذلك .. ويقولون : ما رأينا ملكاً قط ولا سمعنا به مثل هذا ..

ثم أقبل إلى مقام إبراهيم فأخره عن الكعبة .. وكان ملصقاً بها .. ثم قام على باب الكعبة فقال :

لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له .. صدق وعده .. ونصر عبده .. وهزم الأحزاب وحده ..

ألا كل مأثرة .. أو دم .. أو مال يُدعى .. فهو موضوع تحت قدمي هاتين .. إلا سدانة البيت .. وسقاية الحاج .. ثم جعل يقرر بعض الأحكام الشرعية فقال :

ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا .. ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل .. أربعة وون منها في بطونها أولادها ..

ثم نظر إلى رؤوس قريش وساداتها .. فصاح بهم :

يا معشر قريش .. إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية .. وتعظمها بالآباء ..

الناس من آدم .. وآدم من تراب ..
 ثم تلا " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "
 ثم جعل يتأمل في وجوه الكفار ..
 وهو في عزه وملكه عند الكعبة .. وهم في ذلهم وضعفهم ..
 في مكان طالما كذبوه فيه .. وأهانوه .. وألقوا
 لأوساخ على رأسه وهو ساجد ..
 وكفار قريش بين يديه .. مهزومين .. أذلاء ..
 صاغرين ..
 ثم قال : يا معشر قريش .. ما ترون أني فاعل فيكم ؟
 فانتنفصوا .. وقالوا : تفعل بنا خيراً .. أنت أخ كريم .. وابن أخ كريم ..
 عجباً !! هل نسوا ما كانوا يفعلونه بهذا الأخ الكريم ..
 أين سبكم : مجنون .. ساحر .. كاهن ؟!
 ما دام أخاً كريماً .. وأبوه أخ كريم !! فلماذا حاربتموه ؟!
 أين تعذيبكم للمسلمين الضعفاء ..
 هذا بلال واقف .. وآثار التعذيب لا تزال في ظهره ..
 وتلك نخلة قريبة قتلت عندها أمية .. وزوجها يا سر .. وهذا ابنهما عمار مع المسلمين يشهد ..
 أين حبسكم له مع المسلمين الضعفاء .. ثلاث سنين في شعب بني عامر .. حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع ..!! ما رحمتكم بكاء الصغير .. ولا أنين الشيخ الكبير .. ولا حاملاً ولا مرضعاً !!
 أين حربكم له في بدر .. وأحد .. وتحزبكم عليه في الخندق ؟
 أين منعكم له من دخول مكة معتمراً .. لما جاءكم قبل سنين .. وتركتموه محبوساً في الحديبية .. ممنوعاً من دخول مكة ؟
 أين صدكم لعمة أبي طالب عن الإسلام وهو على فراش الموت ؟
 أين .. أين ..؟ شريط طوييييل من الذكريات المولمة يمر أمام ناظريه ..

ليس هو فقط .. بل أمام ناظري أبي بكر وعمر .. وعثمان وعلي .. وبلال وعمر .. فكل واحد من هؤلاء .. له مع قريش قصة حزينة ..
 كان يستطيع أن ينزل بهم أقسى أنواع العقوبة .. فهم أعداء محاربون .. معتدون .. خونة ..
 نعم خونة .. خانوا صلح الحديبية .. واعتدوا ..
 كانوا مجرمين .. متحيرين .. لا يدرون ماذا سيفعل بهم ..
 فإذا به يدوس على الأحقاد .. ويحلق بهمته عالياً ..
 ويقول كلمة يهتف بها التاريخ : اذهبوا .. فأنتم الطلقاء ..
 فينطلقون .. مستبشرين .. تكاد أرجلهم تطير من الفرح ..
 أحقاً عفا عنا ؟!!
 ثم تلفت ينظر حول الكعبة .. فإذا ثلثمائة وستون صنماً .. تعبد من دون الله .. عند ديبته المعظم ..!!
 فجعل يضربها بيده الكريمة .. فتهدى .. وهو يقول :
 جاء الحق .. وزهق الباطل .. جاء الحق .. وما يبدئ الباطل وما يعيد ..
 عدد من كفار قريش العتاة البغاة .. الذين لهم تاريخ أسود مع المسلمين .. فروا من مكة قبل دخول النبي وأصحابه إليها .. منهم صفوان بن أمية ..
 فإنه فر منها هارباً .. وقد تحير أين يذهب ..
 فمضى إلى جدة ليركب منها إلى اليمن .. فلما رأى الناس عفو رسول الله .. وندى سيانه للماضي الأليم ..
 جاء عمير بن وهب إلى رسول الله فقا ل :
 يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قوم .. وقد خرج هارباً منك .. ليقذف نفسه في البحر .. فأمنه .. صلى الله عليك ..

قال r بكل بساطة : هو آمن ..

قال عمير : يا رسول الله .. فأعطني آية يعرف بها أمانك .. فأعطاه رسول الله r عمامته التي دخل فيها مكة .. حتى إذا رآها صفوان .. عرفها فوثق في صدق عمير ..

خرج بها عمير حتى أدركه .. وهو يريد أن يركب في البحر ..

فقال : يا صفوان .. فذاك أبي وأمي .. الله .. الله .. في نفسك أن تهلكها .. فهذا أمان من رسول الله r قد جنتك به ..

فقال صفوان : ويحك .. أغرب عني فلا تكلمني .. فإني كذاب .. وكان خائفاً من مغبة ما كان فعله بالمسلمين ..

قال : أي صفوان .. فذاك أبي وأمي .. رسول الله .. أفضل الناس .. وأبر الناس .. وأحلم الناس .. وخير الناس .. وهو ابن عمك .. عزه عزك .. وشرفه شرفك .. وملكه ملكك ..

قال : إني أخافه على نفسي ..

قال : هو أحلم من ذاك وأكرم ..

فرجع صفوان معه ..

حتى وصلا إلى مكة .. فمضى به عمير حتى وقف به على رسول الله r ..

فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني ..

قال : صدق ..

قال صفوان : أما دخولي في الإسلام .. فاجعلني بالخيار فيه شهرين ..

فقال r : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر ..

ثم أسلم صفوان بعد ذلك ..

ما أجمل العفو عن الناس .. ونسيان الماضي الأليم .. هذا خلق بلا شك لا يستطيعه إلا العظماء .. الذين يترفعون بأخلاقهم عن سفالة الانتقام .. ولحقدهم .. وشفاء الغيظ .. فالحياة قصيرة - على حال - .. نعم هي أقصر من أن ندنسها بحقد وضغينة ..

حتى في الحاجات الخاصة .. كان هيناً لين

أ ..

قال المقداد بن الأسود t : قدمت المدينة أنا وصا

حبان لي ..

فتعرضنا للناس فلم يصفنا أحد ..

فاتينا إلى النبي r .. فذكرنا له .. فأضافنا في منزل وعنده أربع أعنز ..

فقال : احلبهن يا مقداد .. وجزئهن أربعة أجزاء .. وأعط كل إنسان جزءاً فكنتم أفعل ذلك ..

فكان المقداد كل مساء .. يحلب فيشرب هو وصاحبه .. ويبقى جزء النبي عليه الصلاة والسلام .. فإن كان موجوداً شربه .. وإن كان غائباً حفظوه له حتى يرجع .. وفي ليلة من الليالي .. تأخر النبي r في الد

مجيء إليهم ..

واضطجع المقداد على فراشه .. فقال في نفسه :

إن النبي r .. قد أتى أهل بيت من الأنصا

ر .. فأطعموه ..

فلو قمت فشربت هذه الشربة ..

فلم تزل به نفسه حتى قام فشربها .. ولم يدق للنبي r شيئاً ..

قال المقداد : فلما دخل في بطني وتقار .. أخذني ما قدم وما حدث ..

فقلت : يجيء الآن النبي r جائعاً .. ظمآن

اً .. فلا يرى في القدر شيئاً .. فيدعو ع

ي ..

فسجيت ثوباً على وجهي .. يعني من اله

م ..

فلما مضى بعض الليل ..

وجاء النبي r .. فسلم تسليمة تسمع اليقظا

ن .. ولا توقظ النائم ..

والمقداد على فراشه .. ينظر إليه .. فأقبل r إلى إنائه ..

فكشف عنه فلم ير شيئاً .. فرفع بصره إلى السماء ..

ففزع المقداد .. وقال : الآن يدعو عليّ ..

فتسمع ماذا يقول .. فإذا به r يقول :

اللهم اسق من سقاني .. وأطعم من أطعم

ي ..

فلما سمع المقداد ذلك .. أغتتم دعوة النبي

فقال : وأي داء أدوأ من البخل ؟!! بل سيد كم الأبيض الجعد فلان ..

هكذا جرى النقاش بين إحدى القبائل وبين رسول الله e لما أسلموا فسألهم عن سيدهم ليقره عليهم بعد إسلامهم أو يغيره .. نعم وأي داء أدوأ من البخل ..

ما أقبح البخل وما أعرض الناس عنه .. و ما أثقله عليهم ..

لا يكاد يقيم في بيته وليمة يتحجب بها إليها م .. ولا يكاد يهدي هدية .. ولا يكاد يعتني بجمال مظهره .. ولا يهتم بزكاء برائحه .. توفيراً للمال .. ورضاً بالدون ..

أما الكريم فهو مفضل على أصحابه .. قري ب من أحبابه .. إن اشتاقوا للاجتماع والأث س ففي بيته .. وإن نقص على أحدهم شيء ء تفضل عليه به .. فيأسر نفوسهم بكرمه ه .. ويستعبد قلوبهم بإحسانه ..

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان

إحسان

وينبغي عند إكرام غيرك أن تكون نيتك حسنة .. للتألف مع إخوانك المسلمين .. وكسب مودتهم .. والتقرب إلى الله بالإحسان إليهم .. لا لأجل شهرة أو رئاسة أو كسب مديحهم وثنائهم ..

قال e : أول من تسعر بهم النار ثلاثة .. و ذكر منهم رجلاً كان ينفق ليقال جواد أي كريم .. فلم يعمل ابتغاء وجه الخالق وإنما ابتغى وجه المخلوق .. رياءً وسمعة .. وإليك الحديث كاملاً :

قال سفيان :

دخلت المدينة .. فإذا أنا برجل قد اجتمع الناس عليه ..

فقلت : من هذا ؟

قالوا : أبو هريرة ..

فدنوت منه حتى قعدت بين يديه .. وهو يدب الناس ..

فلما سكت وخلا .. قلت : أنشدك الله .. بدق وحق .. لما حدثتني حديثاً سمعته من ر

استمتع بحياتك .. عليه الصلاة والسلام ..

قام فأخذ الشفرة السكين .. فدنا إلى الأعنز .. ليذبح إحداها .. ليطعم النبي r ..

فجعل يجسهن ينظر أيتها أسمن ليذبحها .. فوقعت يده على ضرع إحداهن فإذا هي حافل .. مليئة باللبن ..

ونظر إلى الأخرى فإذا هي حافل .. فنظرت فإذا هي كلهن حفل .. فحلب في إناء كبير .. فملأه حتى علت رغوته ..

ثم أتى به النبي r .. فقال : اشرب .. فلما رأى رسول الله r كثرة اللبن .. قال :

أما شربتم شرابكم الليلة يا مقداد ؟ فقال : اشرب يا رسول الله .. فقال : ما الخبر يا مقداد ؟

قال : اشرب ثم الخبر .. فشرب النبي ثم ناول القدح للمقداد .. فقال المقداد : اشرب يا رسول الله .. فشرب ثم ناوله القدح .. قال : اشرب يا رسول الله ..

قال المقداد .. فلما عرفت أن رسول الله r قد روي .. وأصابنتي دعوته ..

ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض .. فقال رسول الله : إحدى سواك يا مقداد ! ..

فقلت : يا رسول الله .. إنك قد أبطأت علينا الليلة .. وكنت جائعاً فقلت في نفسي لعل رسول الله r قد تعشى عند بعض الأنصار .. وقص عليه القصص كلها .. وكيف أن الأعنز حلبت في ليلة واحدة مرتين .. على غير العادة ..

كان من أمري كذا .. فصنعت كذا وكذا .. فقال : ما كانت هذه إلا رحمة الله .. ألا كنت آذنتني توقظ صاحبك هذين فيصيان منها .. فقلت : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتهم .. وأصبتهم معك من أصابها من الناس ..

وجهة نظر ..

الحياة أخذ وعطاء .. فاجعل عطاءك أكثر من أخذك ..

73. الكرم ..

قال لهم : من سيدكم ؟

قالوا : سيدنا فلان .. على أننا نبذله ..

ويؤتى بالرجل الذي قتل في سبيل الله .. في
قال له : فيم قتلت ؟
فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك .. فقاتلت
حتى قتلت ..
فيقول الله : كذبت ..
وتقول الملائكة له : كذبت ..
ويقول الله : بل أردت أن يقال : فلان جري
ع .. فقد قيل ذلك ..
ثم ضرب رسول الله على ركبتي فقال :
يا أبا هريرة .. أولئك الثلاثة أول خلق الله ت
سعر بهم النار يوم القيامة (86) ..
فإذا أحسنت النية في كرمك فأبشر بالخير
ر ..

وأولى من تحسن إليهم ليحبوك ويكرموا
ك .. أهل بيتك .. الأم .. الأب .. الزوجة ..
الأولاد .. ثم الأقرب فالأقرب .. ابدأ بنفسك
ثم بمن تعول .. وكفى بالمرء إثماً أن يضي
ع من يعول ..

ولا بد من التفريق بين الكرم والإسراف ..
دلف رجل في شارع قديم فمر ببيت متها
ك .. فإذا فتاة صغيرة قد جلست على عتبة
الباب بثياب رثة .. وهينة فقيرة .. فسألها
أ : من أنت ؟

قالت : أنا ابنة حاتم الطائي ..
فقال : عجباً !! ابنة حاتم الطائي الكريم ال
جواد .. على هذا الحال !!
فقالت : كرم أبي صيرنا إلى ما ترى !!
كان رسول الله أكرم الناس .. ولم يكن
جشعاً ينظر في مصلحة نفسه ولا يلتفت إل
ى غيره ..

كلا ..
قال أبو هريرة t :

والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد ع
ى الأرض من الجوع .. وإن كنت لأشد الح
جر على بطني من الجوع ..
ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجو
ن منه .. فمر أبو بكر .. فسألته عن آية م

سول الله .. وعلمته ..
فقال أبو هريرة : أفعل .. لأحدثك حديثاً حدثني
رسول الله .. عقلته وعلمته ..
ثم نشغ أبو هريرة نشغة (شهق) .. فمكت قلي
لاً .. ثم أفاق ..
فقال : لأحدثك حديثاً حدثني رسول الله ..
وأنا وهو في هذا البيت .. ليس فيه أحد غيري و
غيره ..
ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى .. فمكت بذلك ..
ثم أفاق .. ومسح وجهه .. فقال :
أفعل .. لأحدثك بحديث حدثني رسول الله ..
وأنا وهو في هذا البيت .. ليس فيه أحد غيري و
غيره ..
ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى .. ثم مال خاراً
على وجهه .. وأسندته طويلاً .. ثم أفاق .. فقا
ل :
حدثني رسول الله :

إن الله عز وجل إذا كان يوم القيامة .. نزل إلى ا
لعباد ليقضي بينهم .. وكل أمة جاثية ..
فأول من يدعو به : رجل جمع القرآن .. ورجل ي
قتل في سبيل الله .. ورجل كثير المال ..
فيقول الله للقارىء : ألم أعلمك ما أنزلت على ر
سولي ؟

قال : بلى يا رب ..
قال : فماذا عملت فيما علمت ؟
قال : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار ..
فيقول الله له : كذبت ..
وتقول الملائكة له : كذبت ..
فيقول الله عز وجل : أردت أن يقال : فلان قارى
ع .. فقد قيل ..

ويؤتى بصاحب المال فيقول : ألم أوسع عليك حت
ى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟

قال : بلى ..
قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟
قال : كنت أصل الرحم .. وأتصدق ..
فيقول الله : كذبت ..
وتقول الملائكة : كذبت ..
ويقول الله : بل أردت أن يقال : فلان جواد .. فق
د قيل ذلك ..

ن كتاب الله .. ما سألته إلا ليستتبعني .. فلم يفع
ل ..

ثم مرَّ عمر .. فسألته عن آية من كتاب الله .. ما
سألته إلا ليستتبعني .. فمر فلم يفعل ..

ثم مرَّ بي أبو القاسم r .. فتبسم حين رأي .. و
عرف ما في وجهي وما في نفسي ..

ثم قال : أبا هر .. قلت : لبيك يا رسول الله .. قا
ل : الْحَقُّ ..

ومضى .. فاتبعته .. فدخل .. فاستأذن .. فأذن لـ
ي .. فدخلت ..

فوجد لبناً في قدح .. فقال : من أين هذا اللبن ؟
قالوا : أهده لك فلان .. أو فلانة ..

قال : أبا هر .. قلت : لبيك يا رسول الله ..

قال : الْحَقُّ أهل الصفة .. فادعهم لي ..

قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام .. لا يأوون إلـ
ى أهل ولا إلى مال .. إذا أتته صدقة بعث بها إليـ
هم ولم يتناول منها شيئاً .. وإذا أتته هدية أرسـ
ل إليهم .. وأصاب منها وأشركهم فيها .. فسأند
ي ذلك ..

وقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة !! كنت أد
ق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها .. فإـ
ذا جاءوا .. أمرني .. فكنت أنا أعطيهم .. وما عـ
سى أن يبلغني من هذا اللبن ..

ولم يكن من طاعة الله .. وطاعة رسوله بد .. فـ
أتيتهم .. فدعوتهم ..

فأقبلوا .. فأذن لهم .. وأخذوا مجالسهم من البيـ
ت .. فقال : يا أبا هر ..

قلت : لبيك يا رسول الله .. قال : خذ .. فأعطهـ

م ..
فأخذت القدح .. فجعلت أعطيه الرجل فيشرب دـ

تى يروى .. ثم يرد علي القدح .. فأعطيه الآخـ
ر .. فيشرب حتى يروى .. ثم يرد علي القدح ..

فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى .. ثم يرد علي
القدح ..

حتى انتهيت إلى النبي r .. وقد روي القوم كلهـ
م .. فأخذ القدح فوضعه على يده .. فنظر إلي فتـ

بسم فقال : أبا هر .. قلت : لبيك يا رسول الله ..
قال :

بقيت أنا وأنت ؟ قلت : صدقت يا رسول الله .. قا

ل : اقعد فاشرب .. فقعدت فشربت .. فقا
ل : اشرب .. فشربت ..

فما زال يقول : اشرب .. حتى قلت : لا ..
والذي بعثك بالحق .. ما أجد له مسلماً .. قـ

ال : فأرني .. فأعطيته القدح .. فحمد الله
وسمى .. وشرب الفضلة .. (87)

وللكرم أسرار ..

أحياناً لا تتكرم على الشخص مباشرة .. وإـ
نما تتكرم على من يحبهم .. فيحبك ..

زارني أحد الأصدقاء يوماً .. وكان يحمل دـ
يساً فيه عدد من الحلويات والألعاب .. أظنـ

ها لم تكلفه بضعة ريالاً .. وضعها بجانب
الباب لما دخل .. وقال : هذه للأولاد ..

فرح بها الصغار .. وفرحت بها أنا لأنه أشـ
عربي أنه يحب إدخال السرور على أولادـ

ي ..

كان أحد السلف عالماً .. لكنه كان فقير
اً ..

فكان طلابه يهدون إليه بين فترة وأخرى ..
أنواعاً من الهدايا .. تمر .. دقيق ..

وكان الطالب إذا أهدى إليه .. لم يزل الشيد
خ مكرماً مقبلاً عليه .. ما دامت هديته باقـ
ية ..

فإذا انتهت .. رجع إلى طبعه الأول ..

ففكر أحد طلابه بهدية يحملها إلى الشيخ ..
تكون معقولة الثمن .. وتطول مدة بقائها ..

فأهدى إليه كيس ملح ..

ولو استشرتني في هديتين ستهدي إحداهما
إلى صديق ..

أولهما زجاجة عطر رائع .. ثمين ..

أو ساعة حائطية تكتب عليها إهداءً باسمـ
ه ..

لاخترت الساعة .. لأنها يطول بقاؤها .. ويـ
راها دائماً ..

وأذكر أن أحد طلابي أهديته ساعة حائطية
فيها إهداء باسمه ..

وتخرج من الكلية .. ومرت السنين ..

ثم زرت إحدى المدن فتفاجأت به يحضر الـ

لأمة .. وصيام .. وزكاة .. ويأتي قد شتم هذا
 ١ .. وقذف هذا .. وأكل مال هذا .. وسفك د
 م هذا .. وضرب هذا ..
 فيعطى هذا من حسناته .. وهذا من حسنات
 ٤ .. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما ع
 به .. أخذ من خطاياهم فطرحه عليه .. ثم
 طرح في النار (88) ..
 لذا كان يتجنب أذى الناس بشتى أشكال
 ٤ ..

قالت عائشة : **ما ضرب** رسول الله
 شيئاً قط **بيده** .. ولا امرأة .. ولا خادماً ..
 إلا أن يجاهد في سبيل الله .. وما نيل منه
 شيء قط فينتقم من صاحبه .. إلا أن ينتهك
 شيء من محارم الله .. فينتقم لله عز وجل
 (89) ..
 وعموماً .. من استعمل هذه النعم لأذى النا
 س أبغضوه .. وقد يبغضه الله في دنياه قبل
 أخراه .. فيشفي صدورهم ..
 أذكر أن أحد الأصدقاء من طلبة العلم وحفظ
 القرآن .. كان رجلاً صالحاً .. يأتيه بع
 ض الناس أحياناً يقرأ عليهم شيئاً من الق
 رآن كرقية شرعية .. وقد شفى الله تعالى
 على يده من شاء ..
 دخل عليه يوماً من الأيام رجل تبدو عليه
 علامات الثراء .. جلس بين يدي الشيخ وق
 ال : يا شيخ .. أنا عندي آلام في يدي اليس
 رى تكاد تقتلني .. لا أنام في ليل .. ولا أرت
 اح في نهار ..
 ذهبت إلى عدد كبير من الأطباء .. أجروا ل
 ي الفحوصات .. عملوا تمارين .. ما فيه ف
 ندة أبداً ..
 الألم يزيد ويشد حتى انقلبت حياتي عذاباً
 ١ ..

يا شيخ .. أنا تاجر وعندي عدد من المؤس
 سات والشركات .. فأخشى أن أكون أصبت
 بعين حاسدة .. أو وضع لي أحد الأشرار س
 حراً ..

استمتع بحياتك ..
 محاضرة ويدعوني إلى بيته ..
 فلما دخلت مجلس الضيوف فإذا به يشير إلى الس
 اعة معلقة على الحائط .. ويقول : هذه أعلى هد
 ية عندي ..
 وقد مر على تخرجه سبع سنين ..
 بقي أن تعلم أن هذه الساعة لم تكلف إلا شيئاً ي
 سيراً .. لكن قيمتها المعنوية أعلى وأكبر ..

وجهة نظر ..
 كسب قلوب الناس فرص قد لا تتكرر

74. كف الأذى ..
 كان الناس يبغضونه ..
 ما يكاد أحد يسلم من أذاه ..
 إن سلمت من يده فلن تسلم من لسانه .. وإن فات
 ٤ أن يجلدك بسوط لسانه في حضرتك فلن يفوته
 أن يجلدك في غيبتك ..
 فعلاً .. كان رجلاً مكروهاً .. أثقل على الناس م
 ن صم الجبال الراسيات ..
 وإذا تأملت في أحوال الناس فسوف تصل إلى يقين
 ن بأنه لا يؤدي غالباً إلا من كان عنده نعمة تفو
 ق من يقابله ..
 فالقوي يتجراً على إيذاء الضعيف .. يدفعه بيد
 ه .. أو يركله برجله .. يضرب ويحقّر .. فيصير
 أسداً عليه لكنه في الحروب نعمة !!
 والغني يتعدى على الفقير .. فيهيئه في المجال
 س .. يقاطعه في كلامه ..
 أما صاحب المنصب والجاه .. فله حظ كبير من ذ
 لك ..
 وقل مثل ذلك فيمن جعل الله نسبه رفيعاً ..
 وهؤلاء في الحقيقة .. إضافة إلى بغض الناس ل
 هم .. وتمنيهم زوال عزهم .. وفرحهم بمصائبه
 م ..
 هم أيضاً مفلسون ..
 وانظر إلى رسول الله .. وقد جلس مع أصحا
 به يوماً فقال لهم :
 أتدرون ما **المفلس** ؟

قالوا : **المفلس** فينا من لا درهم له ولا متاع ..
 فقال : إن **المفلس** من أمتي يأتي يوم القيامة بص

(88) رواه مسلم

(89) رواه مسلم

قال الشيخ : قرأت عليه سورة الفاتحة .. وآية الـ
كرسي .. وسورة الإخلاص والمعوذتين ..
لم يظهر عليه تأثير .. خرج من عندي شاكراً ..
رجع إليّ بعد أيام يشكو الألم نفسه .. قرأت علي
ه .. ذهب ورجع .. وقرأت عليه .. لم يظهر علي
ه أي تحسن ..

قلت له لما اشتد عليه الألم : قد يكون ما أصابك
هو عقوبة على شيء فعلته .. من ظلم أحد الضع
فاء .. أو أكل حقوقهم .. أو ظلمت أحداً في ماله
فمنعته حقه .. أو غير ذلك .. فإن كان هناك شيء
من ذلك فسارع إلى التوبة مما جنيت .. وأعد
الحقوق إلى أهلها .. واستغفر الله مما مضى ..
التاجر لم يرق له كلامي .. وقال - بكبر - : أبداً
أ .. ما ظلمت أحداً .. ولم أعتد على شيء من
حقوق الناس .. وأشكرك على نصيحتك .. وخر
ج ..

مرت أيام وغاب الرجل عني .. خشيت أن يكون
وجد علي في نفسه .. ولكن لا عليّ فهي نصيحة
أسديتها إليه .. تفاجأت به يوماً في مكان م
أ .. لقيني فأقبل إليّ مسلماً مسروراً ..
سألته : هاه .. ما الأخبار ؟

قال : الحمد لله .. الآن يدي بخير .. بغير طب و
لا علاج !!
قلت : كيف ؟

قال : لما خرجت من عندك .. جعلت أفكر في نص
يحتك .. وأستعيد شريط ذكرياتي في ذهني .. وأف
كر !! ترى هل ظلمت أحداً ؟! هل أكلت حق أحد
؟! فتذكرت أنني قبل سنوات لما كنت أبني قصر
ي .. كان بجانبه أرض رغبت في ضمها إليه ليك
ون أجمل .. كانت الأرض ملكاً لامرأة أرملة توف
ي زوجها وخلف أيتاماً ..
أردتها أن تباع الأرض فأبت .. وقالت : وماذا أف
عل بقيمة الأرض .. بل تبقى لهؤلاء الأيتام حتى
يكبروا .. أخشى أن أبيعها ويتشتت المال ..
أرسلت إليها مراراً لشراؤها .. وهي تأبى علي ذ
لك ..

قلت : فماذا فعلت ؟

قال : انتزعت الأرض منها بطرقي الخاصة ..
قلت : طرقك الخاصة !!

قال : نعم .. علاقتي الواسعة .. ومعارف
ي .. استخرجت ترخيصاً ببناء الأرض و
ضممتها إلى أرضي ..
قلت : وأم الأيتام ؟!!
قال : سمعت بما حصل لأرضها فكانت تأتي
وتصرخ بالعمال الذين يعملون لثمنهم من
البناء .. وهم يضحكون منها يظنونها مجذ
ونة .. وفي الواقع أنني أنا المجنون ليس
هي ..

كانت تبكي وترفع يديها إلى السماء .. هذا
ما رأيته بعيني .. ولعل دعاءها في ظلمة الـ
ليل كان أعظم ..
قلت : هاه .. أكمل ..

قال : رحت أسأل وأبحث عنها .. حتى عثر
ت عليها .. فبكيت واعتذرت .. ولا زلت به
أ حتى قبلت مني تعويضاً عن تلك الأر
ض .. ودعت لي وسامحتني ..

فوالله ما إن خفضت يديها .. حتى دبت العا
فية في بدني ..
ثم أطرق التاجر برأسه قليلاً .. ثم رفعه وق
ال : ونفني دعاؤها - بإذن الله - نفعاً ع
جز عنه طب الأطباء ..

قالوا ..

نامت عيونك والمظلوم منتبه*يدعو عليك
وعين الله لم تنم

75. لا للعداوات ..

تجد أن الناس عند التعامل معهم لهم طبائ
ع ..
منهم الغضوب ومنهم البارد .. ومنهم الذك
ي ومنهم الغبي .. والمتعلم والجاهل ..
ومنهم حسن الظن وسيء الظن .. و :
من عامل الناس لاقى منهم نصيباً ..
فإن سدّ سدّهم بغيّ و

طغيان

فالظالم يغفل عن ظلمه ويرى أنه أعدل النا
س ..
والغبي يرى أنه أذكى الناس ..

فاستدعى أحد المعبرين .. وقص عليه الرؤيا وسأله عن تعبيرها؟!!

فتغير المعبر لما سمعها .. وجعل يردد : أعوذ بالله .. أعوذ بالله .. تمضي عليك السنين .. ويموت أولادك وأهلك جميعاً .. وتبقى في ملكك وحدك ..

فصاح الملك .. وغضب .. وسب ولعن .. وأمر بالمعبر أن يسحب ويجلد .. ثم دعا بمعبر آخر .. وقص عليه الرؤيا .. وسأله عن تعبيرها ..

فاستهل ذاك المعبر .. وتبسم .. وأظهر البشاشة .. وقال : أبشر .. خير .. خير .. أيها الملك ..

هذا معناه أنك سيطول عمرك جداً .. حتى تكون آخر أهلك موتاً .. وتبقى طول عمرك ملكاً ..

فاستبشر الملك وأمر له بالأعطيات .. وبقي راضياً عليه .. ساخطاً على الآخر!! مع أنك لو تأملت لوجدت أن التعبيرين متماثلان متطابقان .. لكن الأول عبر بأسلوب و الآخر عبر بأسلوب آخر .. نعم .. اللسان سيد الأعضاء .. وفي الحديث .. قال :

إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها **تكفر** **اللسان** .. فتقول :

اتق الله فينا .. فإنما نحن بك .. فإن استقمنا .. وإن اعوججت اعوججنا .. (90)

نعم .. والله إنه لسيد .. سيد في خطبة الجمعة .. وسيد في الإصلاح .. بين الناس .. وسيد في التسويق .. وسيد في المحاماة ..

ولا يعني هذا أنه إذا فقد الإنسان .. انتهت حياته .. كلا بل صاحب الهمة يبقى بطلاً .. لم يكن أبو عبد الله يختلف كثيراً عن بقية أصدقائي .. لكنه .. والله يشهد .. من أحر صهم على الخير ..

له عدة نشاطات دعوية من أبرزها ما يقوم

والأخرق السفية .. يرى أنه حكيم زمانه .. أذكر لما كنت شاباً .. وأظنني لا أزال كذلك .. أعني لما كنت في أوائل الدراسة الثانوية .. أقبل علينا ضيف ثقيل .. لا أدري هل أكمل دراسته الابدائية أم لا ؟ لكن الذي أجزم به أنه يقرأ ويكتب ..

وكنت مشغولاً وقت دخوله بمسألة شرعية لم أجدها جواباً ..

وضعت له ما يوضع للضيف من قرى .. ثم تناولت الهاتف وجعلت أكرر الاتصال بالشيخ ابن باز رحمه الله لسؤاله عنها ..

لم أجد الشيخ .. رآني صاحبي منشغلاً إلى هذا الحد .. فسألني : بمن تتصل ..

قلت : بالشيخ ابن باز .. عندي استفتاء مهم .. فبادرني قائلاً بكل ثقة : سبحان الله .. ابن باز .. وأنا موجود؟! (لولا الحياء لجعلت بقية الكتاب علامات تعجب!!)

تجد من الناس كثيرين كذلك .. فتحمل ثقلهم .. وعاملهم بلطف .. واكسبهم .. حاول بقدر استطاعتك أن لا تكسب عداوات .. فلم تبعث عليهم وكيلاً .. أنقذ ما يمكن إنقاذه .. ولا تعذب نفسك ..

خاطرة ..

الحياة اقصر من أن تشغلها باكتساب عداوات

76. اللسان .. ملك!!

تأملت فيما يحدث التباغض والشقاق بين الناس .. ويجعل بعضهم أثقل من الجبل على الآخرين .. فلا يحبون رؤيته ولا مجالسته .. ولا السفر معه .. ولا حضور وليمة هو مدعو إليها .. وجدت أن أكثر يوصل الشخص إلى هذا المستوى البغيض هو اللسان ..

فكم من خصومات وقعت بين إخوان .. وأزواج .. بسبب مسبة أو غيبة أو شتم!! لسان الفتى نصف ونصف فواده .. فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ذكر أن ملكاً معظماً رأى في منامه أن أسنانه تساقطت ..

به أثناء عمله .. فهو يعمل مترجماً في معهد الصم والبكم .

اتصل بي يوماً وقال : ما رأيك أن أحضر إلى مسجديك اثنين من منسوبي معهد الصم لإلقاء كلمة على المصلين ..

تعجبت !! وقلت : صم يلقون كلمة على ناطقين ؟

قال : نعم .. وليكن مجيئنا يوم الأحد ..

انتظرت يوم الأحد بفارغ الصبر ..

وجاء الموعد ..

وقفت عند باب المسجد أنتظر ..

فإذا بأبي عبد الله يقبل بسيارته ..

وقف قريباً من الباب .. نزل ومعه رجلان ..

أحدهما كان يمشي بجانبه ..

والثاني قد أمسكه أبو عبد الله يقوده بيده ..

نظرت إلى الأول فإذا هو أصم أبكم .. لا يسمع و

لا يتكلم .. لكنه يرى ..

والثاني أصم .. أبكم .. أعمى .. لا يسمع ولا يتكلم

م ولا يرى ..

مددت يدي وصافحت أبا عبد الله ..

كان الذي عن يمينه - وعلمت بعدها أن اسمه أحمد -

يُنظر إليّ مبتسماً .. فمددت يدي إليه م

صافحاً ..

فقال لي أبو عبد الله - وأشار إلى الأعمى - :

سلم أيضاً على فايز .. قلت : السلام عليكم .. فا

يز ..

فقال أبو عبد الله : أمسك يده .. هو لا يسمعك و

لا يراك ..

جعلت يدي في يده .. فشدني وهز يدي ..

دخل الجميع المسجد .. وبعد الصلاة جلس أبو ع

بد الله على الكرسي وعن يمينه أحمد .. وعن ي

ساره فايز ..

كان الناس ينظرون مندهشين .. لم يتعودوا أن ي

جلس على كرسي المحاضرات أصم ..

التفت أبو عبد الله إلى أحمد وأشار إليه ..

فبدأ أحمد يشير بيديه .. والناس ينظرون .. لم ي

فهموا شيئاً ..

فأشرت إلى أبي عبد الله .. فاقترب إلى مكبر الص

وت وقال :

أحمد يحكي لكم قصة هدايته .. ويقول لك

م .. ولدت أصم .. ونشأت في جدة .. وكان

أهلي يهملونني .. لا يلتفتون إليّ .. كنت أ

رى الناس يذهبون إلى المسجد .. ولا أدر

ي لماذا ! أرى أبي أحياناً يفرش سجادته

ويركع ويسجد .. ولا أدري ماذا يفعل ..

وإذا سألت أهلي عن شيء .. احتقروني و

م يجيبوني ..

ثم سكت أبو عبد الله والتفت إلى أحمد وأشد

ار له ..

فواصل أحمد حديثه .. وأخذ يشير بيديه ..

ثم تغير وجهه .. وكأنه تأثر ..

خفض أبو عبد الله رأسه ..

ثم بكى أحمد .. وأجهش بالبكاء ..

تأثر كثير من الناس .. لا يدرون لماذا يبكي

ي ..

واصل حديثه وإشارات بتأثر .. ثم توقف ..

فقال أبو عبد الله : أحمد يحكي لكم الآن فت

رة التحول في حياته .. وكيف أنه عرف ا

لله والصلاة بسبب شخص في الشارع عط

ف عليه وعلمه .. وكيف أنه لما بدأ يصلي

شعر بقدر قربته من الله .. وتخيل الأجر الع

ظيم لبلائه .. وكيف أنه ذاق حلاوة الإيما

ن ..

ومضى أبو عبد الله يحكي لنا بقية قصة أحم

مد ..

كان أكثر الناس مشدوداً متأثراً ..

لكني كنت منشغلاً .. أنظر إلى أحمد تار

ة .. وإلى فايز تارة أخرى .. وأقول في نف

سي .. هاهو أحمد يرى ويعرف لغة الإشارة

ة .. وأبو عبد الله يتفاهم معه بالإشارة .. ت

رى كيف سيتفاهم مع فايز .. وهو لا يرى

ولا يسمع ولا يتكلم !!..

انتهى أحمد من كلمته .. ومضى يمسيح بقايا

الدموع ..

التفت أبو عبد الله إلى فايز ..

قلت في نفسي : هه ؟؟ ماذا سيفعل !!؟

ضرب أبو عبد الله بأصابعه على ركبة فاي

ز ..

فانطلق فايز كالسهم .. وألقى كلمة مؤثرة ..
تدري كيف ألقاها ؟

بالكلام ؟ كلا .. فهو أبكم .. لا يتكلم ..

بالإشارة ؟ كلا .. فهو أعمى .. لم يتعلم لغة الإشارة ..

ألقى الكلمة بـ (اللمس) .. نعم باللمس .. يجعل
أبو عبد الله (المترجم) يده بين يدي فايز .. فيل
مسه فايز لمسات معينة .. يفهم منها المترجم م
راده .. ثم يمضي يحكي لنا ما فهمه من فايز ..
وقد يستغرق ذلك ربع ساعة ..

وفايز ساكن هادئ لا يدري هل انتهى المترجم أم
لا .. لأنه لا يسمع ولا يرى ..

فإذا انتهى المترجم من كلامه .. ضرب ركبة فاي
ز .. فيمد فايز يديه ..

فيضع المترجم يده بين يديه .. ثم يلمسه فايز للم
سات آخر ..

ظل الناس يتنقلون بأعينهم بين فايز والمترجم ..
بين عجب تارة .. وإعجاب أخرى ..

وجعل فايز يحث الناس على التوبة .. كان أحياناً
أ يمسك أذنيه .. وأحياناً لسانه .. وأحياناً يضع
كفيه على عينيه ..

فإذا هو يأمر الناس بحفظ الأسماع والأبصار عن
الحرام ..

كنت أنظر إلى الناس .. فأرى بعضهم يتمتم : سب
حان الله .. وبعضهم يهمس إلى الذي بجانبه ..
وبعضهم يتابع بشغف .. وبعضهم يبكي ..

أما أنا فقد ذهبت بعينيبيداً ..
أخذت أقارن بين قدراته وقدراتهم .. ثم أقارن بي
ن خدمته للدين وخدمتهم ..

الهم الذي يحمله رجل أعمى أصم أبكم .. لعله يع
دل الهم الذي يحمله هؤلاء جميعاً ..

والناس ألف منهم كواحد ** وواحد كالألف إن أم
ر عنا

رجل محدود القدرات .. لكنه يحترق في سبيل خ
دمة هذا الدين .. يشعر أنه جندي من جنود الإس
لام .. مسئول عن كل عاص ومقصر ..

كان يحرك يديه بحرقة .. وكأنه يقول يا تارك ال
صلاة إلى متى ..؟ يا مطلق البصر في الحرام إل
ى متى ..؟ يا واقعاً في الفواحش ؟ يا أكلاً للحرا

م ؟ بل يا واقعاً في الشرك ؟

كلكم إلى متى .. أما يكفي حرب الأعداء لدي
ننا .. فتحاربونه أنتم أيضاً !!

كان المسكين يتلون وجهه ويعتصر ليستطيع
ع إخراج ما في صدره ..

تأثر الناس كثيراً .. لم ألتفت إليهم .. لكني
سمعت بكاء وتسبيحات ..

انتهى فايز من كلمته .. وقام .. يمسك ابو
عبد الله بيده .. تراحم الناس عليه يسلمو

ن ..
كنت أراه يسلم على الناس .. وأحس أنه ي
شعر أن الناس عنده سواسيه ..

يسلم على الجميع .. لا يفرق بين ملك ومم
لوك .. ورئيس ومروؤس .. وأمير ومأمو

ر ..
يسلم عليه الأغنياء والفقراء .. والشرفاء

والوضعاء .. والجميع عنده سواء ..
كنت أقول في نفسي ليت بعض النفعيين مثلاً

ك يا فايز ..
أخذ أبو عبد الله بيد فايز .. ومضى به خار

جاً من المسجد ..
أخذت أمشي بجانبهما .. وهما متوجهان لـ

سيارة ..
والمترجم وفايز يتمازحان في سعادة غامر

ة ..
آآه ما أحقر الدنيا ..

كم من أحد لم يصب بربع مصابك يا فايز و
لم يستطع أن ينتصر على الضيق والحز

ن ..
أين أصحاب الأمراض المزمنة .. فشل كلو

ي .. شلل .. جلطات .. سكري .. إعاقا
ت ..

لماذا لا يستمتعون بحياتهم.. ويتكيفون مع
واقعهم ..

ما أجمل أن يبتلي الله عبده ثم ينظر إلى قلب
ه فيراه شاكراً راضياً محتسباً ..

مرت الأيام .. ولا تزال صورة فايز مرسوم
ة أمام ناظري ..

الإنسان لا لحمه يؤكل .. ولا جلده يلبس ..
فماذا فيه غير حلاوة اللسان !!

77. اضبط لسانك ..

إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه ..
هكذا حذر النبي ﷺ الناس من إطلاق الكلام على عواهنه .. دون النظر في العواقب ..
عدم ضبط اللسان قد يؤدي إلى المهالك ..
احفظ لسانك أيها الإنسان
لا يلدغك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه

كانت تهاب لقاءه الشجعان

كم من امرأة طلقها زوجها بسبب اللسان .. يختل ف معها .. فتردد قائلة له : طلقني .. أتحداك تطلعتني .. إن كنت رجلاً طلقني .. فيأمرها بالسكوت .. يصرخ بها .. ينهرها .. يشتد الأمر بينهم .. فينهدم البناء .. ويطلقها ..
لذا أمر ﷺ الشخص إذا غضب أن يسكت .. نعم يسكت ..

لأنه إن لم يضبط لسانه .. أرداه في المهالك ..
يموت الفتى من زلة بلسانه

وليس يموت المرء من زلة

الرجل

أذكر أنني دخلت قبل فترة في مشكلة بين عائلتين للإصلاح بينهما ..

وقصة الخلاف : أن رجلاً عاقلاً كبيراً في السن أظنه قد تجاوز الستين من عمره .. خرج في نزهة صيد مع مجموعة من أصدقائه .. وسنهم جمعاً متقارب ..

دارت بينهم الأحاديث وذكريات الصبا .. ثم تكلموا عن أراض لأجدادهم بالقرية .. فثار خلاف بين اثنين منهم حول أحد الأراضي يملكها أحدهما والدعى الآخر أنها لجده ..

اشتد بينهما النقاش حتى قال مالك الأرض لصاحبه : والله إن رأيك قريباً من أرضي لأفرغن هذاً في رأسك ..

ثم تناول بندقية الصيد التي بجانبه ووجهها أعلى من رأس صاحبه بمترين أو ثلاثة ثم أطلق منها

رصاصة ..

ثار الرجلان وكادا أن يقتتلا .. لكن أصحابهما هدؤوهما وتفرقا إلى بيوتهم ..

لم يستطع الرجل الذي أطلق عليه الرصاص أن ينام من شدة الغيظ .. فما كاد أن يصبغ حتى كان قد أجمع أن يشفي غيظه من صاحبه .. فحمل سلاحاً من نوع " كلاشنيكوف " ومضى يبحث عن صاحبه .. حتى رأى في سيارته عند مدرسة بنات ..

كان صاحبه متقاعداً من وظيفته ويعمل سائقاً لسيارة خاصة لنقل المدرسات .. وقد أوقف سيارته عند باب المدرسة وجلس داخلها ينتظر خروجهن .. وبجانبه مجموعة من السيارات تشبه سيارته كلها مخصصة لنقل المدرسات أو الطالبات ..

اختبأ الرجل خلق شجرة بعيدة لئلا ينتبه إليه .. وكان ضعيف البصر .. ووجهه سلاحه إلى السائق .. وحاول جاهداً أن يسدد الطلقة إلى رأسه .. ثم ضغط على الزناد .. ودون صوت الرصاص وانطلقت ثلاث رصاصات واستقرت في رأس السائق .. ثار الناس واضطربوا .. وفزع الطالبات .. وارتفع الصراخ ..

واجتمع الشرطة .. وأحاطوا بالمنطقة .. وارجل قد هشمت الطلقات جمجمته .. وما ت ..

أما القاتل فقد توجه بكل هدوء إلى مخفر الشرطة وأخبرهم بالقصة .. وقال : أنا قتل فلاناً .. والآن قد شفيت صدري فاقتلوني أو أحرقوني أو اسجنوني .. افعلوا ما شئتم ..

أدخلوه إلى غرفة التوقيف .. وخرج الضابط لمعاينة مكان الحادث .. فلما اطلع على بطاقة المقتول فإذا المفاجأة الكبرى !! إذا بالقاتل ليس هو صاحبه الذي أراد أن يشفي صدره منه وإنما هو شخص آخر ليس له دخل بالقضية ..

فأقبل الضابط يمشي بسرعة ، والرجل المسمى المقصود بالقتل يمشي بجانبه .. حتى

عجبية ..
الحيوان لسانه طويل ولا ينطق .. والإنسان
لسانه قصير ولا يصمت !!

78. المفتاح ..

المدح .. هو مفتاح القلوب ..
نعم .. من أجمل مهارات الكلام أن تكون مب
دعاً في تعويد نفسك على اكتشاف صواب
الآخرين .. ومدحهم والثناء عليهم به .. قب
ل الانتباه إلى خطئهم ..
ويتأكد ذلك عندما تريد أن تنبه شخصاً إلى
خطأ ما ..
كثير من الناس يرد النصيحة لا لأجل تكبره
عنها .. أو عدم اقتناعه بخطئه .. وإنما لأ
ن الناصح لم يسلك الطريق الصحيح لتقديم
النصيحة ..
هب أنك ذهبت إلى مستشفى حكومي لعلا
ج ..
فلما أقبلت إلى موظف الاستقبال فإذا وراء
الزجاج شاب مراهق يقلب جريدة بين يديه
ه .. وبیده سيجاره .. غير مبال بما حوله
ه ..
وإذا شيخ كبير أعمى يقف متعباً في يده ال
يمنى طفل صغير .. وفي الأخرى ورقة مرا
جعة ينتظر أن يحوله الموظف إلى الطبيب
ب ..
وإذا بجانبه عجوز كبيرة بيدها طفلة تبكي
وقد تمكنت الحمى من جسدها .. وتنتظر أي
ضاً الموظف أن يفرغ من قراءة أخبار نادي
ه المفضل ليحولها لطبيب الأطفال ..
لما رأيت هذا المنظر ثارت أعصابك – ولا
نلومك على ذلك – فصرخت بالموظف : ه
ه !! أنت جالس في مستشفى أو في ... ما
تخاف الله ؟!! المرضي يننون من الألم وأذ
ت تقرأ جريدة !! لا وتدخن أيضاً !! والله
عجب .. مثلك ما يربيه إلا شكوى لمدير الم
ستشفى .. أو المفروض أن تفصل من عمل
ك ..
وبدأت تهيل هذه العبارات كالبرق عليه ..

استمتع بحياتك .. وأوقفه أمام الزنزانة .. وقا
ل : يا فلان ! أتدعي أنك قتلت هذا ؟! الرصاص
أصاب شخصاً آخر !!
فصرخ المسكين وأصابه حالة هستيرية .. ثم أغ
مي عليه ومكث في غيبوبة أياماً .. ثم شفي وأد
خل السجن وحكم عليه القاضي الشرعي بإقامة
حد القتل عليه ..
وصدق أبو بكر لما قال : ما شيء أحوج إلى طو
ل سجن من لسان ..
لا أنس خبر ذلك الخليفة الذي جلس يوماً مع ند
يمه .. يضاحكه ويمارحه .. فلعب الشيطان بروؤ
سهما فشربا خمراً .. فلما غابت العقول .. وسيد
طرت أم الخبائث .. وصار الواحد منهما أضل م
ن الحمار ..
التفت الخليفة إلى حاجبه وأشار له إلى النديم وق
ال : اقتلوه ..
وكان الخليفة إذا أمر أمراً لم يراجع فيه ..
فانطلق الحاجب إلى النديم وتله برجليه .. وهو ي
صرخ .. ويستغيث بالخليفة .. والخليفة يضحك
ويردد : اقتلوه .. اقتلوه ..
فقتلوه .. وألقوه في بئر مهجورة ..
فلما أصبح الخليفة .. اشتاق إلى من يؤانسـه .. ف
قال : ادعوا لي نديمي فلان ..
قالوا : قتلناه !! قال : قتلتموه ؟!! من قتله ؟! ول
ماذا ؟ ومن أمركم ؟! وجعل يدافع عبراته ..
فقالوا : أنت أمرتنا البارحة .. وأخبروه بالقص
ة ..
فسكت .. وخفض رأسه متندماً ثم قال : رب كلم
ة قالت لصاحبها دعني ..
أعود وأقول : كم من شخص نفر الناس عن شخ
صه .. وبغضهم في نفسه .. وجر إلى نفسه الوي
لات بسبب عدم ضبطه للسانه ..
قال ابن الجوزي :
ومن العجب أن من الناس من يقوى على التحرز
من أكل الحرام .. ومن الزنا .. والسرقـة .. لكنه
لا يقوى على أن يتحرز من حركة لسانه .. فيتكلم
م في أعراض الناس .. ولا يقدر على منع نفسه
من ذلك ..

نك أحب إليّ من آلاف الناس .. (وفعلًا أدت صادق فهو مسلم أحب إليك حتماً من ملايين غير المسلمين) .. سيفرح ويشكر لك لطفك .. فقل : وعندي كلمات أود أن تسمعها لكنني أخاف أن تغضبك ..

سيقول : لا .. لا .. تفضل .. عندها قدم له النصيحة .. أنت قد منّ الله عليك بهذه الوظيفة .. وفي واجهة المستشفي في .. وأنت قدوة لغيرك .. فليتك تتلطف قليلاً مع المراجعين .. وتهتم بهم .. لعل دعوة صالحة ترفع لك في ظلمة الليل من فم عبدة .. أو شيخ زاهد .. أجزم أنه سيخفف رأسه وأنت تتكلم .. وي رد : أشكر .. جزاك الله خيراً .. وكذلك استعمل هذه الأساليب مع كل شخص تعالج سلوكه ..

مثل شخص يتهاون بالصلاة .. أو أب يهمل بناته فيتكشفن .. ويتساهلن بالحجاب .. أو شاب عاق لوالديه .. لأجل أن يقبلوا منك لا بد أن تمارس المهارات المناسبة .. نعم .. استخدم العبارات اللطيفة في إصلاح خطأ الآخر .. كن مؤدباً .. محترماً لرأيه .. قل له : أنا ما أنصحك إلا لأني أعلم .. أنك تقبل النصيحة ..

وفي التنزيل العزيز يقول الله : (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) .. وقد كان المربي الحكيم يستعمل طرقاً ومهارات تجعل من يعدل سلوكهم لا يملكون إلا أن يقبلوا منه .. أراد يوماً أن يعلم معاذ بن جبل ذكراً يقول بعد الصلاة ..

فأقبل إلي معاذ وقال : يا معاذ .. والله إنني أحبك .. فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .. بالله عليك .. ما علاقة المقطع الأول من الك

هب أنه .. لم يرد عليك .. ولم يقابل صراخك بصراخ ..

هب فعلاً أنه ألقى جريدته .. وأنهى تحويل المرضى إلى الأطباء .. هل تعتبر نفسك نجحت في حل المشكلة .. كلا .. أنت هنا عالجت الموقف لكنك لم تعالج المشكلة .. لأنه وإن استجاب إليك الآن إلا أنه سيعود إلى تصرفه المشين غداً وبعد غدٍ .. إذن كيف أتصرف ؟!!

تعال إليه واكظم غيظك .. تعامل مع الموقف بعقل لا بعاطفة .. لا تدع المناظر المؤذية تؤثر في تصرفاتك .. ابتسم - وإن كنت مغضباً ، وإن كانت الابتسامة صفراء لا مشكلة ، ابتسم - وقل : السلام عليكم ..

سيقول وهو ينظر إلى لاعبه المفضل : عليكم السلام .. انتظر لحظة ..

قل أي كلمة تجعله يلتفت إليك .. كأن تقول : كيف الحال ؟ .. مساك الله بالخير .. سيرفع رأسه - حتماً - إليك ويقول : الحمد لله بخير ..

في هذه المرحلة تكون قد قطعت نصف المشوار ..

تلطف إليه بأي عبارة تمدحه بها .. قل له مثلاً : تصدق ! المفروض مثلك ما يعمل في استقبال مستشفى ..

سيتغير ويقول : لماذا ؟ قل : لأن هذا الوجه المنير إذا رآه المريض زال مرضه فلا يحتاج إلى طبيب .. سيبتسم متعجباً من جرأتك - يا بطل - .. وتنبج أساريره ..

وقد صار الآن مهيناً لقبول النصيحة .. ويقول : ماذا عندك ؟

عندها قل : يا أخي الحبيب ترى هذا الشيخ الكبير .. وهذه العجوز المسكينة .. ليتك تنهي لهما إجراءات الدخول على الطبيب ..

سيتناول أوراقهما .. ويحولهما للطبيب .. ثم يتناول ورقتك .. فإذا انتهى منك وسلمك الورقة .. فقل له : سبحان الله .. هذه أول مرة أراك ومع ذلك فقد دخلت إلى قلبي .. لا أدري كيف !! والله !

لام "والله إني أحبك" بالمقطع الثاني " لا تدعن أن تقول اللهم أعني على ذكرك .."
قد يكون الأنسب لقوله إني أحبك أن يقول بعدها وأريد أن أزوجك ابنتي - مثلاً - أو أعطيك ما لا .. أو أدعوك إلى طعام ..

ولكن أن يتبع خبر المحبة تعليمه ذكراً من أذكار الصلاة ..!! فهذا يحتاج إلى تأمل ..
أتدري ما موقع قوله : " والله إني أحبك " ؟ إنه التهينة لقبول النصيحة .. فإذا ارتاحت نفس معاذ واستبشر ، أعطاه النصيحة ..

وفي موقف آخر .. قبض e يد عبد الله بن مسعود بيده اليمنى ، ثم وضع يده اليسرى فوقها ، كدوع من العطف والتهينة ، ثم قال : يا عبد الله .. إذا جلست في التشهد فقل : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ..

ومضت السنين ومات رسول الله e .. فكان عبد الله يفخر بذلك ويقول : علمني رسول الله e التشهد وكفي بين كفيه ..

وفي يوم آخر لاحظ e أن عمر t إذا طاف بالكعبة وحاذى الحجر الأسود .. زاحم الناس وقبله .. وكان صلباً قوي البدن .. وربما زاحم الضعفاء .. فأراد e أن يعدل سلوكه .. فقال - على سبيل التهينة لقبول النصيحة - : يا عمر إنك رجل قوي ..

فرح عمر بهذا الثناء .. فقال e : فلا تراحم عند الحجر ..

ومرة أراد أن ينصح ابن عمر بقيام الليل .. فقال :

نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل .. وفي رواية قال : يا عبد الله لا تكن مثل فلان .. كان يقوم الليل ..

لا تكن مثل فلان .. كان يقوم الليل .. فترك قيام الليل ..

نعم .. كان e يستعمل هذا الأسلوب الرائع مع جميع الناس .. ومع الوجهاء خاصة ..

في بداية بعثة النبي e .. كان الناس ما بين مقبل ومدير ..

وكان رجل في المدينة اسمه سويد بن الصامت وكان رجلاً شريفاً في قومه .. عاقلاً شاعراً .. يحفظ كلام الحكماء .. حتى قيل إنه كان يحفظ كل ما روي عن لقمان الحكيم ..

حتى بلغ من إعجاب الناس به أنهم كانوا يسمونه : الكامل .. لجلده وشعره .. وشرفه ونسبه .. وهو الذي يقول :
ألا رب من تدعو صديقاً ولو ترى مقالته بالغيب ساءك

ما يفري مقالته كالشهد ما كان شاهداً وبالغيب ماثور على ثغرة النحر

يسرك باديه وتحت أديمه نميمة غش تبترى عقب الظهر

تبين لك العينان ما هو كاتم من الغل والبغضاء بالنظر

الشزر قدم سويد بن الصامت يوماً إلى مكة حاجاً .. أو معتمراً ..

فتحدث الناس بدخوله مكة .. وأقبلوا لرؤيته .. فسمع النبي e به فأقبل عليه .. فدعاه إلى الله .. وإلى الإسلام .. وجعل يحدثه بالتحديد والرسالة وأنه نبي يوحى إليه قرآن .. وأن هذا القرآن هو كلام الله تعالى ..

فيه عبر وأحكام .. فقال له سويد : فلعن الذي معك مثل الذي معي ؟

فقال له رسول الله r : ما الذي معك ؟ قال : معي مجلة لقمان - يعني حكمة لقمان -

فلم يعنفه e أو يحقره .. - مع أنه يضاهي كلام الله بكلام البشر - .. وإنما تلتطف معه .. وقال r : اعرضها علي ..

فشرع سويد يقرأ ما يحفظ من كلام لقمان وحكمه .. ورسول الله e يستمع إليه بكل هدوء ..

فلما انتهى سويد .. قال e له : إن هذا كلام حسد ن ..

ثم قال - مشوقاً لسويد - : والذي معي أفضل من هذا .. قرآن أنزله الله تعالى علي .. هو هدى ونور ..

ثم تلا عليه رسول الله r القرآن .. ودعاه إلى الإسلام .. وسويد يستمع منصتاً .. فلما فرغ e من كلامه .. ظهر على سويد التأثير .. وقال : إن هذا لقول حسن ..

ثم انصرف سويد عن النبي e .. ولا يزال متأثراً بما سمع ..

فقدم المدينة على قومه .. فلم يلبث أن وقع قتال بين قبيلتي الأوس والخزرج .. وكان من قبيلة الأوس فقتلته الخزرج ..

وذلك قبل أن يهاجر النبي e إلى المدينة .. ولا يدري هل أسلم أم لا ؟ وإن كان رجل من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم ..

باختصار ..

أسرف في المديح .. واقتصد في النقد ..

79. الرصيد العاطفي

تصورات الناس عنا نحن الذين نصنعها .. فلو لقيك شخص في السوق فعبس في وجهك .. ثم لقيك في بقالة .. فعبس في وجهك أيضاً .. ثم صادفته في عرس .. فلقىك عابساً .. لرسمت عنه صورة قاتمة في مخيلتك .. فإذا رأيت صورته أو سمعت اسمه في مكان تبادر إلى ذهنك ذاك الوجه العابس ..

ولو لقيك شخص بابتسامة في موقف .. ثم ابتسم في لقاء آخر .. وثالث .. لانطبع في ذهنك عنه صورة مشرقة ..

هذا فيمن لا يكون بينك وبينه علاقة دائمة وإنما هي لقاءات عابرة ..

أما الأشخاص الذي نلقاهم دائماً كزوجة وأولاد .. وزملاء في مكتب .. وجيران في حارة .. فإننا تعاملنا معهم لن يكون بأسلوب واحد دائماً .. نعم هم سيروننا ضاحكين لطيفين .. لكنهم حتماً سيروننا تارة غاضبين .. وتارة عابسين .. أو م

خاصمين .. أو شاتمين .. لأننا بشر .. وبالتالي فإن محبتهم لنا تتحدد على حسب طغيان حسناتنا عندهم أو سيئاتنا .. أو قل بعبارة أخرى : تتحدد محبتهم لنا بحسب مقدار الرصيد العاطفي الذي في حسابنا عندهم ..

كيف ؟!

عندما يقع لك موقف جميل مع إنسان فإنك تضيف إلى سجل ذكرياته ذكرى جميلة عندك .. أو بعبارة أخرى تفتح لك في قلبه حسداً أبداً تودع فيه محبة لك واحتراماً .. ثم تتولى بعد ذلك زيادة رصيدك العاطفي أو السحب منه ..

فكل ابتسامة تقابلها بها .. تزيد من رصيدك العاطفي عنده ..

وكل هدية .. تزيد رصيدك العاطفي ..

وكل مجاملة .. تزيد رصيدك العاطفي ..

وكل إهانة تقع منك له .. أو مسبة .. أو شتم .. فإنك تسحب من رصيدك العاطفي ..

وبالتالي إذا كان رصيدك العاطفي عنده كثير

راً .. ووقعت يوماً ما في موقف أغاظه ف

سحبت من رصيدك العاطفي مقداراً معيناً ..

فإن هذا لن يؤثر كثيراً لأن رصيدك العاطفي عنده كثير ..

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد

جاءت محاسنه بأل

ف شفيح

أما إن لم يكن عنده لك رصيد عاطفي وجعل

ت تسحب من الرصيد وليس فيه شيء أصداً ..

فإن حسابك عنده سيكون بالناقص !!

وبالتالي قد يقع في قلبه لك كره .. أو استئ

قال .. لأنك تسحب من رصيدك العاطفي ولا

تودع ..

ألم تسمع يوماً عن زوجة طلقها زوجها ..

فإذا سئلت عن سبب الطلاق قالت : السبب

تافه .. طلب مني الذهاب معه لزيارة أخته

فرفضت .. فغضب وجعل يسبني ويشتمني

ثم طلقني !!

ولو تأملت بذكاء في سبب الطلاق .. لما و

جذت السبب هو هذا الموقف التافه .. وإنما هذا الموقف هو القشة التي قصمت ظهر البعير .. فقد ذكر أن رجلاً كان له جمل جلد قوي .. فأراد سفيراً .. فجعل يحمل متاعه عليه .. ويربطه على ظهره .. والجمل متماسك .. حتى كوم على ظهره ما يحمله أربعة جمال .. فبدأ البعير يهتز من ثقل الحمل والناس يصيحون بالرجل : يكفي ما حملت عليه .. فأخذ حزمة من تبن وقال : هذه خفيفة وهي آخر المتاع .. فلما طرحها على ظهره سقط البعير على الأرض .. فقيل : قشة قصمت ظهر بعير !!

ولو تفكرت لرأيت أن القشة مظلومة فليست هي التي قصمت ظهر البعير وإنما انقصم ظهر البعير بسبب تراكمات كبار صبر البعير على أولها .. وصبر .. وصبر .. حتى لم يطق صبراً .. فانقصم ظهره بشيء صغير ..

وهكذا المرأة التي طلقها زوجها .. أجزم أن السبب ليس هو تركها زيارة أخته فحسب .. وإنما تراكمات قبله .. من عصيان لطلباته .. عدم تحقيق لرغباته .. عدم تحببها إليه .. تكبرها عليه .. عدم احترام رأيه .. فهي تسحب دوماً من رصيدها العاطفي عنده دون أن تودع فيه شيئاً .. وتجرح ولا تدأوي ..

وهو يحتمل ويحتمل .. حتى جاء هذا الموقف فقصم ظهر البعير ..

ولو أنها اعتنت بكثرة الإيداع في رصيدها العاطفي .. من حسن لقاء له .. وتغنج ودلال .. وتحبب إليه .. وممازحة وخفة ظل .. وعناية بطعامه ولباسه .. واحترام لرأيه .. لصار رصيدها العاطفي كبيراً .. وملكت مليارات في قلبه .. وبالتالي لن يضر لو وقع موقف سحبته به من رصيدها العاطفي ..

وقل مثل ذلك في الطالب المشاكس الذي يقع منه موقف صغير فيغضب المدرس غضباً شديداً .. وقد يضربه ويطرده من الفصل .. و .. ثم يقول الطالب أنا ما فعلت شيئاً هي مجرد نكتة أطلقتها من غير استئذان .. ولا ينتبه إلى أن هذه النكتة هي القشة التي قصمت ظهر البعير ..

قل مثله في زملاء تخاصموا .. أو جيران تنازعو

١ .. إذن .. نحن نحتاج دائماً إلى نودع في قلب كل واحد نلقاه رصيذاً عاطفياً .. الزوج يتحين الفرص ليودع في قلب زوجته ٤ .. ويسجل نقاطاً أكثر وأكثر .. والزوجة تحتاج أيضاً .. والولد يحتاج أن يودع في قلب والده .. والمدرس مع طلابه .. والأخ مع أخيه .. بل حتى المدير مع من هم تحت إدارته .. يحتاج إلى ذلك ..

باختصار ..
وإذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع

80. الساحر ..

الكلام ببلاش .. يا أخي سَمَّعنا كلمة حلو ة ..

هكذا بدأت المسكينة تعاتب زوجها .. صحيح هو ما قصر معها في طعام ولا لباس .. ولكنه لم يكن يسحرها بمعسول الكلام م .. !!

يجمع العقلاء أن أهم صفات البائع الماهر أن يكون ساحراً في كلامه .. فيردد : من عيوني .. تفضل .. خل الحساب علينا .. تعبك راحة ..

وتزيد قيمة البائع كلما زادت عباراته جمالاً .. فإن أضاف إلى حسن العبارة جودة في وصف السلعة .. وقدرة على إقناع الزبون بالشراء .. صار قد اكتسب نوراً على نوره ..

ويجمع المجربون أن من أهم صفات السكرتير أن يكون لسانه عذباً .. وعباراته حلوة .. فيطرب الأسماع بقوله : سَمَّ .. أبش .. نحن (خدامينك) ..

وربما شغفت زوجة بزوجها حباً .. وهو كثير البخل قليل الجمال .. لكنه يسحرها بعباراته ..

أذكر أن شاباً مراهقاً كان مغرماً بمغازلة

الفتيات .. وكان له قدرة عجيبة على الإيقاع به
ن .. وكم من مسكينة صارت متيمة بحبه .. عالق
ة بشراكه .. ومن العجب أنه لم يكن يملك سيارة
فارهة يغريهن بركوبها .. ولم تكن جيبه مليئة با
لمال ليغدق عليهن الهدايا ..
ولا تظنن أنه أوتي وسامة أو جمالاً .. كلا .. فإذ
ي أسأل الله لك أن لا تبثلى بالنظر إلى وجهه !!
لكنه كان يغلق فمه على لسان .. لو تكلم مع حد
ر لفلقه .. ولو سمعه نهر لدققه ..
فكان يصطاد الفتيات بلسانه اصطيداً .. بل يسد
رهن سحراً ..
وحديثها السحر الحلال لو أنه

لم يكن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يمل وإن هي أوجزت
ود المحدث أنها لم توجز
أقبل يوماً إلى رسول الله ﷺ ثلاثة رجال سادة ف
ي قومهم ..
قيس بن عاصم .. والزبرقان بن بدر .. وعمر بن
ن الأهم ..
وكلهم من قبيلة تميم ..
فبدؤوا يتفاخرون ..

فقال الزبرقان : يا رسول الله .. أنا سيد تميم ..
والمطاع فيهم .. والمجاب فيهم .. أمنعهم من ال
ظلم .. فأخذ لهم بحقوقهم ..
ثم أشار إلى السيد الآخر عمرو بن الأهم .. وقا
ل : وهذا يعلم ذاك ..
فأثنى عمرو عليه وقال : والله يا رسول الله .. إن
ه لشديد العارضة .. مانع لجانبه .. مطاع في ناد
يه ..
ثم سكت عمرو ..

فغضب الزبرقان .. وودَّ لو لأن عمرواً زاد في ا
لثناء .. وظن أنه حسده على سيادته ..
فقال الزبرقان : والله يا رسول الله .. لقد علم ما
قال .. وما منعه أن يتكلم به إلا الحسد ..
فغضب عمرو .. وقال : أنا أحسدك ؟!! فوالله إن
ك لنيم الخال .. حديث المال .. أحقق الموالد ..
مضيع في العشيرة .. والله يا رسول الله لقد صد
قت فيما قلت أولاً .. وما كذبت فيما قلت آخراً ..
لكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت .. وغ

ضبت فقلت أقبح ما وجدت .. والله لقد
صدقت في الأمرين جميعاً ..
فعجب .. من سرعة حجته .. وقوة بيان
ه .. ومهارات لسانه ..
فقال : إن من البيان لسحراً .. إن من البيا
ن لسحراً (91) ..
فكن مبدعاً في مهارات لسانك .. فلو قال ل
ك : ناولني القلم .. قل : من عيوني .. تف
ضل ..
ولو قال .. لكن يا فلان عندي طلب : اطلب
عيوني .. سم ..
أريد منك خدمة : تفضل .. خدمنا أناساً ما
يساوون أثر رجلك ..
مارس هذا الأسلوب الذي يدغدغ المشاء
ر .. مع أمك .. نعم أسمعها كلمات رقيقة لي
نة ..
مع أبيك .. زوجتك .. أولادك .. زملائك ..
فهذا الأسلوب لا يخسرك شيئاً .. وتسحر ب
ه الآخرين .. وتزيل ما في نفوسهم ..
وانظر إلى حال الأنصار y بعد معركة حني
ن ..
الأنصار الذين قاتلوا مع النبي t في بدر ثم
قتلوا في أحد .. وحوصروا في الخندق ..
ولا زالوا معه يقاتلون ويقتلون .. حتى فت
حوا معه مكة .. ثم مضوا إلى معركة حني
ن ..
ففي الصحيحين ..
أن القتال اشتد أول المعركة .. وانكشف الذ
اس عن رسول الله .. فإذا الهزيمة تلوح أم
ام المسلمين ..
فالتفت e إلى أصحابه .. فإذا هم يفرون من
بين يديه ..
فصاح بالأنصار ..
يا معشر الأنصار .. فقالوا : لبيك يا رسول
الله ..
وعادوا إليه .. وصفوا بين يديه ..

(91) رواه الحاكم في المستدرک ، وأصله في ا
لصحيحين

ولا زالوا يدفعون العدو بسيوفهم .. ويفدون رس
ول الله e بنحورهم .. حتى فر الكفار وانتصر الم
سلمون ..

وبعدما انتهت المعركة .. وجمعت الغنائم بين يدي
النبي e .. أخذوا ينظرون إليها ..
وأحدهم يتذكر أولاده الجوعى .. وأهله الفقرا ..
ويرجو أن يناله من هذه الغنائم شيء يوسع به
عليهم ..
فبينما هم على ذلك ..

فإذا برسول الله e .. يدعو الأقرع بن حابس - ما
أسلم إلا قبل أيام في فتح مكة .. فيعطيه مائة من
الإبل .. ثم يدعو أبا سفيان ويعطيه مائة من الإبل
ل ..

ولا يزال يقسم النعم .. بين أقوام .. ما بذلوا بذل
الأنصار .. ولا جاهدوا جهادهم .. ولا ضحوا تض
حياتهم ..

فلما رأى الأنصار ذلك ..
قال بعضهم لبعض : يغفر الله لرسول الله .. يعط
ي قريشاً ويتركنا .. وسيوفنا تقطر من دمائه
م ..

فلما رأى سيدهم سعد بن عباد ة ذلك .. دخل عدا
ى رسول الله e .. فقال :

يا رسول الله .. إن أصحابك من الأنصار وجدوا
عليك في أنفسهم .. قال : وما ذاك ؟!!
قال : لما صنعت في هذا الفئ الذي أصبت .. قد
مت في قومك .. وأعطيت عطياً عظيماً .. في ق
بائل العرب ..

ولم يكن في الأنصار منه شيء ..
فقال e : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟

قال : يا رسول الله .. ما أنا إلا امرؤ من قوم
ي ..

فقال : فاجمع لي قومك .. فلما اجتمعوا .. أتاهم ر
سول الله ..

فحمد الله وأثنى عليه .. ثم قال : يا معشر الأنصا
ر .. ما قالة بلغتني عنكم ؟

قالوا : أما رؤسائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئ
أ وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لر
سول الله يعطي قريش ويتركنا وسيوفنا تقطر م
ن دمائهم ..

فقال e : يا معشر الأنصار .. ألم تكونوا ضد
للاً فهداكم الله بي ..

قالوا : بلى والله ورسوله .. المنة الفضل ..
قال : ألم تكونوا عالة فأغناكم الله .. وأعدا
ء فألف بين قلوبكم ..

قالوا : بلى والله ورسوله .. المنة الفضل ..
ثم سكت رسول الله e .. وسكتوا .. وانتظ
ر .. وانتظروا ..

فقال : ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ..
قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله .. والله
ولرسوله المنة والفضل ..
قال : أما والله لو شئتم لقلتم .. فلصدقتم
ولصدقتم ..

لو شئتم لقلتم : أتيتنا مكذباً فصدقناك .. و
مخدولاً فنصرناك .. وطريداً فأويناك .. و
عائلاً فواسيناك ..

ثم قال : يا معشر الأنصار .. أوجدتم على
رسول الله في أنفسكم .. في لعاعة من الدذ
يا .. تألفت بها قوماً ليسلموا .. ووكلتم ال
ى إسلامكم ..

إن قريشاً حديثوا عهد بجاهلية ومصيبة ..
وإني أردت أن أجبرهم .. وأتألفهم ..

ألا ترضون يا معشر الأنصار .. أن يذهب ا
لناس بالشاة والبعير .. وترجعون برسول ا
لله e إلى بيوتكم ..

لو سلك الناس وادياً أو شعباً .. وسلكت ا
لأنصار وادياً أو شعباً .. لسلكت وادي الأذ
صار .. أو شعب الأنصار ..

فوالذي نفس محمد بيده .. إنه لولا الهجر
ة .. لكنت امرءاً من الأنصار .. اللهم ارحم
الأنصار .. وأبناء الأنصار .. وأبناء أبناء ا
لأنصار ..

فبكى القوم حتى أخصلوا لحاهم .. وقالوا :
رضينا برسول الله قسماً وحظاً .. ثم انصد
رف رسول الله وتفرقوا ..

بل إنك بالعبارات الجميلة تستطيع أن تخدر
الناس أحياناً ..

ذكر أنه كان في صعيد مصر رجل غني مت
سلط يسمونه " الباشا " كان يملك فدادين

من المزارع .. كان متغطرساً يمارس أصناف الإ
ذلال على المزارعين الصغار ..

دارت الزمان دورته فأصاب أرضه ما أتلّفها .. فأ
صبح فقيراً بعد غنى .. كسيراً

جاع أولاده وهو ليس عنده مصدر يتكسب من
ه .. ولا يعرف صنعة غير الزراعة .. لكن أرضه
تالفة ..

فخرج يبحث عن عمل .. أي عمل ..

أقبل على مزرعة لأحد الفلاحين الضعفاء الذين ذ
اقوا من إذلاله قديماً .. دخل عليه .. وقال بكل م
ذلة : هل أجد عنك عملاً .. أقطف الثمر .. أو أد
قي الحبوب .. أو أقلم الأشجار .. أو ..

فثار المزارع في وجهه وقال : أنت تعمل عند
ي !! أنت المتكبر المتغطرس .. الحمد لله أن است
جاب دعاءنا عليك وأذلك .. ثم طرده من بستانه
ه ..

مضى يجر قدمي خيبته .. حتى دخل بستاناً آخ
ر .. فإذا بفلاح له معه ذكريات أليمة .. فطرده ك
ما طرده الأول ..

مضى الباشا (!!) المسكين لا يلوي على شي
ع .. ولا يريد أن يرجع إلى أولاده خالياً ..
مر على مزرعة لفلاح ثالث .. فدخل ليحرب حظ
ه معه ..

راه الفلاح فانبهر .. وقد ذاق أيضاً من إذلاله م
ن قبل .. قال الباشا : أنا أبحث عن عمل .. أولاد
ي جوعى ..

فأراد الفلاح أن يذله .. وأن ينتقم منه بأسلوب ذ
كي ..

فقال له : أهلاً أيها الباشا !! نورت بستانى !! م
ن مثلي اليوم الباشا الكبير يدخل أرضي !! أنت ا
لباشا الكبير .. أنت الباشا الوجيه !! أنت ..
وجعل يحدّره بهذه العبارات .. حتى صار الباشا
منوماً تنويماً مغناطيسياً !!

ثم قال الفلاح : مرحباً وأهلاً .. عندي عمل .. ل
كني لا أدري هل يناسبك أم لا ؟
قال الباشا : وما هو ؟

قال : اليوم سوف أحرق الأرض .. وعندي محرا
ث يجره ثوران .. ثور أبيض وثور أسود .. والث
ور الأسود اليوم مريض ولا يستطيع أن يعمل ..

والثور الأبيض لا يطيق جر الحراثة وحد
ه .. فأريدك أن تقوم اليوم بوظيفة الثور الأ
سود .. فأنت قوي أيها الباشا .. أنت قائد
د .. أنت رئيس .. تسير في الأمام دائماً ..
توجه الباشا بكل كبرياء إلى الحراثة .. وو
قف بجانب الثور الأبيض .. أقبل المزارع إ
ليه وبدأ بالثور الأبيض وربطه بالحبال ليج
ر المحراث .. ثم توجه إلى الباشا وهو يرد
د قائلاً : يا أحسن باشا في العالم .. يا قو
ي .. يا بطل .. والباشا يتلفت في زهو .. ثم
م ربط الحبال في كتفي الباشا .. وركب هو
على الحراثة معه السوط !! وصاح : ام
ش .. وضرب ظهر الثور فتحرك .. وتحرك
الباشا يجر المحراث .. والفلاح يردد : جميد
ل يا باشا .. ممتاز يا ملك .. ويضرب ظهر
الثور .. ويصيح أقوى يا باشا .. أحسن يا
باشا ..

والباشا المسكين لم يتعود على ذلك .. لكنه
كان يجر بكل قوته .. من الصباح حتى غاب
ت الشمس .. وكأته غائب العقل ..
فلما انتهى فك الفلاح عنه الحبال .. وهو يق
ول : والله شغلك جميل يا باشا .. هذا أحس
ن يوم مر علي يا باشا ..
ثم بضع جنيهاً .. ومضى الباشا إلى بيته
ه ..

دخل على أولاده .. وقد تقرحت كتفاه .. و
سالت الدماء من أسفل قدميه .. والعرق يغ
رق ثيابه .. و .. لكنه لا يزال منتشياً مخد
راً ..

سأله أولاده : هاه .. هل وجدت عملاً ..
فقال - بكل فخر - : نعم .. أنا الباشا .. كي
ف لا أجد عملاً ..
فقالوا : فماذا اشتغلت ؟!

فقال : اشتغلت .. هاه !! اشتغلت !!
وبدأ يصحو من تخديره .. ويدرك ما أصاب
ه ..

قال : اشتغلت ثوراً !!!

قرار ..

أنت من أغلى الناس إلى قلبي .. لكنني مشغول الليلة ..

وأنت لم تكذب فقد يكون شغلك هذا جلسة مع أولادك .. أو قراءة في كتاب .. أو نو م !! فهي كلها أشغال ..

وقد كان محمد e يملك الناس بأخلاق يأسر بها قلوبهم ..

انظر إليه عليه السلام .. وقد جلس مع أصحابه الكرام ..

فحدثهم عن البيت الحرام .. وفضل العمرة والإحرام ..

فطارت أفئدتهم شوقاً إلى ذاك المقام .. فأمرهم بالتجهز للرحيل إليه .. وحثهم على التسابق عليه ..

فما لبثوا أن تجهزوا .. وحملوا سلاحهم وحرزوا ..

فخرج e مع ألف وأربعمائة من أصحابه .. مهلين بالعمرة ملبين .. يتسابقون إلى البلد الأمين ..

فلما اقتربوا من جبال مكة .. بركت القصواء - ناقة النبي عليه السلام -

.. فحاول أن يبعثها لتسير .. فأبت عليه .. فقال الناس : خلأت القصواء .. (أي عصت) فقال e :

ما خلأت القصواء .. وما ذاك لها بخلق .. ولكن حبسها حابس الفيل (يعني فيل أبرهة)

لما أقبل به مع جيش من اليمن يريد هدم الكعبة فحبسهم الله عن ذلك) ..

ثم قال J : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله .. إلا أعطيتها م إياها ..

ثم زجرها فوثبت .. فتوجه إلى مكة .. حتى نزل بالحديبية قريباً من مكة .. فتسامع به كفار قريش .. فخرج إليه كبارهم ليردوه عن مكة .. فأبى إلا أن يدخلها معتمراً ..

فما زالت البعوث بينه وبين قريش .. حتى أقبل عليه سهيل بن عمرو ..

فصالح النبي e على أن يعودوا إلى المدينة .. ويعتصموا في العام القادم ..

81. فليسعد النطق إن لم تسعد الحال !! من أخرج المواقف أن يقصدك صاحب حاجة .. ثم يرجع خائباً غير مقضية حاجته .. نعم قضاء حاجات الناس طاعة عظيمة .. ولو لم يكن فيها إلا قوله e : لئن أمشي مع أخي في حاجة حتى أثبتتها له ، أحب إلي من أن أعتكف في مسجدي هذا شهراً " (92) لكفى في فضلها .. لكن بعض الحاجات يصعب قضاؤها .. فليس كل من طلب منك أن تسلفه مالاً قدرت على إعطائه ..

ولا كل من طلب منك مرافقته في سفر قدرت على تلبية طلبه ..

ولا كل من طلب حاجة معك كقلم أو ساعة أو غيرةا .. استطعت إعطائها له ..

والمشكلة أن أكثر الناس إذا لم تلب حاجاتهم وجدوا عليك في أنفسهم .. وقد يذمونك في المجالس .. ويتهمونك تارة بالبخل .. وتارة بالأنانية ..

وتارة .. إذن ما العمل !؟

كن ماهراً في الخروج من الموقف .. فإذا طلب منك أحد شيئاً ولم تستطع قضاءه فعلى الأقل رد

ه بعبارة جميلة .. كما قال :

لا خيل عندك تهديها ولا مال *** فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

فلو علم شخص بأنك ستسافر إلى مدينة معينة .. فحائك وقال : أريدك أن تشتري لي حاجة من المدينة التي أنت مسافر إليها .. وأنت لا رغبة لك في قضاء حاجته لأي سبب .. فكيف تجيب ؟

فليسعد النطق إن لم تسعد الحال .. قل له : والله يا فلان أخدمك بعيوني .. وأنت أحب إلي من أنا

س كثير .. لكنني أخشى أن يضيق وقتي .. وعند بعض الظروف تمنعني من إحضارها .. و ..

ولو دعاك إلى وليمة وأردت أن تعتذر وخشيت أن يجد في نفسه عليك .. فقدم مقدمات .. قل -

مثلاً - أنا ما أعتبرك إلا كواحد من إخواني .. و

ثم كتبوا بينهم صلحاً عاماً .. وفيه :

اشترط سهيل : أنه لا يخرج من مكة مسلم مستضعف يريد المدينة .. إلا رُدَّ إلى مكة .. أما من خرج من المدينة وجاء إلى مكة مرتداً إلى الكفر .. فيقبل في مكة ..

فقال المسلمون : سبحان الله !! من جاءنا مسلماً نرده إلى الكافرين !! كيف نرده إلى المشركين وقد جاء مسلماً .. فبينما هم كذلك إذ أقبل عليه م .. شاب يسير على الرمضاء .. يرفل في قيود ه .. وهو يصيح : يا رسول الله .. فنظروا إليه .. فإذا هو أبو جندل ولد سهيل بن عمرو .. وكان قد أسلم فعذبه أبوه وحبسه .. فلما سمع بالمسلمين ن .. تغفلت من الحبس وأقبل يجر قيوده .. تسيل جراحه دماً .. وتفيض عيونه دمعاً ..

ثم رمى بجسده المتهالك بين يدي النبي ع .. والمسلمون ينظرون إليه ..

فلما رآه سهيل .. غضب !! كيف تغفلت هذا الفتى من حبسه .. ثم صاح بأعلى صوته : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي .. فقال ع : إنا لم نقض الكتاب بعد ..

قال : فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً .. فقال ع : فأجزه لي .. قال : ما أنا بمجيزه لك .. قال : بلى فافعل .. قال : ما أنا بفاعل .. فسكتا لنبي ع .. وقام سهيل سريعاً إلى ولده يجره بقيوده .. وأبو جندل يصيح ويستغيث بالمسلمين .. يقول :

أي معشر المسلمين أريد إلى المشركين وقد جئت مسلماً .. ألا ترون ما قد لقيت من العذاب .. ولا زال يستغيث بهم حتى غاب عنهم .. والمسلمون تذوب أفئدتهم حزناً عليه .. فتى في ريعان الشباب .. يثد عليه العذاب .. وينقل من العيش الرغيد .. إلى البلاء الشديد .. وهو ابن سيد من السادات .. طالما تنعم بالملذات .. وتلذذ بالشهوات ..

ثم يجر أمام المسلمين بقيوده .. ليعاد إلى سجنه وحديده ..

وهم لا يملكون له شيئاً .. مضى أبو جندل إلى مكة وحيداً .. يسأل ربع الثبات على الدين .. والعصاة واليقيين .. أما المسلمون فقد رجعوا مع ر

سول الله ع إلى المدينة .. وهم في حلق شديداً على الكافرين .. وحزن على المسلمين المستضعفين .. ثم اشتد العذاب على الضعفاء في مكة .. حتى لم يطيقوا له احتمالاً .. فبدأ أبو جندل .. وصاحبه أبو بصير .. والد المستضعفون في مكة .. يحاولون التغلّب من قيودهم ..

حتى استطاع أبو بصير أن يهرب من حبسهم .. فمضى من ساعته إلى المدينة .. يدمله الشوق .. ويحدوه الأمل .. في صحبة النبي ع وأصحابه .. مضى يطوي قفار الصحراء .. تحترق قدماه على الرمضاء ..

حتى وصل المدينة .. فتوجه إلى مسجده .. فبينما النبي ع في المسجد مع أصحابه .. إذ دخل عليهم أبو بصير .. عليه أثر العذاب .. ووعثاء السفر .. وهو أشعث أغبر ..

فما كاد يلتقط أنفاسه .. حتى أقبل رجلان من كفار قريش فدخلوا المسجد .. فلما رأهما أبو بصير .. فزع واضطرب .. وعادت إليه صورة العذاب .. فإذا هما يصيحان .. يا محمد .. رده إلينا .. العهد الذي جعلت لنا .. فنذكر النبي ع عهده لقريش أن يرد إليهم من يأتيه من مكة .. فأشار إلى أبي بصير .. أن يخرج من المدينة .. فخرج معهما أبو بصير .. فلما جاوزا المدينة .. نزلا لطعام .. وجلس أحدهما عند أبي بصير .. وغاب الآخر ليقتضي حاجته ..

فأخرج القاعد عند أبي بصير سيفه .. ثم أخذ يهزه .. ويقول مستهزئاً بأبي بصير : لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج وما إلى الليل ..

فقال له أبو بصير : والله إنني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً .. فقال : أجل والله إنه لجيد لقد جربت به .. ثم جربت .. فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه .. فناوله إياه .. فما كاد السيف يستقر في يده .. حتى رفعه ثم هوى به على رقبة الرجل فأطار رأسه .. فذما رجع الآخر من حاجته ..

رأى جسد صاحبه ممزقاً .. مجندلاً ممزقاً .. ففزع .. وفرَّ حتى أتى المدينة .. فدخل المسجد يعذّبونهم ..

فلما رآه مقبلاً .. فزعاً .. قال : لقد رأى هذا ذعراً ..

فلما وقف بين يديه صاح من شدة الفزع .. قال : قتل والله صاحبي .. وإني لمقتول .. فلم يلبث أن دخل عليهم أبو بصير .. تلتهم عيناه شرراً .. والسيف في يده يقطر دماً .. فقال : يا نبي الله .. قد أوفى الله ذمتك .. قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم .. فضمني إليكم .. قال : لا ..

فصاح أبو بصير بأعلى صوته .. قال : أو .. يا رسول الله .. أعطني رجلاً أفتح لك مكة .. فأعجب النبي بشجاعته .. لكنه لا يستطيع أن ينفذ له طلبه فبينه وبين أهل مكة عهد .. لكنه أراد أن يرده بلطف .. فليسد النطق إن لم يسعد الحال ..

التفت إلى أصحابه وقال مادحاً لأبي بصير : ويل أمه !! مسعّر حرب لو كان معه رجال .. فكانت هذه الكلمات بمثابة التخفيف والاعتذار من أبي بصير ..

وظل أبو بصير واقفاً عند باب المسجد ينتظر إذن النبي له بالموث في المدينة ..

لكنه تذكر عهده مع قريش فأمر أبا بصير بالخروج من المدينة .. فسمع أبو بصير وأطاع .. نعم .. وما حمل في نفسه على الدين .. ولا انقلب عدواً للمسلمين ..

فهو يرجو ما عند الحليم الكريم .. من الثواب العظيم .. الذي من أجله ترك أهله .. وفارق ولده .. وأتعب نفسه .. وعذب جسده ..

خرج أبو بصير من المدينة .. فاحتار أين يذهب .. ففي مكة عذاب وقيود .. وفي المدينة مواثيق وعهود ..

فمضى إلى سيف البحر قريباً من جدة .. فنزل هناك .. في صحراء قاحلة .. لا أنيس فيها ولا جليس ..

فتسامع به المسلمون المستضعفون بمكة .. فعلموا

وا أنه باب فرج انفتح لهم .. فالمسلمون في المدينة لا يقبلونهم .. والكفار في مكة يعذبونهم ..

فتفقت أبو جندل من قيوده .. فلحق بأبي بصير .. ثم جعل المسلمون يتوافدون إليه في مكانه .. حتى كثر عددهم .. واشتدت قوتهم ..

فجعلت لا تمر بهم قافلة تجارة لقريش .. إلا اعترضوا لها ..

فلما كثر ذلك على قريش .. أرسلوا إلى النبي في ناشدونه بالله أن يضمهم إليه .. فأرسل النبي إليهم أن يأتوا المدينة ؟ فلما وصل إليهم الكتاب .. استبشروا وفرحوا ..

لكن أبا بصير كان قد ألم به مرض الموت .. وهو يردد قائلاً : ربي العلي الأكبر من ينصر الله فسوف ينصر ..

فلما دخلوا عليه وأخبروه أن النبي عأذن لهم بسكنى المدينة .. وأن غربتهم انتهت .. وحاجتهم قضيت .. ونفوسهم أمنت ..

فاستبشر أبو بصير .. ثم قال وهو يصارع الموت : أروني كتاب رسول الله ع .. فناولوه إياه ..

فأخذ فقبله .. ثم جعله على صدره .. وقال : أشهد أن لا إله إلا الله .. وأشهد أن محمداً رسول الله .. أشهد أن لا إله إلا الله .. وأشهد أن محمداً رسول الله .. ثم شهق ومات ..

فرحم الله أبا بصير .. وصلى على نبي الرحمة وسلم تسليماً كثيراً .. ومن الإسعاد بالنطق والسحر بالكلام .. أن تراعي من معك إذا جاملك .. وتتلطف معه ..

ذكر أن امرأة فقيرة اضطجعت بجانب زوجها على فراش عتيق .. في كوخ قديم .. جد رانه مرقعة .. وسقفه من جذوع النخل .. فجالت ببصرها تنظر إلى جدران بيتها .. ثم ركزت بصرها إلى السقف .. وسرحت بفكرها بعيداً .. ثم قالت : تدري ماذا أتمنى ؟

قال : هاه !! ماذا تتمنين ؟

قالت : أتمنى أن نملك بيتاً كبيراً تسعد فيه مع أولادك .. وتدعو إليه أصدقاءك .. ونملك سيارة فارهة .. ترتاح إذا سقتها .. ويزيد راتبك ضعفين حتى تسدد ديونك .. و .. ومضت المسكينة تسرد له بحماس أسباب السعادة التي تتمناها له .. والرجل غارق في أحلام خيبته .. يانس من صلاح حاله .. لا يملك أية مهارة من مهارات الكلام ..

فلما تعبت قالت له : وأنت ماذا تتمنى ؟!

فنظر إلى السقف طويلاً ثم قال : أتمنى أن ينظلق جذع من هذا السقف ويقع على رأسك فيقسمه نصفين ..

حديث ..

سألوه : ما أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال ل : هذا وهذا .. يعني الفرج واللسان

82. الدعاء ..

لا أعني هنا الكلام عن فضل الدعاء .. وآدابه و شروط إجابهته .. فهذا ليس له علاقة مباشرة بما نناقشه هنا وهو مهارات التعامل مع الناس .. وإنما أعني : كيف تجعل الدعاء مهارة في كسب الناس ؟

ومن ذلك أن تدعو الله أيضاً أن يهديك إلى أحسن الأخلاق .. كما كان الحبيب يدعو قائلاً :

(اللهم لك الحمد .. لا إله إلا أنت .. سبحانه وب حمدك .. ظلمت نفسي .. واعترفت بذنبي .. فاغفر لي ذنوبي .. لا يغفر الذنوب إلا أنت .. اهْدني لأحسن الأخلاق .. لا يهدي لأحسنها إلا أنت ..

واصرف عني سيئها .. إنه لا يصرف سيئها إلا أنت ..

لبيك وسعديك والخير بيدك ..) (93)

نعود إلى أصل كلامنا .. كيف تجعل الدعاء مهارة في كسب قلوب الناس ؟

الناس عموماً يحبون الدعاء لهم .. حتى عند السلام عليهم ولقائهم يفرحون إن دعوت لهم ..

فمع قولك : كيف الحال وما الأخبار ؟ أضف إليها : الله يحرسك .. الله يجعلك مباركاً .. الله يثبت قلبك ..

ولا تكن عبارات دعائك مستهلكة أو اعتيادية مثل : الله يوفقك .. الله يحفظك .. نعم هـ ي دعاء حسن لكن السامع اعتاد عليه حتى لم يعد يرن في أذنه عند سماعه ..

وإن قابلت أحداً معه أولاده .. فادع لهم و هو يسمع .. الله يقر بهم عينك .. الله يجمع شملكم .. الله يرزقك برهم .. ونحو ذلك .. أنا أحكي هذا عن تجربة .. لقد جربته كثيراً .. فرأيت أنه يسلب قلوب الناس سلباً ..

دعيت في ليلة من ليالي شهر رمضان قبل سنتين إلى لقاء مباشر في إحدى القنوات الفضائية ..

كان اللقاء حول أحوال العبادة في رمضان .. وكان انعقاد اللقاء في مكة المكرمة في غرفة بأحد الفنادق مطلة على الحرم .. كنا نتحدث عن رمضان .. والمشاهدون يرون من خلال النافذة التي خلفنا المعتمرين والطائفين خلفنا على الهواء مباشرة .. كان المنظر مهيباً .. والكلام مؤثراً .. حتى إن مقدم البرنامج رق قلبه وبكى أثناء الحلقة ..

كان الجو إيمانياً .. ما أفسده علينا إلا أحد المصورين !! كان يمسك كاميرا التصوير بيد .. واليد الثانية فيها سيجارة .. وكأنه يريد أن لا تضع عليه لحظة من ليل رمضان إلا وقد أشبع رئتيه سيجاراً !!

أزعجني هذا كثيراً .. وخنقتي وصاحبي الدخان .. لكن لم يكن بد من الصبر .. فالتقاء مباشر .. وما حيلة المضطر إلا ركوبه !!

مضت ساعة كاملة .. وانتهى اللقاء بسلا ..

مضت عدة شهور .. فدعيت إلى مقر تلك القاعة للقاء مباشر ..

فلما دخلت المبنى فإذا برجل بدين يقبل عليّ ثم .. يسلم علي بحرارة .. ويقبل رأس ي .. وينحني على يدي ليقبلها .. وهو متأثر جداً ..

فقلت له : شكر الله لطفك .. وأدبك .. وأقدرك .. لك محبتك .. لكن اسمح لي فأنا لم أعرفك ..

فقال : هل تذكر المصور الذي نصحته قبل سنتين ليترك التدخين ؟!

قلت : نعم ..

قال : أنا هو .. والله يا شيخ إنني لم سيجاراً في فمي منذ تلك اللحظة ..

ما أجمل الذكريات إذا كانت سارة .. في موسم الحج قبل ثلاث سنوات .. ذهبت لإلقاء كلمة في إحدى حملات الحج الكبرى في صلاة العصر ..

بعد الكلمة ازدحم الناس يسألون ويسلمون .. حاولت التخلص السريع لارتباطي بهم حاضرة بعدهم فوراً في حملة أخرى ..

لاحظت من بينهم شاب يقدم رجلاً ويؤخر آخرى .. مستح أن يزاحم الناس ..

التفت إليه .. ومددت يدي نحوه فصافحني .. ثم سألته في وسط الزحام .. : عندك سؤال ؟

قال : نعم ..

فجررته إليّ والناس مزدهمون .. حتى اقترب ..

قلت : ما سؤالك ؟

فقال وهو مستعجل : ذهبت لرمي الجمرات .. معي جدتي وأختي .. وكان زحاماً شديداً .. و ..

انتهى من سؤاله .. فأجبت عليه ..

شممت منه خلال ذلك رائحة دخان .. فتبسمت وسألته : تدخن ؟

قال : نعم ..

قلت : أسأل الله أن يغفر لك .. ويتقبل حجك .. إن تركت التدخين من هذه اللحظة ..

أقبل إليّ المصور - والسيجارة في يده - شاكراً .. فشدت على يده وقلت .. وأنت أيضاً أشكرك على مشاركتك في تصوير البرامج الدينية .. ولي إليك كلمة لعلك تقبلها .. قال : تفضل ..

قلت : الدخان والسجا .. فقاطعني : لا تنصحنني .. والله ما فيه فائدة يا شيخ ..

قلت : طيب اسمع مني .. أنت تعلم أن السجائر حرام وأن الله يقول .. فقاطعني مرة أخرى : يا شيخ لا تضع وقتك .. أنا مضى لي أكثر من أربعين سنة وأنا أدخن .. الدخان يجري في عروقي .. ما فيه فائدة .. كان غيرك أشطر !!

قلت : يعني ما فيه فائدة ؟!!

فأخرج مني وقال : ادع لي .. ادع لي .. فأمسكت يده وقلت : تعال معي ..

قلت تعال ننظر إلى الكعبة ..

فوقفنا عند النافذة المظلة على الحرم .. فإذا كل شبر فيه مليء بالناس .. ما بين راعع وساجد .. ومعتمر وباك .. كان المنظر فعلاً مؤثراً ..

قلت : هل ترى هؤلاء ؟

قال : نعم ..

قلت : جاؤوا من كل مكان .. بيض وسود .. عرب وأعاجم .. أغنياء وفقراء .. كلهم يدعون الله أن يتقبل منهم ويغفر لهم ..

قال : صحيح .. صحيح ..

قلت أفلا تتمنى أن يعطيك الله ما يعطيهم ؟ قال : بلى ..

قلت : ارفع يديك .. وسأدعوك .. زامن على دعائي ..

رفعت يدي وقلت : اللهم اغفر له .. قال : آمين ..

ن .. قلت : اللهم ارفع درجته واجمعه مع أحبائه في الجنة .. اللهم ..

ولا زلت أدعو حتى رق قلبه وبكى .. وأخذ يردد :

د : آمين .. آمين ..

فلما أردت أن أختتم الدعاء .. قلت : اللهم إن ترك التدخين فاستجب هذا الدعاء وإن لم يتركه فاحرمه منه ..

فانفجر الرجل باكياً .. وغطى وجهه بيديه وخر ج من الغرفة ..

سكت الشاب .. كان واضحاً من وجهه أنه تأثر به الكلام ..

مضت ثمانية أشهر ..

فذهبت لإلقاء محاضرة في إحدى المدن ..

أقبلت إلى المسجد .. فإذا شاب وقور ينتظرني ع

ند بابه .. تفاجأت به لما رأيته .. يقبل عليّ متد

مساً ويسلم بحرارة ..

لم أعرفه .. لكنني بادلته السلام والترحيب ..

قال : هل عرفتني ..

قلت : أشكر لك لطفك .. ومحبتك .. لكنني لم أعر

فك ..

قال : هل تذكر الشاب المدخن الذي قابلته في ال

حج .. ونصحته بترك التدخين ؟

قلت : نعم .. نعم ..

قال : أنا هو .. أبشرك والله الحمد أنني ما وضعت

السيجارة في فمي منذ تلك اللحظة .. تركت التدخ

ين .. فصلحت كثير من أمور حياتي ..

هزرت يده مشجعاً .. ومضيت .. وقد أيقنت أن ا

لدعاء للناس في وجوههم .. وهم يسمعون .. رب

ما يكون أكثر تأثيراً من النصح المباشر ..

ومثله لو رأيت شاباً باراً بأبيه .. فقلت له : جز

اك الله .. الله يوفقك .. الله يجعل أولادك بارين ب

ك ..

بلا شك أن هذا الدعاء سيكون دافعاً له أكثر ..

كان النبي الكريم .. عليه أفضل الصلاة والتسلي

م .. مبدعاً في استعمال الدعاء لدعوة الناس وك

سبهم والتأثير فيهم لتقريبهم للدين ..

كان الطفيل بن عمرو سيداً مطاعاً في قبيلته دو

س ..

قدم مكة يوماً في حاجة .. فلما دخلها .. رآه أش

راف قريش .. فأقبلوا عليه .. وقالوا : من أنت ؟

قال : أنا الطفيل بن عمرو .. سيد دوس ..

فقالوا : إن ههنا رجل في مكة يزعم أنه نبي .. ف

احذر أن تجلس معه أو تسمع كلامه .. فإنه ساح

ر .. إن استمعت إليه ذهب بعقلك ..

قال الطفيل : فو الله ما زالوا بي يخوفونني مذ

ه .. حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً .. ولا أكلم

ه .. بل حشوت في أذني كرسفاً - وهو القطن -

خوفاً من أن يبلغني شيء من قوله .. وأنا مار

به ..

قال الطفيل : فغدوت إلى المسجد .. فإذا ر

سول الله r قائم يصلي عند الكعبة ..

فقمته منه قريباً .. فأبى الله إلا أن يسمعني

بعض قوله ..

فسمعت كلاماً حسناً .. فقلت في نفسي :

واشك أُمي ! والله إنني لرجل لبيب .. ما يذ

في عليّ الحسن من القبيح .. فما يمنعني

أن أسمع من هذا الرجل ما يقول .. فإن كا

ن الذي به حسناً قبلته .. وإن كان قبيحاً ت

ركته .. فمكثت حتى قضى صلاته .. فلما قا

م منصرفاً إلى بيته تبعته ..

حتى إذا دخل بيته دخلت عليه .. فقلت : يا

محمد .. إن قومك قالوا لي كذا وكذا ..

ووالله ما برحوا يخوفونني منك حتى سدد

ت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك .. وقد س

معت منك قولاً حسناً .. فأعرض عليّ أم

رك ..

فابتهج النبي عليه الصلاة والسلام .. وفر

ح .. وعرض الإسلام على الطفيل .. وتلا ع

ليه القرآن .. فتفكر الطفيل في حاله .. فإذا

كل يوم يعيشه يزيد من الله بعداً ..

وإذا هو يعبد حجراً .. لا يسمع دعاءه إذا

دعاه .. ولا يجيب ندائه إذا ناداه .. وهذا ال

حق قد تبين له ..

ثم بدأ الطفيل يتفكر في عاقبة إسلامه ..

كيف يغير دينه ودين آبائه !!! ماذا سيقول

الناس عنه ؟!

حياته التي عاشها .. أمواله التي جمعها ..

أهله .. ولده .. جيرانه .. خلانه .. كل هذا

سيضطرب ..

سكت الطفيل .. يفكر .. يوازن بين دنياه وآ

خرته ..

وفجأة إذا به يضرب بدنياه عرض الحاء

ط ..

نعم سوف يستقيم على الدين .. وليرض م

ن يرضى .. وليسخط من يسخط .. وماذا ي

كون أهل الأرض .. إذا رضي أهل السما

ع ..

ماله ورزقه بيد من في السماء .. صحته وسقمه
بيد من في السماء .. منصبه وجاهه بيد من في
السماء .. بل حياته وموته بيد من في السماء ..
فإذا رضي أهل السماء .. فلا عليه ما فاته من الد
نيا ..

إذا أحبه الله .. فليغضه بعدها من شاء .. وليتذك
ر له من شاء .. وليستهزئ به من شاء ..
فليتك تحلو والحياة مريرة

وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر

وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين

وكل الذي فوق التراب تراب
نعم .. أسلم الطفيل في مكانه .. وشهد شهادة ال
حق ..

ثم ارتفعت همته .. فقال : يا نبي الله .. إني امر
و مطاع في قومي .. وإني راجع إليهم وداعيمهم
إلى الإسلام ..

ثم خرج الطفيل من مكة .. مسرعاً إلى قومه ..
حاملاً هم هذا الدين ..

يصعد به جبل .. وينزل به واد ..
حتى وصل ديار قومه .. فلما دخلها .. أقبل إليه أ
بوه .. وكان شيخاً كبيراً ..

فقال الطفيل : إليك عني يا أبت .. فلست منك ول
ست مني ..

قال : ولم يا بني ؟ قال : أسلمت وتابعت دين مح
مد ..

قال : أي بني ديني دينك ..
قال : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك .. ثم انتني حت
ى أعلمك مما علمت ..

فذهب أبوه واغتسل وطهر ثيابه .. ثم جاء فعر
ض عليه الإسلام فأسلم ..

ثم مشى الطفيل إلى بيته .. فأتته زوجته مرحب
ة ..

فقال : إليك عني .. فلست منك ولست مني ..

قالت : ولم ؟ بأبي أنت وأمي ..

قال : فرّق بيني وبينك الإسلام .. وتابعت دين م
حمد ..

قالت : فديني دينك ..

قال : فقلت فاذهبي فتطهري .. ثم ارجعي إ
لي .. فواته ظهرها ذاهبة ..

ثم خافت من صنمهم أن يعاقبها في أولادها
إن تركت عبادته ..

فرجعت إليه وقالت : بأبي أنت وأمي .. أما
تخشى على الصبية من ذي الشرى .. ؟

وذو الشرى صنم عندهم يعبدونه .. وكانوا
يرون أن من ترك عبادته أصابه أو أصاب

ولده بأذى ..

فقال الطفيل : اذهبي .. أنا ضامن لك أن لا
يضرهم ذو الشرى ..

فذهبت فاغتسلت .. ثم عرض عليها الإسلام
م فأسلمت ..

ثم جعل الطفيل يطوف في قومه .. يدعوهم
إلى الإسلام بيتاً بيتاً .. ويقبل عليهم في ذ
واديهم .. ويقف عليهم في طرقاتهم ..

لكنهم أبَوْا إلا عبادة الأصنام .. فغضب ال
طفيل .. وذهب إلى مكة ..

فاقبل على رسول الله r فقال : يا رسول ا
لله .. إن دوساً قد عصت وأبت .. يا رسول

الله .. فادع الله عليهم ..
فتغير وجه النبي عليه الصلاة والسلام .. و

رفع يديه إلى السماء ..
فقال الطفيل في نفسه .. هلكت دوس ..

فإذا بالرحيم الشفيق r .. يقول : " اللهم ا
هد دوساً .. اللهم اهد دوساً ..

ثم التفت إلى الطفيل وقال : ارجع إلى قوم
ك .. فادعهم .. وارفق بهم ..

فرجع إليهم .. فلم يزل بهم .. حتى أسلمو
ا ..

نعم .. ما أحسن قرع أبواب السماء ..
ليس الطفيل وقومه فقط .. وإنما غيرهم كث
ير ..

كان المسلمون في بداية الدعوة النبوية قد
ة .. لم يتعدوا ثمانية وثلاثين رجلاً ..

فألح أبو بكر يوماً على رسول الله e في
الظهور أمام الناس بالدعوة ولاجهر بالإس
لام ..

فقال : يا أبا بكر .. إنا قليل ..

كان أبو بكر متحمساً .. فلم يزل يلحّ على رسول الله ﷺ حتى اجتمعوا فخرجوا .. يتقدمهم رسول الله ﷺ ..

توجهوا إلى المسجد .. تفرقوا في نواحي المسجد .. كل رجل في عشيرته هـ ..

وقام أبو بكر في الناس خطيباً .. يدعو إلى الإسلام .. ويذمّ آلهم .. وثار المشركون على المسلمين .. فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً .. كان المشركون كثير .. فتفرق المسلمون .. أقبل جمع منهم إلى أبي بكر .. وضربوه ضرباً شديداً ..

فوقع على الأرض في شدة الرمضاء .. فدنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة .. فجعل يضربه بنعلين مخصوفين .. ويفركهما على وجهه .. ثم قام على بطن أبي بكر .. حتى سالت الدماء من وجه أبي بكر .. وتمزق لحم وجهه .. حتى ما يعرف فمه من أنفه ..

وجاء بنو تيم قبيلة أبي بكر .. يتعادون .. وأبعدوا الناس عن أبي بكر .. وحملوه في ثوب حتى أدخلوه منزله .. وهم لا يشكون أنه ميت ..

ثم رجع قومه بنو تيم .. فدخلوا المسجد .. وجعلوا يصرخون في المشركين .. يقولون : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة .. ثم رجعوا إلى أبي بكر .. وهو مغشى عليه .. لا يدرون .. حي أو ميت !!

ظل أبو قحافة والد أبي بكر .. مع قومه .. واقفي ن عند أبي بكر .. يكلمونه .. فلا يجيبهم .. وأمه تبكي عند رأسه .. فلما كان آخر النهار .. فتح عينيه .. فكان أول كلمة قالها :

ما فعل رسول الله ﷺ ؟!

رضي الله عن أبي بكر .. كان يهيم برسول الله ﷺ حباً .. يخاف عليه أكثر مما يخاف على نفسه هـ ..

كان كل من حوله .. أبوه أمه .. قومه .. مشركي ن ..

فغضبوا .. وجعلوا يسبون رسول الله ﷺ ..

ثم قاموا .. وقالوا لأم أبي بكر : أطعميه شيئاً أو اسقيه ..

فجعلت أمه تلح عليه .. وهو يردد قائلاً : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله مالي علم بصاحبك .. فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب .. فسلها عنه ..

وكانت أم جميل مسلمة تكتم إسلامها .. خرجت أمه حتى جاءت أم جميل .. فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله .. فقالت : ما أعرف أبا بكر .. ولا محمد بن عبد الله .. لكن أتحبين أن أمضي معك إلى ابنك ؟

قالت : نعم .. فمضت معها .. حتى دخلت على أبي بكر .. فوجدته صريعاً دنفاً .. ممزق الوجه .. مرهق الجسد ..

فلما رآته أم جميل صاحت .. وقالت : والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر .. وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم .. قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟

وكانت أم أبي بكر بجانبها .. فخافت أم جميل أن يفضح أمر إسلامها .. فيؤذونها .. فقالت : يا أبا بكر .. هذه أمك تسمع .. قال : فلا شيء عليك فيها ..

قالت : أبشر .. فرسول الله ﷺ .. سالم صالح ..

قال : فأين هو ؟ قالت : في دار أبي الأرقم .. فقالت أمه : قد علمت خبر صاحبك .. فقم فأكمل طعاماً .. أو اشرب ..

قال : فإن لله عليّ أن لا أذوق طعاماً أو شرباً .. حتى أرى رسول الله ﷺ بعيني ..

فانتظرتا .. حتى إذا هدا الناس .. خرجتا به يتكئ عليهما .. فذهبتا به إلى بيت أبي الأرقم ..

حتى أدخلته على رسول الله ﷺ ..

فلما دخل فإذا وجه جريح .. ودماء تسيل .. وثيا
ب ممزقة ..
فراه رسول الله .. فأكب عليه النبي يقبل
ه ..

وأكب عليه المسلمون يقبلونه ..
ورق له رسول الله رقة شديدة .. حتى ظهر الـ
تأثر على وجهه الشريف ..
فأراد أبو بكر أن يخفف عليه .. فقال : بأبي وأمـ
ي يا رسول الله .. ليس من بأس .. إلا ما نال الفـ
اسق من وجهي ..
ثم قال أبو بكر .. البطل الذي يحمل هم الدعوة ..
ويحسن استثمار المواقف ..

كان جريحاً .. جائعاً عطشاناً .. ومع ذلك .. قا
ل : يا رسول الله .. هذه أمي برة بوالديها .. وأد
ت مبارك .. فادعها الى الله عز وجل .. وادع الله
لها .. عسى الله أن يستنقذها بك من النار ..
فدعا لها رسول الله .. ثم دعاها الى الله عز و
جل .. فأسلمت فوراً في مكانها ..
كان الدعاء أصلاً من الأصول التي يتعاملون بهـ
ا ..

أسلم أبو هريرة ..
وبقيت أمه كافرة ..
كان يدعوها إلى الإسلام فتأبى ..
فدعاها يوماً .. وألح فأسمعتة في رسول الله
ما يكره ..

فضاق صدر أبي هريرة بذلك .. وذهب إلى رسو
ل الله وهو يبكي .. فقال :
يا رسول الله .. إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فـ
تأبى علي .. وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك
ما أكره .. فادع الله يا رسول الله أن يهدي أم أبـ
ي هريرة إلى الإسلام ..
فدعا لها رسول الله ..

فرجع أبو هريرة إلى أمه ..
فلما كان على الباب .. فإذا هو مغلق .. فحركه ليـ
دخل ..
فإذا بأمه تفتح له الباب .. وتقول : أشهد أن لا إلـ
ه إلا الله .. وأن محمداً رسول الله ..
فرجع أبو هريرة إلى رسول الله وهو يبكي مـ

ن الفرح ..
وجعل يقول : أبشر يا رسول الله .. قد استـ
جاب الله دعوتك .. وهدى الله أم أبي هرير
ة إلى الإسلام ..
ثم قال أبو هريرة : يا رسول الله .. أدع الله
أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين .. ويـ
حببهم إلينا ..
فقال : اللهم حبب عبديك هذا وأمه إلى
عبادك المؤمنين .. وحببهم إليهما ..
قال أبو هريرة : فما على الأرض مؤمن و
لا مؤمنة .. إلا وهو يحبني وأحبه .. (94)

إضاءة ..
(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)

83. الترقيع !!

أحياناً عند ممارستنا لبعض المهارات مع ا
لآخرين نكتشف بأننا أخطأنا تقدير المهارة
المناسبة للشخص .. أو قد نكون وضعناها
في غير موضعها ..
مثل من رأى شاباً وسيماً .. فأراد أن يمار
س معه مهارة " كن لماحاً " فقال له : ما
شاء الله ما هذه الثياب الجميلة والرونق البـ
هي والوجه المسفر .. ثم بدل أن يقول : ما
أسعد زوجتك بك .. قال : يا ليتك بنتاً حتى أـ
تزوجك !!!

مزحة ثقيييلة جداً .. أليس كذلك ؟!
قال أحد الزملاء :
في الجامعة كان لدي طالب بليد لكن الله تعا
لى عوضه عن بلادته بشيء من الوسام
ة .. وكان يجلس في آخر القاعة دائماً ..
ويسرح بفكره بعبييداً ..

كنت أطلب منه دائماً أن يجلس في الأمام لـ
يتابع .. وهو يتغافل عن ذلك .. كنت أتجنب
إحراجه أو إحراج غيره من الطلاب فهم كبا
ر في المرحلة الجامعية ..

دخلت يوماً فإذا هو منشغل آخر القاعة كعا
دته .. فلما جلست على الكرسي قلت له : يـ

أ عبد المحسن .. تعال في الأمام .. فقال : يا دكت
ور مكاني مناسب وسأنتبه معك ..
فقلت : " يا أخي اقرب قليلاً خلنا نشوف حدود
ك الحلوة " .. التفت بعض الطلاب إليه معلقين
ن .. فانقلب وجهه أحمر ..
شعرت أنني وقعت في حفرة .. فقلت - مرقعاً - :
" الله يا هي بتنسبط البنت اللي بتتزوجك .. أما
هؤلاء فسيتعبون ليجدوا من توافق على الزواج
بهم !! " ..

ثم بدأت في شرح الدرس فوراً دون أن أترك فر
صة لأحد ليفكر في الموقف أصلاً .. تبسم الطال
ب وانبلجت أساريره وجلس في المقدمة ..
وإن كانت هذه الأخطاء قد تقع في بداية التدريب
على ممارسة المهارات لكنها سرعان ما تزول ..
وأحياناً يكون تصرفك المخرج للآخرين أو المد
زن لهم ليس خاطئاً .. لكن الموقف يفرضه علينا
..

مثل أن يختلف اثنان من زملائك .. فترى أن الد
ق مع أحدهما فتقف معه .. وقد تعاتب الآخر ..
أو قد يقع ذلك بين اثنين من أولادك أو طلابك أو
جيرانيك .. أو غيرهم ..
فما الحل ؟ هل نسمح لهذه المواقف أن تفقدنا الذ
اس واحداً تلو الآخر .. ونحن نتعب في استقطاب
هم والتحلب إليهم ..
كلا ..

إذن ما التصرف الصحيح ؟
الجواب : أنك إذا أحسست أن أحداً ضاق صدره
من كلمة منك .. أو تضايق من تصرف معين فس
ارع فوراً إلى مداواة الجرح قبل أن يلتهب .. با
ستعمال أي مهارة أخرى مناسبة ..
كيف ؟!
خذ مثلاً ..

كانت مكة قبل أن يفتحها المسلمون تحت قبضة
كفار قريش ..
وكانوا قد ضيقوا على المسلمين المستضعفين في
ها .. وسيطروا على أبناء المسلمين الذين هاجر
وا ولم يستطيعوا أخذ أبنائهم معهم ..
فعلاً كانت حال المسلمين عسيرة ..
أقبل النبي ع إلى مكة معتمراً فردته قريش .. وك

ان ما كان من قصة الحديبية .. وكتب ع بين
ه وبين قريش صلحاً .. واتفق معهم أن ير
جع إلى المدينة من غير عمرة على أن يأت
ي في العام القادم ويعتمر ..
ومضى ع إلى المدينة ..

وبعد سنة أقبل ع مع الصحابة محرمين ملب
ين .. ودخلوا مكة .. واعتمروا ..
لبث ع فيها أربعة أيام .. فلما توجه خارجاً
منها إلى المدينة تبعته طفلة صغيرة هي ابن
ة حمزة t .. وكان قد قتل في معركة أحد ..
وبقيت ابنته يتيمة في مكة ..
أخذت الصغيرة تنادي رسول الله r ..

تقول : يا عم يا عم ..
وكان علي يسير بجانب النبي ع مع زوجته
فاطمة بنت رسول الله ع ..
فتناولها علي t فأخذ بيدها وناولها لفاطمة
وقال : دونك ابنة عمك ..
فحملتها فاطمة ..

فلما رآها زيد t .. تذكر أن رسول الله ع قد
أخى بينه وبين حمزة لما هاجر إلى المدين
ة .. فأقبل زيد إليها ليأخذها وهو يقول : بذ
ت أخي .. أنا أحق بها ..
فأقبل جعفر وقال : ابنة عمي وخالتها تحت
ي .. يعني أسماء بنت عميس زوجته .. وأ
نا أحق بها ..

فقال علي : أنا أخذتها وهي ابنة عمي ..
فلما رأى ع اختلافهم .. قضى بها لخالتها و
دفعها إلى جعفر ليكفلها .. وقال : " الخالة
بمنزلة الأم " ..

ثم خشي ع أن يجد علي أو زيد في نفسيهم
.. لما نزعها منهما ..
فقال موسياً لعلي : " أنت مني و أنا منك
" ..

وقال لزيد : " أنت أخونا و مولانا " ..
ثم التفت إلى جعفر وقال : " أشبهت خلقي
وخلقي " ..
فانظر كيف كان ع حكيماً ماهراً في غسل
قلوب الآخرين وكسب محبتهم ..

طيب ما رأيك أن نعود إلى قصة صاحبنا الذي قا
ل : يا ليتك بنتاً حتى أتزوجك !! كيف يرقع ما
خرق !!؟

بين يديه عدة أبواب للهرب ..

منها أن يدخل في موضوع آخر مباشرة لنلا يت
رك للسامع فرصة ليفكر في الجملة الجارحة الت
ي سمعها منه – فيقول مثلاً : الله يرزقك حورية
أجمل منك .. قل : آمين ..

أو يطرح موضوعاً بعيداً تماماً .. كأن يسأله ع
ن أخيه المسافر .. أو سيارته الجديدة .. أو نحو
ها .. لنلا يترك له أو لغيره من السامعين حوله أ
ي فرصة للوقوع في الحرج ..

تجربة ..

ليس العيب أن تخطئ إنما الخطأ أن تصر عليه

84. انظر بعينين ..

نحن نبدع في أحيان كثيرة في رؤية أخطاء النسا
س وملاحظتها .. وربما في تنبيههم عليها ..
ولكننا قلما نبدع في رؤية الخير الذي عندهم ..
والانتباه إلى الصواب الذي يمارسونه .. لنمدحهم
م به ..

قل ذلك في المدرس مع طلابه .. فكل المدرسين
يذمون الطالب البليد المهمل في واجباته .. الكس
ول المتأخر في الحضور دائماً .. لكن قليلاً منه
م من يمدح الطالب المجد .. الذي يحضر مبكراً
وخطه حسن وكلامه جيد ..

كثيراً ما ننبه أولادنا إلى أخطائهم .. لكنهم يحس
ون ولا ننتبه إلا قليلاً ..

مما يجعلنا أحياناً نفوت فرصاً كثيرة كنا من خلا
لها نستطيع أن ننفض إلى قلوب الناس ..
فمن أبدع مهارات الكلام .. أن تمتدح الخير الذي
عند الناس ..

كان قوم أبي موسى الأشعري t لهم اهتمام بتلاو
ة القرآن وحفظه .. وربما فاقوا كثيراً من الصحا
بة في كثرة تلاوته وتحسين الصوت به ..
فراقوا النبي يوماً في سفر ..

فلما أصبح الناس .. واجتمعوا قال عليه الصلاة
والسلام :

إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن
ن حين يدخلون بالليل .. وأعرف منازلهم
م .. من أصواتهم بالقرآن بالليل .. وإن كذ
ت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنها
ر .. (95)

فكانك بالأشعريين وهم يستمعون هذا لثناء
أمام الناس يتوقدون حرصاً بعدها على الذ
ير ..

وفي ذات صباح .. لقي النبي أبا موسى
ى .. فقال له :

لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك ..
لقد أوتيت من مزامير آل داود ..

فقال أبو موسى : لو علمت أنك تستمع لقر
اوتي .. لحبرتها لك تحبيراً (96) ..

وكان عمرو بن تغلب t رجلاً من عامة ال
صحابه .. لم يتميز بعلم كما تميز أبو بك
ر .. ولا بشجاعة كما تميز عمر .. ولا بقو
ة حفظ كأبي هريرة .. لكن قلبه كان مملوء
اً إيماناً .. وكان e يلحظ ذلك فيه ..

فبينما النبي جالساً يوماً ..
إذ جيء إليه بمال فجعل يقسمه بين بعض أ
صحابه ..

فأعطى رجلاً .. وترك رجلاً ..
فكان الذين تركهم وجدوا في أنفسهم .. وع
تبوا .. لماذا لم يعطنا ..

فلما علم بذلك .. قام أمام الناس .. فحم
د الله تعالى ثم أثنى عليه .. ثم قال :

أما بعد .. فوالله إني لأعطي الرجل .. وأدع
الرجل .. والذي أدع أحب إلي من الذي أ
عطي ..

ولكني أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم م
ن الجزع والهلع ..

وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم
من الخير .. منهم : عمرو بن تغلب ..

فلما سمع عمرو بن تغلب هذا الثناء على ال
ملاً .. طار فرحاً ..

(95) متفق عليه

(96) رواه مسلم

وكان يحدث بهذا الحديث بعدها .. ويقول : فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله حمر النعم (97) ..

وفي يوم آخر ..

أقبل أبو هريرة .. فسأل النبي .. قائلاً :

من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ..

فقال - مشجعاً - : لقد كنت أظن أن لا أحد ي سأل عن هذا قبلك .. لما رأيت من حرصك على العلم ..

أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة .. من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ..

وسلمان الفارسي .. كان من خيار الصحابة ..

لم يكن من العرب .. بل كان ابناً لأحد كبار فارس .. وكان أبوه يحبه ويقربه .. لدرجة أنه كان يحبسه في البيت خوفاً عليه ..

أدخل الله الإيمان في قلب سلمان ..

خرج من بيت أبيه ..

سافر إلى الشام باحثاً عن الحق .. احتال بعض الناس عليه وباعوه إلى يهودي على أنه عبد مملوك ..

وحصلت له قصة طوييلة .. حتى وصل إلى رسوله ..

فكان النبي يقدر له ذلك ..

فبينما كان جالساً بين أصحابه يوماً .. إذا أنزلت عليه سورة الجمعة ..

فجعل يقرأها على أصحابه .. وهم يستمعون ..

ن ..

وهو يقرأ : " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ

رُسُلًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ "

فلما قرأ : "وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَأْ يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " ..

قال رجل من الصحابة : من هؤلاء يا رسول الله ؟

فسكت النبي ..

فأعاد الرجل السؤال .. من هؤلاء يا رسول الله ؟

فلم يرد عليه ..

فأعاد .. من هؤلاء يا رسول الله ؟

فلتفت النبي إلى سلمان ..

ثم وضع يده عليه وقال : لو كان الإيمان عند الثريا .. لناله رجال من هؤلاء (98) ..

وجهة نظر ..

تفاعل وأحسن الظن بالناس .. وشجعهم .. لي نطلقوا أكثر

85. فن الاستماع ..

مهارات جذب الناس وكسب قلوبهم .. بعض

ها يكون بفعل الشيء .. وبعضها يكون بتركه ..

فلا ابتسامة تجذب .. كما أن ترك العيوس يجذبهم ..

والأحاديث الجميلة والنكات واللطائف تجذب الناس .. كما أن الاستماع إليهم والتفاعل مع أحاديثهم .. يجذبهم ..

فما رأيك أن أتكلم معك هنا عن : الهدووو و

ع الجذاب !!

نعم .. بعض الناس لا يتكلم كثيراً .. ولا تكاد تسمع صوته في المجالس والمتجمعات ..

بل لو راقبته في جلسة أو نزهة .. لرأيت أنه لا يتحرك منه إلا رأسه وعينه .. نعم قد يتحرك فمه أحياناً بالتبسم .. لا بالكلام !!

ومع ذلك يحبه الناس .. ويأمنون بمجالسته ..

تدري لماذا ؟!

لأنه يمارس الهدووو والجذاب ..

فن الاستماع له مهارات متعددة .. بل حدثني أحد المهتمين أنه حضر أكثر من خمس عشرة دورة تدريبية في مهارات الاستماع ..

ع !!

قارن بين اثنين :

رجل إذا تكلمت بين يديه بقصة وقعت لك .. قاطع
ك في أولها وقال : وأنا أيضاً وقع لي شيء مش
ابه ..

فتقول : له اصبر حتى أكمل ..

فيسكت قليلاً .. فإذا انسجمت في قصتك .. قاطع
ك قائلاً : صحيح .. صحيح .. نفس القصة التي
وقعت لي وهو أنني ذات مرة ذهبت ..

فتقول له : أخي انتظر .. فيسكت .. ثم ما يصبر
فيقاطعك قائلاً : عجل .. عجل ..

هذا الأول ..

الثاني ..

كان وأنت تتحدث معه أو معهم .. يتلفت يميناً و
يساراً .. وقد يخرج جهاز هاتفه من جيبه .. ويك
تب رسالة أو يقرأ شيئاً من الرسائل .. أو من يد
ري لعله يلعب بالألعاب الالكترونية الموجودة في
ه !!

أما الثالث .. فيملك مهارات الاستماع .. تجد أنك
تتحدث وقد ركز عينيه برفق ينظر إليك .. وتشع
ر بمتابعته .. فهو تارة يهز رأسه موافقاً .. وتا
رة يتبسم .. وتارة يضم شفثيه متعجباً .. وربما
ردد : عجب .. سبحان الله ..

أي هؤلاء ستكون راغباً دائماً في مجالسته .. و
تفرح بزيارته .. وتنبج أساريك في الحديث مع
ه ..؟ لا أشك أنه الأخير ..

إذن جذب قلوب الناس .. لا يكون فقط بإسماعهم
ما يحبون .. بل وبالاستماع منهم لما يحبون !!
أذكر أن أحد الدعاة البارزين ممن أوتي منطقاً و
لساناً .. كان يتنقل متحدثاً دائماً .. ما بين منبر
جمعة .. وكرسي فتوى .. ومحاضرة في جامع
ة .. فهو دائماً يتكلم .. ويتكلم .. ويتكلم ..

وكان الناس يرونه على المنابر والقنوات الفضائ
ية ويحبونه ويرغبون في استماع حديثه .. إلا ز
وجته .. فهو معها في البيت دائماً .. ولا يكاد ي
ستمع منها حديثاً أو قصة .. بل على عادته يتكلم
م .. ويتكلم ..

كانت كثرة التذمر منه دون أن ينتبه إلى سبب ذ
لك ..

كان كل الناس يكرمونه ويمدحونه إلا ه
ي .. فقرر أن يصطحبها معه يوماً إلى أحد
ى محاضراته لترى ما لم تر ..
قال لها يوماً : ترافقيني ؟
قالت : إلى أين ؟

قال : محاضرة لأحد الدعاة .. نستفيد منه
ا ..

ركبت معه في سيارته .. مشياً .. وقفا عند
المسجد .. كانت الجماهير غفيرة .. كلهم ج
اؤوا يستمعون إلى هذا المحاضر الفذ ..
دخلت هي إلى قسم النساء .. ودخل هو و
سط جمهرة الناس واعتلى الكرسي وبدأ م
حاضره ..

كان الناس ينصتون معجبين .. حتى زوجته
ه يبدو أنها كانت معجبة ..!
انتهت المحاضرة .. خرج إلى سيارته وسد
ط نشوة النجاح .. وأقبلت زوجته وركبت ال
سيارة بجانبه ..

لم يدع لها فرصة .. بدأ يتكلم فوراً عن ز
حمة الناس .. وجمال المسجد .. و .. ثم سد
ألها : ما رأيك في المحاضرة ؟
فقالت : كانت جميلة ومؤثرة .. ولكن من ال
محاضر ؟

قال : عجباً لم تعرفي صوته .. قالت : مع
زحمة الناس .. وضعف سماعات الصوت ل
م أنتبه كثيراً ..

فقال - منتشياً - : أنا .. أنا المحاضر ..
فقالت : آآ .. وأنا أقول في نفسي طوال ج
وسي : ما أكثر كلامه ..

إذن .. الاستماع إلى الناس فن ومهارة ..
بعض الناس ينسى أن الله جعل لك فماً و
حداً وأذنين .. ليستمع أكثر مما تكلم ..
وأظنه لو استطاع لقلب المعادلة .. من شد
ة محبته للحديث ..

فعود نفسك على الإنصات .. حتى لو كان ل
ك على الكلام ملاحظة ..

في أوائل بعثة النبي ع .. كان عدد المسلمي
ن قليلاً .. وكان الكفار يكذبونه ونفرون الذ
اس عنه .. ويشيعون أنه ع كاهن وكذا

تفاعل بتعابير وجهك كتقطيب الجبين حيناً .. ورفع الحاجبين حيناً آخر ..
والتبسم .. وتحريك الشفتين بتعجب ..
وانظر إلى أثر ذلك فيمن يتكلم معك .. سوا
ء كان صغيراً أو كبيراً ..
ستجد أنه يركز نظره عليك .. ويقبل بقلبه إليك ..

نتيجة ..

براعتنا في الاستماع إلى الآخرين .. تجعله
م بارعين في محبتنا والاستئناس بنا ..

86. فن الحوار ..

ألا تذكر يوماً من الدهر أنك جلست في مكان
فاحتد الحوار بينك وبين شخص ما .. فبقي
في نفسك عليه بغض أو غضب أياماً ..

أو لعلك تذكر جدالاً حصل بين اثنين - وقد
يكون في قضية تافهة - وأنت تنظر إليهما
وقد ارتفعت الأصوات واحمرت العيون .. ثم
م تفرقا .. واستقل كل منهما صاحبه بعده ..

إذن نحن نتعب في جذب بعض الناس إلينا
بممارسة مهارات متنوعة .. ثم نفرقهم عن
نا بموقف لا نحسن التصرف فيه ..

ومن ذلك عدم إتقان فن الحوار ..
المحاور كالذي يصعد جبلاً وعراً .. ينبغي
أن يعتني بموضع يده وموضع رجله .. فتجد
صاعد الجبل ينظر إلى الصخرة التي يريد
أن يتعلق بها .. ويفحصها بنظره ويتأمل
في قوة ثباتها قبل أن يضع عليها قبضته ..
وكذلك في الصخرة التي يثبت عليها قدمه
ه .. ثم إذا أراد أن يرفع قدمه عن صخرة
نظر إلى الصخرة قبل أن يغادرها خشية أن
لا يحسن رفع رجله من عليها فتهدوي به ..
لن أطيل عليك الكلام .. فخير ما قل ودل ..

الدخول في حوار أو جدال أمر غير محمو
د .. ولعلك توافقني أن أكثر من 90% من

ب .. وربما أشاعوا أنه مجنون أو ساحر ..
في يوم من الأيام قدم إلى مكة رجل اسمه ضما
د .. وهو حكيم له علم بالطب والعلاج .. يعالج
لمجنون والمسحور ..
فلما خالط الناس سمع سفهاء الكفار يقولون عن
رسول الله ع : جاء المجنون .. ورأينا المجنو
ن ..

فقال ضماد : أين هذا الرجل ؟ لعل الله أن يشفيه
على يدي ؟

فدله الناس على رسول الله ع ..

فلما لقيه .. قال ضماد : يا محمد .. إني أرقى م
ن هذه الرياح .. وإن الله يشفي على يدي من شأ
ء .. فهل أعالجك .. وجعل يتكلم عن علاجه وقد
راته ..

والنبي ع ينصت إليه .. وذاك يتكلم .. والنبي ع ي
نصت .. أتدري ينصت إلى ماذا ؟ ينصت إلى كلام
م رجل كافر جاء ليعالجه من مرض الجنون !!
آآه ما أحكمه ع ..

حتى إذا انتهى ضماد من كلامه ..
قال ع بكل هدوء : إن الحمد لله .. نحمده ونس
تعينه .. من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا
هادي له .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شري
ك له ..

فانتفض ضماد وقال : أعد علي كلماتك هؤلاء ..
فأعادها ع عليه ..

فقال ضماد : والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول
السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء
ء الكلمات .. فلقد بلغن ناعوس البحر ..
فهل يدك أبايعك على الإسلام ..
فبسط النبي ع يده .. وأخذ ضماد يخلع ثوب الكف
ر ويردد : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محم
داً عبده ورسوله ..

فعلم ع أن له عند قومه شرفاً .. فقال له : وعلى
قومك ؟ أي تدعوهم إلى الإسلام ؟
فقال ضماد : وعلى قومي .. ثم ذهب إلى قومه
هادياً داعياً ..

إذن لتكون مستمعاً ماهراً ...
أنصت .. هز رأسك متابعاً ..

الحوارات والمجادلات غير مفيدة ..
فحاول تجنب الجدال قدر المستطاع .. ولا تغضب
إذا اعترض عليك أحد أو جادلك .. خذ الأمر بأري
حية قدر المستطاع ولا تغضب نفسك بالتفكير في
نية المعترض .. وماذا يقصد .. ولماذا أخرجني أ
مامهم .. لا تقتل نفسك بالهم .. وتعامل مع الموق
ف بهدوء .. فالرياح لا تهز إلا الصخور الص
غيرة .. فكن جبلاً ..
لما قدم النبي r إلى مكة فاتحاً .. بعدما نقضت ق
ريش العهد ..

كان r .. قد دعا الله أن يعمي عنه قريش .. لئلا
هم .. قبل أن يستعدوا للقتال ..
فلما أقبل النبي عليه الصلاة والسلام .. إلى مكة
نزل قريباً منها ..
ولم تعلم قريش بشيء ..

ولكنهم كانوا يتوجسون ويتربصون ..
فخرج في تلك الليلة التي نزل فيها النبي عليه الص
لاة والسلام .. أبو سفيان في نفر معه يتجسس
ون الأخبار .. وينظرون هل يجدون خبراً .. أو ي
سمعون به ..

وجعل النبي عليه الصلاة والسلام .. يتربص الصب
ح ليغير على قريش ..
فلما رأى العباس t .. ذلك ..

قال : واصباح قريش ! والله لئن دخل رسول الله
r مكة عنوة أي بالقوة .. قبل أن يأتوه فيستأمنو
ه .. إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر ..
فقام العباس .. فاستأذن النبي عليه الصلاة والس
لام ..

فأذن له .. فركب على بغلة رسول الله r البيضاء
..

ومضى يمشي بها ..
وأبو سفيان في أصحابه .. يقترب وينظر إلى نير
ان المسلمين .. ويقول :
ما رأيت كالييلة نيراناً قط ولا عسكرياً .. ما أعظ
م هذا .. من ترى هؤلاء ؟
فقال صاحبه : هذه والله خزاعة حمشتها الحر
ب ..

قال : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها
وعسكرها ..

فبينما العباس يسير على البغلة ..
إذا بأبي سفيان وأصحابه .. قد قبضت علي
هم خيل المؤمنين ..
فاقبل أبو سفيان فرعاً .. فركب خلف العبا
س ..
وجعل أصحابه يتبعونه فرعين .. والمؤمنو
ن خلفهم ..
فجعل العباس يسرع بأبي سفيان .. إلى رس
ول الله r ..

وكلما مر بنار من نيران المسلمين .. قالو
ا : من هذا ؟
فاذا رأوا بغلة رسول الله r .. ورأوا العبا
س عليها ..

قالوا : عم رسول الله r .. على بغلة رسول
الله r ..

والعباس يسرع بها .. يخاف أن يفتنوا لأب
ي سفيان .. فيقتله أحد قبل أن يؤمنه النبي
عليه الصلاة والسلام ..
حتى مر بنار عمر بن الخطاب t فقال : من
هذا ؟

وقام إليهم .. فلما رأى أبا سفيان على ع
ز الدابة ..

صاح بالناس قال : أبو سفيان عدو ا
لله ! .. الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد
ولا عهد ..
فمنعه العباس ..

ثم ذهب عمر يشدد .. نحو رسول الله r ..
والعباس يسرع بالدابة .. حتى سبقه .. فلم
ا وصل إلى موضع النبي r .. اقتحم العباس
عن البغلة سريعاً ..

فدخل على رسول الله r ..
فدخل عليه عمر ..

وجعل يقول : يا رسول الله .. هذا أبو سفي
ن .. قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ..
فدعني فلاضرب عنقه ؟ ..
فقال العباس : يا رسول الله .. إني قد أجرت
ه ..

ثم جلس إلى رسول الله r .. فأخذ برأسه ..

وجعل يناجيه في أذنه ..
وعمر يردد يا رسول الله .. اضرب عنقه ..
فلما أكثر عمر في شأنه ..
التفت إليه العباس وقال :
مهلاً يا عمر ! فوالله أن لو كان من رجال بني
عدي بن كعب .. ما قلت هذا .. أي لو كان من ق
رابتك .. ما قلت هذا .. ولكنك قد عرفت أنه من
رجال بني عبد مناف ..
فشعر عمر أنه سيدخل في جدال لا يتناسب مع ال
حال الذي هم فيه .. ثم ما الفائدة المرجوة من الذ
قاش في مسألة لو كان من بني كعب رغب في إ
سلامه أما من غيرهم فلا يهمه !!
قال عمر بكل هدووووء : مهلاً يا عباس .. مه
لاً ..
فوالله لإسلامك يوم أسلمت .. كان أحب إلي من إ
سلام أبي الخطاب لو أسلم !
لأنني قد عرفت أن إسلامك .. كان أحب إلى رسو
ل الله r من إسلام الخطاب ..
فلما سمع العباس t ذلك سكت ..
انتهى الحوار .. مع أنه كان في إمكان عمر أن ي
طيله ويزيده .. فيقول : ماذا تقصد !!؟ هل تتهم
نيتي ؟! هل تعلم ما في قلبي ؟! لماذا تثير النعرة
القبلية ؟!
كلا لم يقل ذلك .. فهم جميعاً كانوا أرفع من أن ي
نزغ الشيطان بينهم ..
سكت عمر والعباس .. وأبو سفيان واقف ينتظر
أن يأمر النبي c فيه بشيء ..
فقال r : اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبح
ت فأتني به ..
فذهب به العباس .. إلى خيمته ..
فبات عنده .. فلما أصبح أبو سفيان صبيحة تلك
الليلة ..
ورأى الناس يجنحون للصلاة .. وينتشرون في ا
ستعمال الطهارة .. خاف .. وقال للعباس : ما بال
هم ؟
قال : إنهم قد سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلا
ة ..
فلما حضرت الصلاة .. ورأهم يركعون بركوء
ه .. ويسجدون بسجوده ..

أقبل عليه العباس بعدما صلى .. ليمضي به
إلى رسول الله r ..
فقال : يا عباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه
؟
قال : نعم .. والله لو أمرهم بترك الطعام وا
لشراب لأطاعوه ..
فقال أبو سفيان : يا عباس .. ما رأيت كالأ
يلة .. ولا ملك كسرى وقيصر !
فلما انقضت الصلاة .. غدا به إلى رسول ا
لله r ..
فلما رآه r قال :
" ويحك يا أبا سفيان .. ألم يأن لك أن تعلم
أنه لا إله إلا الله ؟
فقال : بأبي أنت وأمي ! ما أحلمك وأكرمك
وأوصلك !
والله لقد ظننت أن لو كان لي مع الله إله
غيره لأغنى عني شيئاً !
فقال r : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن
تعلم أني رسول الله ؟
فقال أبو سفيان : بأبي أنت وأمي ما أحلمك
وأكرمك وأوصلك !
أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن
شيئاً !
فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد أن لا
إله إلا الله .. وأن محمد رسول الله قبل أن
تضرب عنقك ؟
فسكت قليلاً ثم قال : أشهد ..
فسر النبي عليه الصلاة والسلام .. سروراً
عظيماً ..
فقال العباس : يا رسول الله .. إن أبا سفيان
ن رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً ..
فقال r : " نعم .. من دخل دار أبي سفيان
فهو آمن " ..
فقال أبو سفيان :
فأنشد أبو سفيان t بين يدي رسول الله r ..
أبياتاً .. يعتذر إليه مما كان مضى منه ..
لعمرك إني يوم أحمل راية
لتغلب خيل اللات خيل
محمد

وبعض الناس يحسن فعلاً أن يغلق الأبواب على المعارض قبل أن يشعره باعتراضه .. أذكر أن شيخاً كبير السن جلس في مجلس فتكلم عن حادثة خصومة رآها بين اثنين في محطة وقود .. وكيف أن شجارهما زاد واشتد حتى حملا إلى مخفر الشرطة .. فقفز أحد الجالسين - من الثرثارين - مشاً ركاً في القصة فقال : نعم صحيح .. وحصل بينهما كذا .. وفلان هو المخطئ .. وبدأ يذكر تفاصيل لم تحدث .. فالتفت إليه الشيخ وكأني به يكاد ينفجر .. لكنه تماسك وقال بكل هدوء : أنت هل حضرت الحادثة ؟ قال : لا قال : فهل حدثك أحد ممن حضروها ؟ قال : لا قال : فهل اطلعت على محاضر التحقيق ؟ قال : لا عندها صاح الشيخ وقال : طيب يا ... كيف تكذبن وأنت لا تدري عن شيء !! فأعجبته مقدماته قبل اعتراضه .. ولو أنه اعترض دون أن يذكر مقدمات يغلق بها الأبواب على صاحبه .. لكان لصاحب له مجال واسع للخروج من الموقف ولو بالكذب .. فحن أحياناً نحتاج عندما نريد أن نقرر أشياء أن نقدم بمقدمات نقتنع بها المخالفين قبل أن يعترضوا .. لما خرجت قريش لقتال النبي ﷺ وأصحابه في بدر .. كان بعض العقلاء فيها لا يريدون الخروج .. لكن قومهم أكرههم عليه .. فعلم النبي ﷺ بهم .. وتأكد أنهم وإن حضروا المعركة فلن يقع منهم قتال للمسلمين .. فلما اقترب ﷺ من ميدان المعركة .. أراد أن ينبه أصحابه لذلك .. وأن ينههم عن قتلهم .. لكنه يعلم أنه سيقع في قلوب بعض الناس سؤال : كيف لا نقتلهم وهم خرجوا لرد ربنا !! لماذا استثنى هؤلاء بالذات ؟! فقدم مقدمة أزال بها الاعتراضات ثم ذكر الدتوجيه .. قام ﷺ في أصحابه وقال : إني قد

لكالمدلج الحيران أظلم ليله
فهذا أواني حين أهدي و أ

هتدي

هداني هاد غير نفسي و نالني
مع الله من طردت كل مطرد
أصد و أنأى جاهداً عن محمد
وأدعى و إن لم أنتسب من

محمد

فقيل إنه حين قال : ونالني .. مع الله من طردت كل مطرد .. ضرب رسول الله ﷺ بيده في صدره و قال : " أنت طردتني كل مطرد " ..

فكرة ..

ليس الذكاء أن تنتصر عند الجدال .. وإنما الذكاء أن لا تدخل في الجدال أصلاً ..

87. اقطع الطريق على المعارضين ..

من أكثر ما يوغر صدور بعض الناس على بعض ما يجنيه اللسان من مفسد .. ومن ذلك استعجال بعض الناس بالاعتراض على الحديث ومقاطعة المتكلم دون تروٍّ ونظر .. فيثور عند ذلك جدال عقيم يوغر الصدور ويفسد النفوس .. لن تستطيع إصلاح جميع الناس وتأديبهم بالآداب الشرعية .. أو تدريبهم على مهارات متميزة ..

ودعنا نتجاوز مرحلة التنظير التي تحلو لبعض الناس أن يندبن عليها دائماً بقوله : المفروض أن الناس يفعلون كذا .. والمفروض يتعودون على كذا .. دعك من هذا .. وأدِّ الصلاة على الميت الداضر - كما يقال - ..

أعني أننا ينبغي عند تعاملنا مع الأخطاء أن لا نندشغل ببحث ما يجب على الآخرين أن يفعلوه بل ماذا يجب علينا نحن أن نفعله ..

عندما تريد أن تتكلم بشيء غريب قد يستعجل الآخرون الاعتراض عليه .. ينبغي عليك أن تغلق عليهم أبواب الاعتراض بمقدمات تجيبهم فيها عن أسئلتهم قبل أن يطرحوها .. بل وتزيل بها استغرابهم قبل أن يتكلموا به ..

تيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرًا و قال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا (تأكل الطير منه) ..

جعل يتأمل في الحاضرين ثم سألهم : ودخل معه السجن فتيان ؟! أيهما دخل قبل الآخر .. يوسف أم الفتيان ؟ فصاح أحدهم : يوسف .. فصاح آخر : لا .. لا .. الفتيان .. فانطلق ثالث : لا .. لا .. بل يوسف .. يوسف ف ..

فاستدركي رابع وقال : دخلوا مع بعض !! وتكلم خامس .. وارتفع اللغط .. حتى ضاع الموضوع الأساسي .. ويبدو أن المحاضر قصد ذلك .. فجعل يتأمل وجوههم .. والوقت يمضي .. ثم ابتسم ابتسامة عريضة .. وأشار لهم بخفض الأصوات وقال : وما المشكلة !! دخل قبلهم أو دخلوا قبله ه !! هل تستحق المسألة كل هذا الخلاف ؟!

فعلاً .. لو تأملت واقعنا لوجدت أننا في أحيان كثيرة نكون ثقلاء على الآخرين بكثرة اعتراضنا على ما يقولون فيكون أحدهم متحمساً في قصة يحكيها .. ثم يفاجأ بمن يعترض ويفسد عليه متعة الحديث بالاعتراض على أشياء لا تؤثر في القصة شيئاً .. نعم .. لا تكن ثقيلًا تعترض على كل شيء ع ..

أذكر أن أخي الأصغر سعود لما كان طفلاً في السابعة .. دخل المسجد لصلاة العشاء ع .. ويبدو أنه كان مستعجلاً وتأخر الإمام في المجيء لإقامة الصلاة .. فلما ضاق بذلك ذرعاً توجه نحو المؤذن وكان شيخاً كبيراً ضعيف السمع ووقف خلفه .. ثم قال محاولاً تغيير صوته : أقم الصلاة .. وكان قد قبض على طرف أنفه بيده ..

ثم ولى هارباً .. أما المؤذن فما كاد يسمع ذلك حتى تحرك نهضاً ليقيم الصلاة .. فنبهه بعض المأمومين

عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا .. انتهى هذه مقدمة ..

ثم قال : فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يـ قتله ..

ومن لقي أبا البخثري بن هشام بن الحارث بن أـ سد فلا يقتله ..

ومن لقي العباس بن عبد المطلب .. عم رسول الله ﷺ فلا يقتله ..

فإنه إنما خرج مستكرهاً ..

فمضى الصحابة على ذلك .. وبدؤوا يتحدثون في مجالسهم بذلك ..

فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقذنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس ..

والله لنن لقيته لأحمنه بالسيف ..

فبلغت الكلمة رسول الله ﷺ .. فالتفت إلى عمر فقا

ل : " يا أبا حفص " ..

قال عمر : والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص ..

قال ر يا أبا حفص : (أ يضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف !) ..

فاستبشع ذلك .. وانتفض .. كيف يرد أمر رسول الله ﷺ .. أليس مسلماً .. فصاح قال :

يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه بالسيف .. فو

الله لقد نافق ..

فندم أبو حذيفة y .. على ما تكلم به .. وقال :

ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ .. و

لا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهاد

ة ..

فقتل يوم اليمامة شهيداً y ..

نصيحة ..

كن ذكياً وتغذ بهم قبل أن يتعشوا بك !

88. انتظر .. لا تعترض !!

أذكر أن محاضراً كان يتكلم عن فن الحوار .. فعرض شيئاً من قصة يوسف عليه السلام .. فلما وصل إلى قوله تعالى (ودخل معه السجن ف

خرج الرجل فإذا في يده مجلة إسلامية !!
لم يصبر زياد .. وأخذ ينادي بلطف : يا أخ
ي .. لو سمحت .. هيه ..
لم يرد عليه الرجل ولم يلتفت ..
رفع صوته : هيه .. هيه .. لو سمحت .. يا
أخي .. اسمع ..
وصل الرجل سيارته وركبها .. ولم يلتفت
ت ..
نزل زياد وقد غضب وأقبل إليه .. وقال : يا
أخي .. الله يهديك .. ما تسمع ..
نظر الرجل إليه وابتمس وشغل سيارته .. فا
شتغل المذياع مباشرة بصوت مزعج جد
اً ..
فثار زياد .. وقال : يا أخي حرام عليك .. أ
زعجت الناس .. تريد تسمع الأغاني اسمع
ها لوحدهك .. بدل ما تسمع قرآن تسمع أغا
ن ؟!
فجعل الرجل يزيد ابتسامته .. والأغاني بأع
لى صوت ..
ثار زياد أكثر .. وجعل وجهه يحمر .. وص
ار يرفع صوته ليسمعه ..
فلما رأى الرجل أن الأمر وصل إلى هذا الحد
د .. جعل يشير بيديه إلى أذنيه وينفضهم
ا ..
ثم أخرج دفترًا صغيرًا من جيبه ومكتوب
على أول ورقة منه :
أنا رجل أصم لا أسمع .. فضلاً اكتب ما تر
يد !!

لمحة ..

قال الله تعالى : "وكان الإنسان عجولاً" ف
انتبه لا تغلب عجلتك تؤدتك ..

89. قبل نجواكم .. صدقة ..
الطلبات الكبيرة تحتاج إلى تهئية المطلوب
منه قبل طلبها .. لئلا يسارع إلى الرفض ..
وهذا عام في الطلبات الشفهية والمكتوب
ة ..
فلو أردت أن تكتب إلى غني تطلب منه حا

ين .. فجلس ..
كان موقفاً طريفاً .. لكنني لم أوردته لطرافته ..
وإنما لأنني جلست بعدها في مجلس فذكر أحد الج
السين القصة وقال في أثنائها : وكان سعود مست
عجلاً لأنه سيذهب إلى البحر مع أبيه _ مع العلم
بأن الرياض في صحراء ولا تقع على ساحل بد
ر - .. فتحيرت هل أفسد عليه قصته وأعتر
ض .. أم أن المعلومة غير مؤثرة في القصة فلا
داعٍ للاعتراض واكتساب العداوات .. فآثرت الثا
ني وسكت ..
وأحياناً قد تعترض على شيء أنت غير فاهمه أ
صلاً ..

لعل له عذراً وأنت تلوم ..
كان زياد لطيفاً حريصاً على نصح الناس ..
وقف يوماً عند إشارة مرور فإذا به يسمع صوت
اً عالياً لأغاني غربية .. تحير من أين هذا الص
وت .. وأخذ يلتفت يبحث عن مصدره .. فإذا هو
من السيارة المجاورة له ..
وإذا صاحبها قد زاد صوت المذياع إلى أعلى در
جاته .. حتى أسمع البعيد والقريب ..
جعل صاحبي يضرب على منبه سيارته ويحاول أ
ن ينبه ذاك الرجل إلى خفض صوت مذياعه .. ل
كن الرجل لا يلتفت ولا يرد .. يبدو أنه لشدة ان
سجامة مع ما يسمع صار لا يدري عما حوله ..
حاول زياد أن يتبين وجه السائق الذي أسدل غت
رته على جانبي وجهه .. وبعد جهد رآه فإذا لحيد
ته تملأ وجهه !!
ازداد العجب .. شخص بهذه الهيئة بدل أن يستم
ع إلى القرآن يستمع الأغاني !! لا وبصوت عالٍ
أيضاً !!

أضاعت الإشارة خضراء .. ومشى الجميع ..
أصرّ زياد على مناصحة الرجل فجعل يمشي ورا
عه .. وقف الرجل عند دكان .. ونزل ليشتري مذ
ه حاجة ..
أوقف زياد سيارته ورائه وصار يتأمله وهو يم
شي فإذا الثوب قصير .. واللحية تملأ عارضيه
ه ..
تساقطت إلى قلبه الوسائس .. أظنه نزل ليخرج ا
لأن بعلة سجانر !!

جـة .. لناسب أن تكتب قبل حاجتك شيئاً من الثنا
ع على جوده وكرمه ومحبه للخير .. ثم بعد ذلك
تكتب حاجتك ..

ومثله لو أردت حاجة من أبيك أو أخيك أو - من
يدري ربما - زوجتك .. يناسب أن تقدم قبلها بم
قدمة ..

فلو دعوت نفعاً من أصدقائك إلى مأدبة غداء ..
وأردت أن تخبر زوجتك لتعد الطعام وتهيئ البي
ت .. لناسب أن تقول قبل ذلك .. بصراحة طعامك
لذيذ .. جميع أصدقائي يفرحون إذا دعوتهم لأجل
أن يأكلوا من عمل يدك .. تصديق !! لقد أكلت ف
ي أرقى المطاعم .. وما ذقت لذة كلذة طعامك أبد
اً .. وبصراحة رأيت البارحة صديقاً لي جاء من
سفر .. ومن باب المجاملة قلت له تغد معي غد
اً .. ففتفاجأت به أن وافق !!.. فدعوت معه بع
ض الأصدقاء .. فليتك تعملين لنا طعاماً ..
هذا الأسلوب أحسن من صراخك إذا دخلت بيت
ك : يا فلانة .. فلانة ..

فتجيبك : لبيك .. أنا قادمة .. وهي تظن أنك ستد
عوها إلى نزهة ..

فتقول : بسرعة .. بسرعة .. المطبخ .. المطبخ
خ .. عندي رجال سيأتون .. لا تتأخري بالغدا
ع .. وانتبهي أثناء إعدادة .. و ..

ومثله لو أردت أن تطلب إجازة من مديرك ..
أو تخبر أمك أو أبك بخبر ..
وقد قرأت في سيرة النبي الأكرم e .. ما يدل عل
ى ذلك ..

كان النبي r قد رضع في صغره قريباً من ديار ه
وازن .. وكان يرجو أن يسلموا ..
فبلغه .. أن هوازن قد جمعت جموعها .. فخرج إ
ليهم .. وقتلهم ..

فنصر الله نبيه r عليهم .. فساق الغنائم ..
فأقبل بعضهم إلى رسول الله r .. وهو نازل بالبحر
عرانة ..

وقد قتل من قتل من رجالهم .. وجعل رسول الله
r النساء والأطفال في مكان ..

فقام منهم خطيبهم زهير بن صرد فقال :
يا رسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالات
ك .. وحواضنك .. اللاتي كن يكفلنك ..

ولو أنا ملحننا لابن أبي شمر .. أو النعمان
بن المنذر ..

ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك .. ر
جوناً عائدتهم وعطفهم ..
وأنت رسول الله خير المكفولين .. ثم أنشأ
يقول :

امنن علينا رسول الله في كرم
فإنك المرء نرجوه و
ننتظر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها
إذ فوك تملؤه من مد

ضها الدرر
لا تجعلنا كمن شالت نعامتة
و استبق منا فإننا معش

ر زهر
إننا لنشكر آلاء و إن كفرت
وعندنا بعد هذا اليوم م

دخر
وقد أدب الله المؤمنين .. فقال : " يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَ
قَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ " (99)

وكانت العرب .. إذا أرادت أن تستجد بأحد
د .. أو تطلب عونه .. أول ما تلجأ إلى الك
لام والأشعار .. فتحدث في النفوس مالا تف
عله السيوف ..

لما أقبل رسول الله r .. يريد العمرة .. خاف
ت قريش ..

وكاد النبي r أن يقاتلهم .. لولا أنهم .. ألد
وا عليه حتى كتب بينه وبينهم .. هدنة لمد
ة عشر سنوات .. وقف للقتال ..

وكان في صلح الحديبية .. لما كتب .. أنه
من شاء من القبائل أن يدخل في عقد محمد
وعهده دخل ومن شاء أن يدخل في عقد قر
يش وعهدهم دخل ..

فتواثبت خراعة وقالوا : نحن ندخل في عق
د محمد وعهده ..

وتواثبت بنو بكر وقالوا : نحن ندخل في عقد قر
يش وعهدهم ..

وكان بين هذين الحيين دماء وقتال ..
واشتدت ضغينة قريش على خزاعة .. لكنهم خاف
وا أن يصيبوهم بشيء فينتصر لهم النبي r ..
فلما مضى من هدنة الحديبية .. نحو السبعة أو ا
لثمانية عشر شهراً ..

وثب بنو بكر على خزاعة .. ليلاً بماء يقال له ال
وتير .. وهو قريب من مكة .. وطلبوا الإعانة م
ن قريش ..

فقال قريش : ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما
يرانا من أحد ..
فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح .. وقتلوهم م
عهم ..

ففزعت خزاعة ..
وقتل من قتل من رجالهم ونسائهم وذرايرهم ..
فلما رأى رجل منهم وهو عمرو بن سالم .. ما ح
ل بقومه .. ركب بعيه .. وهرب من يد قري
ش ..

حتى قدم على رسول الله r في المدينة ..
فدخلها فزعاً .. مصاباً مكروباً ..
ثم أقبل إلى المسجد .. عليه أثر الطريق ووعثاء
السفر ..

ووقف بين يدي رسول الله r .. فقال :
يا رب إني ناشد محمداً

حلف أبيه وأبيننا الأتلا
قد كنتم ولداً وكنا والداً

ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصرأ أبداً

وادم عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا

إن سيما خسفاً وجهه تربدا
في فيلق كالبجر يجري مزبدا

إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وجعلوا لي في كداء رسداً
وزعموا أن لست أدعو أحدا

فهم أذل وأقل عدداً
هم بيتونا بالوتير هجدا

وقتلونا ركعاً وسجداً

فلما سمع النبي r هذا الكلام .. والشعر ..
والنداء .. انتفض .. وغضب ..

وقال : " نصرت يا عمرو بن سالم " ..
ثم قام .. مسرعاً .. وأمر الناس بالتجهز لل
خروج للقتال ..
ففزع الناس يتجهزون .. وهم لا يعلمون أي
ن سيكون القتال ..

وقد خشي r أن يخبر بوجهته .. فيصل الخب
ر إلى قريش .. وسأل الله أن يعمي على قر
يش خبره حتى يبعثهم في بلادهم ..
ورسول الله r .. قد اشتد غضبه على قريش
لخيانتهم .. فكان يتجهز ويقول : كأنكم بأب
ي سفيان قد جاءكم يشد في العقد ويزيد ف
ي المدة " ..

ثم أقبل نفر من خزاعة آخرين إلى رسول ا
للh r ..
فيهم بديل بن ورقاء .. حتى قدموا على ر
سول الله r ..

فأخبروه بما أصيب منهم .. ومظاهرة قري
ش بني بكر عليهم ..
فوعدهم النبي r بالنصر .. وقال لهم : " ار
جعوا فتفرقوا في البلدان " .. وخشي أن تع
لم قريش بخبرهم معه .. فتقاتلهم .. قبل و
صوله إليهم ..

فانصرفوا راجعين إلى ديارهم ..
فلقوا أبا سفيان بعسفان .. قد بعثته قريش
إلى رسول الله r ..

يشد العقد ويزيد في المدة .. وقد رهبوا أن
يكون بلغه ما فعلوا ..

فلما لقي أبو سفيان بديلاً .. خشي أن يكو
ن أقبل من عند رسول الله r .. فقال : من أ
ين أقبلت يا بديل ؟

فقال بديل : سرت في خزاعة في هذا السا
حل في بطن هذا الوادي ..

فسكت أبو سفيان ..
فلما جاوزه بديل .. أقبل أبو سفيان إلى مبر
ك ناقة بديل .. فأخذ من بعرها ففته بيده ..

فراى فيه نوى التمر .. فعلم أن الناقة كانت بالمدينة .. فهم الذين يطعمون دوابهم نوى التمر .. فقال أبو سفيان : أحلف بالله لقد جاء بديل محمد ..

ثم مضى أبو سفيان .. حتى وصل المدينة .. فتوجه إلى بيت ابنته أم حبيبة زوج رسول الله r .. فلما دخل أقبل ليجلس على فراش رسول الله r .. فطوته من تحته ..

فقال : يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش .. أو رغبت به عني ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله r وأنت مشرك نجس .. فلم أحب أن تجلس على فراشه .. فعجب منها .. وقال : يا بنية والله لقد أصابك بعد ي شر ! ثم مضى أبو سفيان إلى رسول الله r .. فقال : يا محمد اشدد العقد وزدنا في المدة .. فقال r : ولذلك قدمت ؟ هل كان من حدث قبلكم ؟!

قال : معاذ الله ! نحن على عهدنا وصلحنا يوم الـ حديبية لا نغير ولا نبذل .. فسكت عنه النبي r .. فكرر عليه أبو سفيان .. ورسول الله r لا يجيبه .. فخرج من عند رسول الله r ..

وأتى أبا بكر فقال : اشفع لي عند محمد .. أن يـ جدد العقد .. ويزيد في المدة .. أو امنعني وقوم ي .. فقال أبو بكر : جوارى في جوارى رسول الله r .. ولا أمنع أحداً منه .. وأما أنا فوالله لو وجدت الـ ذر تقاتلكم لأعنتها عليكم .. فخرج أبو سفيان .. فأتى عمر بن الخطاب فكلـ ه .. فقال عمر بن الخطاب : أنا أشفع لكم عند رسول الله r ؟

بل ما كان من حلفنا جديداً فأخلقه الله .. وما كان منه مثبتاً فقطعه الله .. وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله ! فلما سمع أبو سفيان ذلك .. تغير .. فكأنما لُطـ م ..

فخرج أبو سفيان وهو يقول : جزيت من ذى رحم شراً .. فلما ينس مما عندهم دخل على علي .. فقال له :

يا علي أنت أقربهم بي نسباً .. فاشفع لي لى رسول الله r .. فقال له علي : يا أبا سفيان .. إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله r يفتات على رسـ ل الله r بجوارى .. أي لا يستطيع أحد منعه عن أحد إن أراد .. فهو لا ينطق عن الهوى ..

وأنت سيد قريش .. وأكبرها .. وأمنعها .. فأجر بين عشيرتك .. وامنع نفسك .. يعنى : صح بالناس إنى قد منعت نفسي .. ثم اـ لحق بأرضك .. قال أبو سفيان : أو ترى ذلك يغني عني شـ يناً ..

قال : لا .. ولكن هو رأي أراه .. فخرج أبو سفيان إلى الناس في المدينة ثم صاح ..

ألا إنى قد أجرت بين الناس .. ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد .. فقام أبو سفيان في المسجد فقال : أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس .. ثم ركب بغيره فانطلق إلى مكة .. فلما أن قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله لقد أبى علي ..

وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عـ ليهم أطوع منهم له .. ولقد جئت محمداً فكلمته .. فوالله ما رد عـ لي شيئاً .. ثم جئت ابن أبى قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً ..

ثم جئت عمر فوجدته أعدى عدو .. ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم .. وقد أشار علي بأمر صنعته .. فوالله ما أدرى هل يغني عنا شيئاً أم لا ؟ قالوا : بماذا أمرك ؟

قال : أمرني أن أجير بين الناس ففعلت ..

قالوا : هل أجاز ذلك محمد ؟

قال : لا ..

قالوا : ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك ..

فما يعني عنا ما قلت ..

فقال : لا والله ما وجدت غير ذلك ..

فاغتم أبو سفيان .. ودخل على امرأته فحدثها الـ

حديث فقالت :

قبحك الله من وافد قوم ! فما جئت بخير ..

ثم أقبل رسول الله r .. إلى مكة فاتحاً ..

.. بالإشارة يفهم ..

اللقمة الكبيرة تحتاج لمضغ جيد قبل ابتلاعها

90. ليس مهماً أن تنجح دائماً ..

كان فهد يمشي مع صاحبه - العنيد المكابر - في

صحراء فرأيا سواداً رابضاً على التراب .. تخفي

ه الرياح تارة وتظهره تارة ..

التفت فهد إلى صاحبه وسأله : تتوقع .. ما هذا

!؟

فقال صاحبه : هذه عنز !!

قال فهد : بل غراب ..

قال صاحبه : أقول لك : عنز .. يعني عنز ..

قال فهد : طيب نقرب ونتأكد ..

اقتربا .. وجعلا يركزان النظر أكثر وأكثر ..

كان واضحاً أن الذي أمامهما غراب !!

قال فهد : يا أخي .. والله غراب ..

هز صاحبه رأسه بكل حزام وقال : عنززززز

سكت فهد .. واقتربا أكثر .. فشعر الغراب باقتراب

هما فطأار ..

فصاح فهد : الله أكبر .. غراب .. رأيت غرا

ب .. طار .. فقال صاحبه : عننننننن .. لو طار !!

لماذا أوردت هذه القصة ؟

أوردتها لأجل أن أبين : أن هذه المهارات التي تـ

قدمت فيما مضى من صفحات .. تصلح مع النـ

س عموماً ..

لكن مع ذلك يبقى أن بعض الناس مهما مارست

معه مهارات لا يتفاعل معك ..

فلو مارست معه مهارة الملح .. فقلت : ما شاء

الله ما أجمل ثيابك .. كأنك عريس .. وأنت

تتوقع منه أن يتبسم ويشكرك على لطفك ..

فإنه لا يفعل ذلك .. وإنما ينظر إليك شزر

أ .. ويقول : طيب .. طيب .. لا تجامل ..

لا تستخف دمك .. ونحو ذلك من العبارات

السامجة التي تدل على عدم خبرته في التـ

امل مع الناس ..

ومثله المرأة التي قد تمارس مع زوجها مـ

هارات .. كمهارة التفاعل مثلاً .. فيحكي نـ

كتة باردة .. فتتفاعل معه ضاحكة .. فيقو

ل : طيب .. لا تغصبي نفسك على الضحك

!!؟

إذا واجهت هذه النوعيات من الناس فاعلم

أنهم لا يمثلون المجتمع ..

ولقد جربت هذه المهارات بنفسي .. نعم وا

الله جربتها بنفسي فرأيت آثارها في النـ

س .. كباراً وصغاراً .. بسطاء وأذكياء ..

وأصحاب مناصب عليا .. وطلاب عندي في

الكلية .. ومع أولادي .. فرأيت لها أعاجـ

ب ..

بل جربتها مع مختلف الأجناس والجنسيا

ت .. فرأيت آثارها ..

والله إني لك ناصح ..

باختصار ..

هل أنت جاد في التغيير ؟

91. كن بطلاً وابدأ الآن

أذكر أي ألقىت دورة في مهارات التعامل مـ

ع الناس .. كان عبد العزيز من بين الحـ

ر .. كان تأثره واضحاً ..

لاحظته يكتب كل شاردة وواردة ..

مضت أيام الدورة الثلاثة .. وتفرقنا ..

بعدها بشهر ألقىت الدورة نفسها مرة آخر

ى .. فلما نظرت إلى الحضور .. فإذا عبد اـ

لعزيز يجلس في الصف الأول !!

تملكني العجب !! لماذا يحضرها مرة آخر

ى وهو يعلم أي سأعيد الكلام نفسه !

لما أذن للصلاة .. أخذته ومشيت به جانب

أ .. وسألته : عبد العزيز .. لماذا تحضر مـ

رة أخرى .. وأنت تعلم أنني سأعيد الكلام نفس
ه .. !! والمذكرة التي بين يديك هي نفسها المذ
رة السابقة !! والشهادة التي ستحصل عليها هي
الشهادة نفسها !! يعني لن تستفيد شيئاً ..
فقال لي : تصدق !! والله إن أصحابي وزملائي ي
قولون لي : يا عبد العزيز أنت تغيرت في تعاملك
معنا منذ شهر ..
ففكرت في ذلك فإذا أنا أطبق ما تعلمته من مهارا
ت في الدورة السابقة .. فجئت لأحضر الدورة م
رة أخرى لتأكيد ما تعلمته من مهارات ..
إذا كنت جاداً في التغيير فكن بطلاً وابدأ الآن
ن ..